**كلية الاداب**

**القسم : التاريخ**

**مادة تاريخ الخلافة الراشدية**

**المرحلة : الثانية**

**د. هناء كاظم خليفة**

**الخلافة الراشدية..الأصطلاح والمفهوم..**

تنطوي عبارة الخلفاء الراشدين على معنين : احدهما لغوي والثاني اصطلاحي.

**المعنى** **اللغوي** : اذا فككنا تركيب عبارة ( الخلفاء الراشدين ) ونظرنا فيها لغوياً نجد ان الخلفاء ، ومفردها خليفة من الخلافة .. وهي في اللغة تعني النيابة وخليفة الرجل ، من يقوم مقامه . وفي القرآن الكريم وردت اللفظة بقوله تعالى (( إن يشأ يذهبكم ويستخلق من بعدكم ما يشاء )) الأنعام آية 133 .وقوله (( واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح )) الاعراف آية 69. وقوله تعالى (( ياداود إنا جعلناك خليفة ف ي الأرض )) البقرة آية 24 . و لفظة الراشدون . فهي جمع راشد . اي صفة للنضج والحلم والعقل .

اما في **المصطلح:** فأن الخلفاء جمع خليفة . وهي النيابة والقيام مقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته .

وبعد هذه المقدمة فان الخلفاء الراشدون هم جماعة تلي الأمر بعد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم). وتاريخياً لم يكن اسم خليفة متداولاً في عصر الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) بمعناه الاصطلاحي إلا في شخص الإمام علي ( عليه السلام) .

وكان الخليفة أبو بكر قد سمي نفسه ( خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ) وكتب بذلك الى الأطراف .

في حين ان الخليفة عمركان يكتب من خليفة خليفة رسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) فعدلوا تلك العبارة لطولها . - كما سيأتي لاحقاً- .

**ويمكن القول :**

أن مانتج من صراعات ومشادات عنيفة في السقيفة كان دليلاً كافياً على أن الخلافة اتخذت مجرى معاكساً لقضية الشورى وذلك ان جمعاً غفيراً من الصحابة أمتنعوا عن البيعة ، فمنهم من بقى على تلك الحالة حتى قتل كسعد بن عبادة، ومنهم من تأخر حتى أجبر وقيد اليها بالعنف، وغير ذلك .

مع العلم ان منطلق الشورى يقتضي وجود سلطة عليا سابقة ليتحاكم اليها الجميع في الأمر . أما أن يفرض تيار معين نفسه مسؤولاً عن تنظيم الشورى . فهذا أمر يتناقض مع أساسيات الشورى.

وما دمنا بصدد الكلام عن السقيفة فلا باس ان نعرفها بانها ظلة غير واسعة على فسحة من الأرض في منطقة خطط بني ساعده في الأطراف الشمالية من مسجد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) .

كان الأجتماع فيها من قبل بني ساعدة من الخزرج يوم الاثنين 12 ربيع الأول (11هـ /632م) ولم يرد ذكر أجتماع عام فيها في زمن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) الأمر الذي يدل على انها كانت في الأصل خاصة ببني ساعدة دون غيرهم . وأن هذا أجتماع لم يستوعب كافة الانصار الذين جاءوا اليه . ومن استقراء النصوص عن هذا الاجتماع يوضح مايلي :

1. لم يعد بني ساعدة لهذا الاجتماع أعداد جيداً .

2. لم يدعوا لحضوره كبار الصحابة وبخاصة المهاجرين. مما يدل على أنهم لم يكونوا واثقين من أن مرشحهم سيحظى بالقبول والمبايعة.

**السقيفة والمعارضة:**

بعد إتمام تجهيز ودفن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) أعتزل قوم من الصحابة ورفضوا بيعة أبي بكر وطرحوا علياً ( عليه السلام ) خليفة للمسلمين فتحصنوا في بيت السيدة فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) وبقوا على ذلك الحال حتى أقتحم عليهم الدار جمع كبير بقيادة عمربن الخطاب وعزموا على حرقها .

فقد ذكر اليعقوبي : (( وتخلف عن بيعة ابي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن ابي طالب فمنهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام وخالد بن سعد واخوته عمر والحكم وابان وسعيد وكانوا ولاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تيماء وخيبر وتبوك ووادي القرى والبحرين ، أحتجاجاً على ذلك وسلمان الفارسي – المحمدي – و ابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وابي كعب والمقداد بن عمرو)).

**ولعل سائل يسال ما الدوافع لأجتماع السقيفة ؟**

لقد تصور الأنصار هم الذين آووا ونصروا الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) واسلموا يوم قحط المسلمين ، فبذلوا للأسلام نفوسهم وأموالهم فكانوا بحق (( أنصاراً )) كما سماهم النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) .

لهذا فهم يرون لأنفسهم حقاً في الأسلام ،وسابقة ليست لغيرهم ،ولهم في تشييده يد مشهورة وذكر جميل : وهذا ما طمعهم في إمارة المسلمين كجزء لتضحيتهم في سبيل الأسلام . حتى ان حجة سعد بن عبادة في ترشيح نفسه كانت قائمة على اساس أن :

* الأنصار أحق بالأمر لانهم أهل المدينة .
* هم أنصار الأسلام.
* هم أهل العز والثروة وأولو العدد والمنعة والتجربة .

لذا فقد أجتمع الأنصار يتداولون الحديث ،وقد أخذ الحماس والفخر باطرافهم ، يريدون في أجتماعهم السري هذا ان يقبضوا على ناصية الامر ،وليس أمامهم من يطاولهم .

لكن عندما دخل عليهم وجوه المهاجرين فجأة كان لابد أن يسقط ما في أيديهم بافتضاح أمرهم قبل ابرامه ، وبتخوفهم من خروجه من أيديهم بعد ما قالوا وصنعوا لابد أن يرتبكوا لذلك ويقوى فيهم شعور الخذلان ،وهنا يتغلب عليهم الضعف ، فيتغير عليهم مجرى الحادثة ،وينقلب الدور فيتهيؤن لمواجهة هذا الحادث الجديد بما يقتظيه . فمن كان يبغض الامارة لسعد بن عبادة وجد الفرصة قد حانت للانتفاض عليه ،وبالعكس من ذلك فان أصحابه الذين يوادونه لابد ان ينقلبوا مدافعين . وهذا أول تبدل في حالهم وأنخذال في اجتماعهم.

وبعد دخول جماعة المهاجرين كان الموقف دقيق جداً يدعوا الى كثير من اللين واللباقة رعاية لهذه العواطف الثائرة المتحفزة وبدأت الخطب تأخذ ماخذها وتأثيرها من قبل ابو بكر على المجتمعين وبالنتيجة ظهر أول منخذل امام المهاجرين وهو **الحباب بن المنذر** الذي فتح على نفسه باب الحجة الظاهرة اذ قال : فمنكم أمير ومنهم أمير . وهنا جاء دور عمر بن الخطاب فقال : هيهات لايجتمع أثنان في قرن.

ثم نرى موقف **بشير بن سعد الخزرجي**الذي نقض على الخزرج ما أجمعوا عليه بتأييده بـان محمد ( صلى الله عليه آله وسلم ) من قريش وقومه أحق به وأولى وبذلك فقد أعلن خروجه على قومه ،وكان بعد ذلك أول مبايع من القوم.

أما المهاجرين فقدوضح أبو بكر على لسانهم أن لديهم حجج تؤيد بأنهم اولى من الأنصار بالامر ومن هذه الحجج :

* انهم أول من عّبّدّ الله تعالى .
* أنهم أول من آمن بالله ورسوله ( صلى الله عليه وآله وسلم) .
* انهم أولياء الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) وعشيرته.

لذا فان هذه الحجج أضعفت من موقف سعد بن عبادة. لكن هناك سؤال لاسيما وان اسم سعد اخذيتردد كثير في موضوع السقيفة وهو: هل رشح سعد بن عبادة نفسه للخلافة حقا؟

لقد وقع سعد ضحية السياسة حياً وميتاً ، فلقد ألصقوا به ( حياً) تهمة سعيه لغصب الخلافة ، والصقوا به (ميتاً تهمة) مقتله بأيدي الجن ؟ ! .

لقد كان سعد بن عبادة في يوم السقيفة مشغولاً بنفسه لانه كان مرضياً ولو كانت عنده رغبة في قبض الخلافة لقبضها قبل مجيء أبي بكر وعمرو جماعتهم الى السقيفة . لكن هي السياسة تفعل ما تريد ولاتتوانى عن التضحية بما تشاء وكيف تشاء . ولهذا ففي السقيفة كان سعد بن عبادة كبش الفداء .

**نتائج اجتماع السقيفة:**

نستنتج من سير الحادثة إن طريقة بيعة أبي بكر لم تكن طريقة اختيار بالمعنى الصحيح . وعلى حد قول عمر بن الخطاب (( أنها كانت فلتة وقى الله شهرها )) وأن هناك امران عامان تقرران وفقاً لما ظهر من أحداث :

1. أن الانصار لاحق لهم في الأمر .
2. انهم وزراء لمن كانت له الامارة.

وان سير حوادث السقيفة وملابساتها توحي تفسير الآية الكريمة (( أفان مات أو قتل انقلبتم ... )) فاجتماع السقيفة – على كل حال – أنقلاباً على الأعقاب حتى لو لم نؤمن بالنص من قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم ) على من سيكون خليفة من بعده لأن الأجتماع من أصله لم يكن مستنداً الى قاعدة أسلامية أو تصريح من الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وكذلك ماقره الأجتماع لم يكن إلا قراراً خاطفاً تمكنت منه العواطف في المبدأ والمنتهى ،وليس فيه مجال الرجوع الى النص.

**الأمام علي ( عليه السلام ) والسقيفة :**

بدون شك أن الأمام علي ( عليه السلام ) لم يكن على علم بأجتماع الأنصار في سقيفتهم ، حتى بعد ذهاب ابي بكر وعمر وابي عبيدة بن الجراح بل لم يعلم بما تم في السقيفة إلا بعد خروجهم الى المسجد وضجيجهم فبلغه تكبيرهم ،وهو مشغول – لايزال – في جهاز النبي( صلى الله عليه وآله وسلم )ولم يخرج اليهم إلا في اليوم الثاني . والأغرب أنهم لم يدعوه للمشاورة بل حتى للبيعة قبل أن يتم كل شيء.

فهل كان ينبغي أن يرسلوا اليه من يخبره بالأمر – على الأقل- ؟ أم انهم كانوا على حسن نية معه أو ثقة بموافقته لهم ورضاه ؟

لقد قضوا أمرهم بينهم ،ودعوا الناس الى البيعة أشتاتاً ومجتمعين مستشعرين الكفاح والخصومة بل الخوف أمام حزب علي ( عليه السلام ) لذا أنتهزوا فرصة أنشغاله وانشغال اصحابه وبني هاشم بجهاز الرسول (صلى الله عليه واله وسلم ) . ولعل الدليل على ذلك قول الطبري في تاريخه : (( وجاءت أسلم فبايعت فقوي بهم جانب أبي بكر وبايعه الناس )).

فكلمة ( تقوى بهم جانب ابي بكر) يمكن ان نفهم منها أن هناك جانبين متخاصمين يقوى احدهما ويضعف الآخر . وليس المراد الجانب الآخر الانصار لأنهم قد بايعوا في السقيفة ولم يبق الا سعد بن عبدة وابنه ،وليس له من أهتمام الكبير.

* فالأمام علي ( عليه السلام ) لم يلق السقيفة الا بالاستغراب والاستنكار وتوضح ذلك في خطبته الشقشقية ، واقل مايقال في إنكاره تخلفه عن البيعة حتى ماتت السيدة فاطمة الزهراء ( عليه السلام) .
* ومن الظلم ان يقول قائل : أن الامام ( عليه السلام ) تخلف عن البيعة ،وهو صاحب الامر الذي يجب أن يؤتى اليه ،وانما الحق أن نقول إن الناس هم الذين تخلفوا عنه .

واول أعلان له عن رأيه كان عند خروجه في اليوم الثاني للسقيفة كما في مروج الذهب اذ قال لابي بكر : (( أفسدت علينا أمرنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً ))

وهذا القول وحده صرخة في وجه الاستئثار عليه وتصريح بعدم الرضا بما تم وليس علي ( عليه السلام ) ممن يداجي ولا ممن تأخذه في الله لومة لائم.

لذا نرى ان ابا بكر في جواب كلامه السابق يعترف له بقوله : (( ياعلي : ولكن خشيت الفتنة ولم بايع ( عليه السلام) عن طيب خاطر واطمئنان الى الوضع وهو يقول (( فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهباً )) .

لهذا فقد أشارت المصادر الى موقف الامام علي ( عليه السلام ) المعارض لبيعة أبي بكر . لاسيما وانه ( عليه السلام ) احتج بنفس المنطق الذي احتج به ابي بكر على الانصار في أحقية قريش بهذا الامر بان محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم )اولى بها منهم قائلاً : احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة .

وفي ظل هذه الاجواء المضطربة يبرز دور التيار القبلي الأموي بزعامة أبي سفيان الذي وجد هذه الظروف فرصة مؤاتيه لتحقيق مأربه من خلال تأجيج الموقف الى الحد الذي يؤدي الى حرب داخلية بين المسلمين.

وأن أصرار الجانب الآخر على التمسك بالخلافة جعل الأمام علي ( عليه السلام) أمام خيارين :

1. أما أعلان المعارضة مع أنصاره الموالين له وأنتزاع حقه بقوة السيف.
2. او الأستسلام للأمر الواقع حفاظاً على الأسلام وجوهره.

وللوقوف على أسباب أختيار الأمام ( عليه السلام) للخيار الثانيفان ذلك يعود الى نظرته الاستقرئية لواقع المجتمع آنذاك الذي تعرض لجملة من التحديات والمخاطر الخارجية كادت أن تسهم في تصديه وتفككه ، فالتضحية بخيرة صحابه رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) .

يعني المساهمة في القضاء على دولة الاسلام الناشئة التي ضحى من أجلها الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) لكن هذا لايعني أنه ( عليه السلام ) تنازل عن أمامته ودوره الديني لأن مفهوم الأمامة لاينحصر بالمفهوم السياسي بل يفوقه كثيراً.

**وبعد هذا الاستعراض يمكن القول بان هناك ثلاثة أمور نستفيد منها من تحليل أمر السقيفة هي:**

أولاً : أنها مؤتمر فاقد للشرعية من حيث ترتبه على موقف مخالف ،وهو التخلف عن جيش أسامه.

ثانياً : أنها لم تكن بحضور جميع الصحابة فهي أذن ليست بشورى.

ثالثاً : منيت بمعارضة من قبل أعداد كبيرة من رموز المسلمين من الصحابة.

**خلافة ابي بكر( 11هـ -13هـ)**

هو عبد الله بن أبي قحافة بن عثمان بن عامر التيمي .وكان يسمى قبل الاسلام عبد الكعبة ، فلما أسلم سماه النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) عبد الله .شهد عهده الكثير من المنعطفات المهمة في واقع الامة الاسلامية ،واحدثت تغيرات بالغة الاهمية .فمن هذه الامورنبدأ:

**فدك :**

لقد تعرض الكثير من الباحثين والمحققين لقضية فدك وكشفت أقلامهم فيما يتعلق بها من أمور عقائدية وولائية أفضل وأروع الكتب والتحقيقات . وربَّ سائل يسأل .

ماهي فدك ؟ ومن أين جاءت ملكها ؟ ومادلائل هذه الملكية ؟ ونوع التعدي الذي حدث لها ، وعلته ؟ مشروعية الغصب ، والاثار المترتبة على هذا الغضب ؟وغيرها الكثير الكثير من الاسئلة.

يعد تاريخ فدك الى 1500 سنة قبل الاسلام وسميت بهذا اللاسم بسبب سكن أرضها فدك بن همام وفدك هذه عبارة عن سبع قرى تحد بعضها بعضاً ، تقع على سفوح جبال المدينة حتى سيف البرح الأحمر ،مشهورة بكثرة النخيل والغلة ، فهي احدى قرى الحجاز وان بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة .

جاء مالكوها بعد فتح خيبر سنة (7هـ) الى رسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) وأقروا معه عقداً للصلح على أن يكون نصف فدك للرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) ونصفه الآخر لهم في رواية.

وبعد عودته الى المدينة نزل جبرئيل الامين عن الله بالايه (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ) 26 الاسراء.

فدفع ( عليه وآله الصلاة والسلام ) فدك الى أبنة فاطمة الزهراء (عليها السلام ) نحلة لها .وقد أجمع على ذلك أئمة الحديث والمفسرون من الجماعتين لانها ممن لم يوجف عليها بخيل ولاركاب . فكانت فدك في تصرفها في زمان حياة النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) .

وكانت (عليها السلام )تؤجرها وكان المؤجرون يقدموا لها مال الاجارة في ثلاث أقساط ، فتأخذ منه مايكفيها هي وولديها الحسنين ( عليها السلام ) لليلة واحدة ، وتقسم الباقي بين الفقراء والمساكين براً واحساناً منها .

وما ان مات الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أغتنموا الفرصة وأغتصبت فدك وبداء ذلك في عهد ابو بكر وتابع اثره عثمان وبعدهم آل أميه ماعدا الخليفة عمر بن عبد العزيز ثم اعاد الكرة بني العباس عدا المامون .

فعثمان دفعها الى مروان الحكم المجرم . ومثله في الخلافة العباسية ماعدا أعتراف المأمون بفضل علي بن موسى الرضا ( عليه السلام) على الخلفاء وحقه في الخلافة وإعادته فدكا ،ومحاولته اعادة الخلافة الى أهلها الشرعيين وتعينه الأمام علي بن موسى الرضا ( عليه السلام) ولياً للعهد من بعده.

**ثــــروة فـــدك**

المعروف ان صلاحية الارض وجودة المناخ ووفرة المياه عوامل مهمة لقيام الزراعة التي كانت اساس ثروة فدك.

لاسيماوان فدك كانت كثيرة المياه حتى انها كانت تغطيها احياناً، وقد ساعد وجود المياه والارض الصالحة للزراعة على اشتهارها بزراعة النخيل الذي كان يشكل المحصول الرئيس فيها وعماد زراعتها. وكان تمرهم يعرف بالصيحان  .

فهي - فدك - ارض حره فيها عين ونخل، وقد عارض ابن ابي الحديدنخيلها بنخيل الكوفة ، وذكر ياقوت بأن فيها مياهاً وعيوناً .

و ان لها واردات واقتدارات اقتصادية اسهمت في التخفيف عن كاهل المسلمين في مطالع الدولة العربية الاسلامية،ومثل ذلك يقال لخيبر،بل هي اكثر غنى من فدك .

ولم تكن فدك قرية صغيرة كما يظن البعض وانما كانت مجموعة قرى زراعية . وفيرة المياه حتى أن البعض حدد خراجها في كل سنة ثلاثمائة الف دينار  .

ولغناها فقد جاء في بحار الانوار ، ان عمر بن عبد العزيز ، كتب إلى عامله على المدينة ابي بكر:انظر ستة الاف فزد عليها غلة فدك اربعة الاف دينار فأقسمها في ولد فاطمة(عليها السلام) .

اذن مما لاشك فيه ان فدك كانت ذات ثروة كبيرة ، وان ما يؤيد ذلك قول الخليفة ابي بكر للسيدة فاطمة ( عليها السلام ) في دعوى فدك: إنما كان مالاً من اموال المسلمين يحمل النبي به الرجال، وينفقه في سبيل الله فمال تجهز به الجيوش، ويفضل منه ما ينفق في سبيل الله الدليل على سعة ذلك المال. حتى انها قد بلغت قيمة اراضيها الزراعية ( 000,120 ) الف درهماً.

وعلى اية حال فقد كانت فدك في عهد ابو بكر من المصادر المالية العامة ومواردا وثروة للدولة يومذاك . امافي عهد عمر فقد دفعها الى ورثة رسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وبقيت في ايديهم .

ويهمل التاريخ أمر فدك بعد عثمان فلا يصرح عنها بشيء ، لكن الشيء الثابت بأن أمير المؤمنين ( عليه السلام) أنتزعها من مروان على تقدير كونها عنده من خلافة عثمان. وفي عهد معاوية الذي كان قد أمعين في السخرية وأكثر من الاستخفاف بالحق المهضوم فاقطع مروان بن الحكم ثلث فدك ، ومحمد بن عثمان ثلثها ،ويزيد أبنه ثلثها ، فلم يزال يداولوها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم ايام ملكه ... ثم صفت لعمر بن عبد العزيز الذي ردها لولد السيدة فاطمة (عليها السلام) .

ولما تقلد السفاح ردها الى عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي (عليه السلام) ثم قبضها المنصور من بني الحسن .اما المهدي فقد ردها ،في حين موسى بن المهدي انتزعها ، والمأمون ردها على ان المتوكل انتزعها واقطعها عبد الله بن عمر البازيار من اهل طبرستان .ثم عمل المكتفي على حيازتها،لكن المقتدر ردها عليهم.

على اية حال لنعود لفدك ، فهل كان المال يهم السيدة الزهراء ( عليها السلام ) ،وهي لاتأخذ منه لها ولبنيها سوى مايسد جوعها وجوعهم لليلة واحدة؟

لا أنما كانت تريد من دعواها أمر أجل ، غير المال ، كانت تريد رد الحق المغصوب والمسلوب الذي سوف يوزع على غير مستحقيه وهي المسؤولة عنه ، إن لم تدافع عنه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تريد ان تفضح الغاصب وتفحمه بالدليل والبرهان فهي بيد السيدة الزهراء ( عليها السلام ). ولنفرض أن ابا بكر كان جاهلاً بأن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) كان قد اعطاها وملكها ووهبها فدكا.فهلا كان عليه ان يسألها قبل الأنتزاع منهاهذا اولا ؟ وثانياً لو كان أبو بكر جاهلا بكون فدك ملكاً لها ، فهل يجوز له أن يطالبها بالبينة على كونها ملك لها ،ويأخذ بشهادة الشهود . هذا خلاف للقاعدة فقد شهد لها والامام علي والامامان الحسن والحسين ( عليهم السلام) وأم ايمن.

**الحكمة من منع الزهراء ( عليها السلام ) فدك :**

كانت السيدة الزهراء ( عليها السلام ) ذات نفوذ قوي وتأثير عظيم في سياسة الدولة الاسلامية ، عقب أنتقال رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم) الى الرفيق الأعلى .

وبالتالي كان يمكن لها أن تغير مسير الأحداث باتجاه آخر مستندة في ذلك على قدسيتها المستقرة في نفوس الناس.

**فالحكمة** اذن ... هي منعها ( عليها السلام) من الخلافة . فهي ليست مجرد بستان نخيل . وانما هي تعبير ثان عن الخلافة الاسلامية ،وانها ( عليها السلام) حينما كانت تدافع عن حقها بفدك فانها تدافع عن اصل الولاية - ولاية امير المؤمنين ( عليه السلام)- .

**أهم دوافع السيدة الزهراء ( عليها السلام) من مطالبتها بفدك :-**

أن أي إنسان له أدنى درجات الاطلاع على السيرة العطرة للسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يستطيع أن يستنتج من مقارنة بسيطة وهو إن سمو نفس الزهراء ( عليها السلام) وبلوغها أتم درجات الزهد وارتقائها قمة التقوى وتربعها على عرش الأخلاق ،وغيرها من الخصال والصفات التي يعجز العقل السليم عن الإحاطة بها قد سمت بها الى أسمى منازل الرفعة وأعلى درجات الكمال، أن لا يكون الجانب المادي هو الدافع الأساس لسعي الزهراء ( عليها السلام) المتواصل في المطالبة بفدك حتى وأن كان حقاً من حقوقها ، لأن هذه الذات الطاهرة وما عرف عنها من الزهد عن هذه الدنيا وزخارفها ، كانت تماماً بمعزل عن جميع مغريات الدنيا، إذن فما الذي دعاها الى هذه المبادرة والى هذا السعي المتواصل والجهود المستمرة في طلب حقوقها ؟ وما سبب هذا الآصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأراضي والنخيل مع ما كانت تتمتع به السيدة فاطمة ( عليها السلام) من علو النفس وسمو المقام.

اذن لابد أن تكون هنالك جملة من العوامل والاسباب التي دفعت بالزهراء( عليها السلام) للقيام بهذه النهضة وتجشم الصعوبات المجهدة للمطالبة بأراضيها وهي تعلم أن مساعيها سوف تبوء بالفشل وإنها لاتستطيع التغلب على الموقف ، لكن محاولتها كانت من باب إلقاء الحجة الظاهرة ليس إلا ،وبعد هذه المقدمة البسيطة يمكن أن يتبادر لأذهاننا من التصورات مع يقيننا إن هذه التصورات ايضاً ليست هي كل الاسباب التي دفعت بالزهراء( عليها السلام) للقيام بهذه الثورة.

1. **الجانب الديني**

لقد أخبرنا التأريخ عن الموقع الريادي لأهل البيت ( عليهم السلام) في كيفية التعامل مع الفقراء والمساكين وسد حاجة المعوزين بحيث كانوا يصلون بعطائهم لمن يسألهم حد الغنى ، بل كانوا يعطون كل مايملكون ،وهنا فإن التبرع ببعض حاجات الانسان ومستلزمات حياته اليومية دليل قاطع على كرم نفسه خاصة إذا كانت تلك الحاجات ثمينة نوعا ما ،ولكن على ماذا يدل تبرع الانسان حتى بقوت يومه فهذه سورة الدهر تخبرنا عن كيفية تصدق أهل البيت ( عليهم السلام ) بقوتهم لثلاث أيام متتالية للمسكين واليتيم والأسير (( ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتياً وأسيراً \* إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً))

فالقرآن الكريم إذا عندما خلد هذه الحادثة إنما خلدها لصفاء وصدق نية المتصدق والانقطاع المطلق في هذه الصدقة لله سبحانه وتعالى حتى إنهم لا يريدون من التصديق عليهم أدنى درجات الشكر والعرفان عن الجميل المزدى إليهم فهل إن مثل أهل البيت ( عليهم السلام) يستطيعون أن يعيشوا دون أن يكون لهم مورداً اقتصادياً خاصاً بهم يدر عليهم مقداراً معيناً وإن كثر فإنه يقيناً لايصل الى مقدار قصد الناس إليهم ،والى رغبة أهل البيت ( عليهم السلام) العالية في عدم إرجاع أي سائل يطرق بابهم ، فضلاً عن إن الصدقة تحرم على أهل البيت ( عليهم السلام) فبالتأكيد كان المنظار الأول للزهراء ( عليها السلام) في مطالبتها بفدك من هذه الزاوية فهي التي سجلت رقماً قياسياً بالتبرع بأحسن ماعندها وفي أجمل أيام عمرها المبارك عندما تبرعت بثوبها الذي أهداه لها أبوها الكريم في ليلة زفافها فامتنعت عن إعطاء السائل أقل من أحسن وأفضل شيء عندها وتسامت الى درجة الكمال لتبلغ مصداق الاية المباركة ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما يحبون وماتنفقوا من شيء فإن الله به عليم )) فيقيناً ان الجانب الديني هو الدافع الأول الذي دفع الزهراء ( عليها السلام) للمطالبة بفدك لما لهم من الصدارة في هذا الجانب.

1. **الجانب السياسي**

إن الزهراء( عليها السلام) في مطالبتها بفدك أرادت فضح السلطة واظهارها على حقيقتها للرأي العام الموجود آنذاك والأجيال اللاحقة فهي لا تتورع عن سلب واغتصاب فئ رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وهو في يد ابنته وبضعته التي قال عنها ( فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن سرها فقد سرني ومن أغاظها فقد أغاظني) ، فما قيمة الادعاء بالخلافة أمام وضوح هذا الحق خاصة وان هنالك من يؤيد عدم ترشيح أمير المؤمنين(عليه السلام) للخلافة لمواقف سياسية وعصبيات جاهلية يطول المقام الى ذكرها ، فلو استجابت السلطة لدعوة الزهراء ( عليها السلام) في فدك لكانت في موقف لاتحسد عليه فيما إذا تقدمت الزهراء( عليها السلام) بعد ذلك وادعت بأحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) في خلافة رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم) فالتسليم بصدق الزهراء( عليها السلام) بدعوى فدك يعني أن السلطة قد سجلت على نفسها إن السيدة الزهراء( عليها السلام) صادقة فيما تدعيه من غير الحاجة الى بينة أو شهود ، فالزهراء( عليها السلام) في هذه المبادرة جعلت السلطة بين أمرين إما الاستجابة لمطلب الزهراء( عليها السلام) والاعتراف لها بأحقية فدك ومن ثم الوقوع بالمحذور بالنسبة للسلطة والتسليم بالتنازل لأمير المؤمنين (عليه السلام) عن حقه بالخلافة أو منع الزهراء ( عليها السلام) عن حقها في فدك وقطع الطريق عليها في الوصول الى مبتغاها الحقيقي من خلال مطالبتها الظاهرية بفدك .

**3-الجانب الاجتماعي:-**

أن حملة المبادئ الذين يستندون على أسس عقائدية رصينة يتشبثون بشتى الوسائل الصحيحة لايصال صوتهم الى العقول والقلوب السليمة ، فالزهراء ( عليها السلام) جعلت من الأخلاق والاسلوب المنطقي والاحتجاج بالأدلة والبراهين الشرعية والاجتماعية والاحتجاج السلمي والتظلم أساساً لها في ادعائها بفدك لذلك كان اسلوب الزهراء ( عليها السلام) اكثر تأثيراً في النفوس السليمة والعقول الناضجة بحيث أخذت مسألة فدك حيزاً واسعاً جداً في التأريخ الاسلامي بسبب ذلك الأسلوب حيث توفرت فيه جميع عوامل النجاح فهو يستند على أساس ديني وقانوني وانساني بحيث استجاب له قسم وأيده قسم وتعاطف معه قسم آخر وبين هذه الأحوال أشمأزت نفوس أغلب الطبقات من أي ظالم كائن من كان ففطرة الانسان تدفعه للاستجابة للمنطق السليم والتعاطف مع المظلوم أيضاً كائن من كان فالزهراء( عليها السلام) في دعواها بفدك سجلت نجاحاً اجتماعياً على مختلف الصعد وفي نفوس مختلف طبقات المجتمع.

**4-الجانب الأقتصادي:-**

أن مثل الزهراء ( عليها السلام) بكل ما تحمل من معاني وقيم ومبادئ سامية تعرفها العقول وتأيد أنها زاهدة عن زخارف الدنيا وزينتها ، لكن ما يجب معرفته أن فدك ليست أرضاً صغيرة أو مزرعة متواضعة كما يعتقد بعضهم ،أنما كانت مورداً مهماً وكبيراً جداً تدر على صاحبها أموال طائلة تشكل ثروة مهمة .ونحن لسنا بصدد تحديد حاصلها السنوي ، فقد تفاوتت الروايات في ذلك ،ولكن أهم ما يوضح قيمتها المادية ما يأتي :

1. إن السلطة منعت الزهراء ( عليها السلام) من فدك لضعف المالية العامة للسلطة وحاجتها للقوة والتسليح لما يتهدد الموقف من حروب الردة ومواجهة التمردات والتعامل مع المستجدات والمتغيرات المتوقع حدوثها يوضح لنا بشكل جلي عن واردات فدك بحيث يستعان بها على ما ذكرنا فضلاً عن تقوية ميزانية الدولة ومواجهة المتغيرات في تلك الظروف الحرجة فلا بد أن تكون فدك ذات نتاج عظيم .
2. قول الخليفة لفاطمة ( عليها السلام) في محاورة له معها حول فدك إن هذا المال لم يكن للنبي وإنما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل به النبي (صلى الله عليه واله وسلم)الرجال وينفقه في سبيل الله ، فإن تحميل الرجال لا يكون الا بمال كثير يتناسب واعداد الجيش ونفقاته آنذاك.

ج - ماسبق من تقسيم معاوية فدك أثلاث واعطائه لكل من يزيد ومروان وعمرو بن عثمان ، فإن هذا يدل على مدى الثروة المجناة من تلك الأرض فأنها بلا شك ثروة عظيمة تصلح لأن توزع على أولئك الأشخاص الثلاث فهم من أصحاب الثراء العريض والأموال الطائلة.

د- التعبير عنها بقرية كما في معجم البلدان وتقدير بعض نخيلها في القرن السادس الهجري بنخيل الكوفة ،وهذا لايعني أن مطالبة الزهراء ( عليها السلام) بفدك لما لها من قيمة مادية - كما أسلفنا- بقدر ماتبغي الزهراء( عليها السلام) من استعمال قيمة فدك وتسخيرها في مرضاة الله من خلال مساعدة الفقراء والمساكين ولا داعي للاطالة فكلامنا لايضيف على ماعرفت به الزهراء( عليها السلام) في هذا الجانب ولكن ما نريد بيانه أن لهذه الاسباب ولغيرها قامت الزهراء( عليها السلام) وتوجهت نحو مسجد أبيها رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم) لأجل المطالبة بحقها ، فهي لم تذهب الى دار الخليفة آبا بكر ليقع الحوار بينها وبينه فقط ، بل اختارت المكان الأنسب وهو المركز الاسلامي ومجمع المسلمين يوم ذاك ،وهو مسجد الرسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم) كما وأنها اختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار ولم تخرج وحدها للمسجد ، بل خرجت في جماعة من النساء ،وكأنها في مسيرة نسائية ،وقبل ذلك تقرر اختيار موضع من المسجد لجلوس بضعة رسول الله وروحه التي بين جنبية ،وعلقوا ستراً لتجلس السيدة الطاهرة ( عليها السلام) خلف الستار ، إّ ذ هي فخر المخدرات وسيدة المحجبات ،وقد استعد كل من حضر لاستماع ماتريد طرحه سيدة نساء العالمين ( عليها السلام) ، فخطبت ( عليها السلام) خطبة ارتجالية منظمة منسقة ، بعيدة عن الاضطرابات في الكلام ومنزهة عن المغالطة والمراوغة والتهريج والتشنيع ، بل وعن كل ما لايلائم عظمتها وشخصيتها الفذة فتحدثت وكانت مسلحة بسلاح الحجة الواضحة والبرهان القاطع ،والدليل القوي المقنع ولكن دخولها في ذلك اليوم كان لأول مرة بعد وفاة أبيها العظيم ( صلى الله عليه وآله وسلم) فلا عجب إذا هاجت بها الاحزان وأنت أنة ، عجز أنا عن معرفة كنهها حيث تأثيرها البالغ في نفوس جميع من حضر ، اذ اجهشوا بالبكاء بمجرد أن سمعوا صوتها ( عليها السلام) .

فهل بكائهم كا ن حسرة على شيء مضي أم ندما لأمر اقترفوه أم لوماً على حق أضاعوه أم شعوراً بالذنب والتقصير لما أوصى به نبيهم الكريم حيث استودعهم ابنته الطاهرة وذريتها الكرام ؟ تبقى جميع الاحتمالات مفتوحة في تفسير بكاء القوم .

**أهم استنتاجات المطالبة بفدك:**

كما أسلفنا في ما مضى ان عظمة الزهراء ( عليها السلام) تسمو عن المطالبة بفدك لقيمتها المادية فقط ، بل أرادت بعد جملة من الدوافع التي دفعتها لتلك النهضة المباركة أن تعطي للأجيال دروساً ومعاني يعتبر منها أولي الألباب لأن هذا من حق الأجيال عليها لما لها من رفعة المقام وعلو المنزلة ومن هذه الدروس ما يأتي:-

1. إن الإنسان وإن كان زاهداً في الدنيا وراغباً في الآخرة فإنه مع ذلك يحتاج إلى المال ليصلح به شأنه ويحفظ به ماء وجه ويصل به رحمه وينفقه في سبيل الله كما تقتضيه الحكمة ، أما ترى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وهو أزهد الزهاد كيف انتفع بأموال السيدة خديجة( عليها السلام) في سبيل تقوية الاسلام.
2. إن الحقوق تؤخذ ولا تعطي فلا بد للإنسان المغصوب منه ماله أن يطالب بحقه لأنه حقه وإن كان مستغنياً عنه وزاهداً فيه وذلك لاينافي الزهد وترك الدنيا ،ولاينبغي السكوت عن الحق.
3. قد تقتضي الحكمة أن يطالب الإنسان بحقه المغصوب فالأمر لايخلو من أحد الوجهين أما أن يفوز الإنسان ويظفر بما يريد وهو المطلوب وبه يتحقق هدفه من المطالبة ،وأما لايفوز في مطالبته فلن يظفر بالمال فهو حين ذاك قد أبدى ظلامته وأعلن للناس انه مظلوم وإن أمواله غصبت منه ، هذا وخاصة اذا كان الغاصب ممن يدعي الصلاح والفلاح ويتظاهر بالديانه والتقوى فإن المظلوم يعرفه للأجيال إنه غير صادق فيما يدعي .
4. أرادت الزهراء ( عليه السلام) إن تعرف الأجيال كيفية المطالبة بالحقوق حتى إذا كان الخصم أعلى سلطة في الدولة وبذلك وضعت أساساً للاحتجاج السلمي الذي تنادي به اليوم الشعوب المتحضرة فإذا حصل الإنسان على مطاليبة فقد وصل الى مبتغاه واذا حصل العكس فإنه يكشف اللثام عن الوجه الحقيقي للخصم وخاصة إذا كان الخصم يدعي التقوى والورع كما أسلفنا فهو بذلك يضع الخصم أمام أمرين لا ثالث لهما اما أن يسلم ويعطي المظلوم حقه كي يحتفظ بصورة الورع والتقوى المعروف بها بين الناس ،وأما أن يضطهد الخصم ويمنعه حقه وبذلك ينتهك بعض من حقوق الإنسان والتي تحتل اليوم مساحة واسعة في أفق الشعارات التي تتظاهر أغلب الدول برفعها نظرياً لاعملياً ، فهذا الشعار الذي له من الصدى المرتبة الأولى في هذا الزمان والذي تدعيه الدول المتزينة بزي الديمقراطية وضع أساسه أهل البيت ( عليهم السلام) منذ أربعة عشر قرناً تقريباً وطبقوه عملياً من حيث احترام هذه الحقوق.

**حملة اسامة بن زيد:**

كثرت الروايات التي تتحدث عن جيش اسامة في كتب السنن والتاريخ . الا أن هذه الروايات على كثرتها لم تكشف لنا السر وراء أصرار الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) على بعث هذا الجيش الى الخارج في مثل تلك الظروف التي كان يعيشها المجتمع المدني آنذاك وهو يترقب وفاة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) ليتم تسير الحملة الى مؤتة – بفلسطين-

**من هواسامة بن زيد ؟**

هو أسامة بن زيد بن حارثه ذلك الفتى البالغ من العمر 17 سنة ورواية 18 سنة ورواية ثالثة 19 سنة. أختاره الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ،وهو في أيامه الأخيرة وقد أستولى عليه المرض لقيادة جيش ضخم يضم في صفوفه أعيان وكبار الصحابة وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريش .

ولم يبق من وجوه المهاجرين والأنصار الا انتدب في تلك الغزوة عدا الأمام علي ( عليه السلام) الذي أبقاه النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) الى جواره.

والملفت للانتباه في حملة أسامة بن زيد أن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) يامر مؤكداً : "جهزوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عنه".

ويأمر هذا الجيش بترك المدينة فوراً مع عدم وجود خطر فعلي يهددها –المدينة-. ثم ان الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ندب أسامة بن زيد بن حارثه أن يخرج بجمهور الأمة الى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم.

لكن الى ماذا يشير اصرار النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) على ضرورة تحقيق مسألة ارسال جيش أسامة ؟

* أن هناك قوى تقف في طريق تحرك هذا الجيش.
* أن تحرك هذا الجيش له أهمية قصوى بالنسبة لحركة الدعوة.

**الطعن الموجه الى اسامة بن زيد:**

عندما بعث النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) السرية التي عليها أسامة بن زيد ، طعن البعض في صغر سنه. فبلغ ذلك الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ،وقال :

إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة ،وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله ،وإنهما لخليقان لها وإنه لمن أحب الناس الي ، آلا فأوصيكم بأسامة خيراً .

ويبدو إن هذا الموقف كان قد أتخذ مسبقاً من إمارة أبيه في غزوة مؤته التي استشهد فيها. الا أن زيد لم يكن صغيراً في السن ، وأن النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) عندما يشير الى شكه في موقفهم مذكراً لهم أن هذا الموقف اتخذتموه من قبل في إمارة أبيه ؟

وإن العجب كل العجب أن البعض أمتنع عن الالتحاق بذلك الجيش أجتهاداً منهم. وان هؤلاء القوم كانوا يضمرون في نفوسهم أمراً ويتحجبون لحجج واهية كي لايخرجوا من المدينة.

ثم أن الوضع يشير الى عمق الأتجاه الاجتهادي ورسوخه وهذا واضح مما حصل من نزاع حول تامير أسامة على الجيش بالرغم من النص النبوي الصريح على ذلك.

ثم هناك تساؤلات حول هذا التخلف عن الحملة ،أو عدم الأسراع في المسير ؟ أم بسبب أن أميرهم كان شاباً وهم يأنفون من هذه القيادة ؟ أحقاً أن تأخرهم قلقاً على الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) لانه مريض ؟ أم هناك أمور أخرى؟

وأن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) كان كلما فتح عينيه سأل عن مجريات أمور ذلك الجيش.

والملفت للانتباه أيضاً انه ما أن التحق الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم )بركب الصالحين مع الانبياء عند الملك العزيز ، بعد خروج جيش أسامة بيومين حتى رجع أهل العسكر وخالفوا أمر الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ورجفت المدينة عند ذلك وبرزت الفتن.

واشتغل القوم بأمر الخلافة في وقت كان أبو بكر كان قد ذهب الى منطقة السنح وبقى عند زوجته هناك ،ولم يعد الا بعد ان استشهد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فلم يشارك في الحملة لا قائدا ولا مأموراً.

وعلى اية حال فأن عصيان حملة اسامة قد استمر اسبوعين من الزمن . أذ أمر الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ( لثلاث بقين من صفر – والرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) استشهد في 12 ربيع الاول ) ولم تنفذ الحملة لمقاتلة الروم الى الوقت الاخير.

**تحرك الحملة**

دخل أسامة من معسكره فوجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) فأمره بالخروج وتعجيل النفوذ قائلاً اياه : أنفذ على بركة الله .

فودع الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وخرج . وعندما خروجه الى منطقة الجرف - من المدينة على فرسخ -، ومن المفيد أن نذكر ايضاً أن تجهيز الحملة لغزو الروم كان قبل موت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) بيومين ، فندب الناس لغزوهم في آخر صفر . وبالتحديد لثلاث بقين من صفر ، أي حدثت الأحداث بعد حوالي شهرين على حجة الوداع وبيعة الغدير ونزول آية (( اليوم اكملت لكم)) وتذكر الروايات أن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) قد استدعى ابا بكر وعمر وجماعة ممن حضروا المسجد من المسلمين . قائلاً :

ألم أمر أن تنفذوا جيش أسامة ؟

قالوا : بلى يارسول الله .

قال : فلم تأخرتم عن أمري ؟

قال أبو بكر : إنني كنت خرجت ثم عدت لأجدد بك عهدا.

وقال عمر : يارسول الله ، لم أخرج لانني لم أحب أن أسأل عنك الركب .

فقال ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : فانفذوا جيش اسامة. ثلاث مرات ويبدو ان الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) كان قد غضب غضباً شديداً واضطر الى أن يخرج مخاطباً للمسلمين في مرضه وهو معصوب الرأس ،وفي ذلك دلالة على وجوب الأمر لاعناً المتخلفين عن الحملة .

وغضب ثانية وطردهم من بيته ، فاجتمع في حقهم اللعن والطرد النبوي من بيته ( صلى الله عليه وآله وسلم ).

**ما هي أسباب هذا العصيان ؟**

* ان لهذه الحملة عصيان في حياة النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وفي زمن خلافة ابو بكر ، فقريش لعلها رفضت لأنها كانت تخشى حرب الروم في الشام وذكريات مؤته مازالت عالقة في أذهانهم حيث أستشهد كلا من جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثه . وعبد الله بن رواحة.
* وربما انها كانت تخشى أن ينصب الأمام علي ( عليه السلام) خليفة من بعد النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) لا سيما وانه ابفاه الى جواره في المدينة.
* والطريف في هذا الأمر أنه لما جهز أبو بكر حملة أسامة سأل أسامة أن يأذن لعمر بن الخطاب بالأقامة في المدينة ، فأذن له وهو قد أستثنى نفسه بحكم تسلمه الخلافة.

و أستمر البعض في معارضته الحملة حتى في خلافة ابي بكر حتى ان عمر بن الخطاب قال للخليفة: إن الأنصار أمروني أن أبلغك ،وأنهم يطلبون اليك أن تولي رجلا أقدم سناً من أسامة.

فوثب ابو بكر وكان جالساً فاخذ بلحية عمر فقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، أستعمله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وتأمرني أن أنزعه.

وعلى أية حال ذهب أسامة بحملته وحقق أنتصارا ساحقا ومغانم عاد بها الى المدينة .

**حروب الردة ومانعي الزكاة:**

يجب عدم الخلط بين حروب الردة ،وحروب مانعي الزكاة . ولنبدأ اولا بالمرتدين فمن هم المرتدون ؟

الحقيقة أن المرتدين هم المتنبئون الذين جمعوا الجيوش لحرب المسلمين وهم على سبيل المثال : الاسود والعنسي ،و طليحة بن خويلد ،و مسيلمة الكذاب ،و سجاح التغلبية ،ووعلقمة بن علاثة ،و سلمى بنت مالك وغيرهم .

كانت حروب الردة منحصرة في جبهتين :-

1. جبهة حضرموت ضد قبائل كندة ومأرب وأمير العسكر عليهم كان عكرمة بن أبي جهل.
2. جبهة أطراف المدينة ضد قبائل عبس وذبيان وبني كنانة وغيرها بقيادة خالد بن الوليد .

ولنبدأ من حيث القرب الزمني لهذه الحركات التي ظهرت في حياة النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم)

**الأسود العنسي :**

هوعبلة بن كعب عرف بالاسود لسواد وجهه والعنسي لانه من قبيلة عنس ، أما مقره فكان في اليمن . ظهر في عهد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) ،بعد أن أنضوى أهل اليمن للاسلام وتوليه ( باذان الفارسي ) الذي كان عاملاً للاكاسرة على اليمن وبقى في منصبه حتى بعد اسلامه.

كان مقره في صنعاء .وقد ثار عبهله قبيل وفاة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) ولقب آنذاك ( ذو الخمار) لانه كان يلبس خماراً على وجهه كعادة الكاهن .

**وكانت حركته في بدايتها تهدف الى :**

* إثارة الروح القومية في بلاد اليمن للتخلص من (الابناء) - وهم قوم من أبناء الفرس ، سبق وان بعث ملك الفرس فريقاً من جنده لمعاونة سيف بن ذي يزن على إخراج الأحباش من اليمن ، فلما نصروه وملوكه اليمن ظلوا بتلك البلاد وأختلطوا بالعرب وتزوجوا منهم فقيل لاولادهم الابناء -.
* والتخلص من المسلمين اللذين هم ليسوا من أصل يماني لذا بعث الى الولاة المسلمين بكتب مدعياً أنه أحق منهم في حكم البلاد.

فادعى النبوة ،وأستغل خبر مرض الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) فتحرك بدعوته وأطلق على نفسه ( رحمان اليمن ) وادعى أن ملكين يأتيانه هما سحيق وشقيق أو شريق. عمل أول أمره سراً بأن يجمع حوله من يراه مناسباً حتى فاجاء الناس بظهوره.

وبدأت تتجه كثير من القبائل ناحيته مما جعله يفكر في مهاجمة صنعاء وعاملها . فنجح في ذلك وأمتلكها .وألحق الهزيمة بالأبناء .. واستتب له الملك في اليمن . وبعث بعدها الى الولاة يقول لهم ايها المتوردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ...ووفروا ماجمعتم فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه.

بلغ ذلك النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) فأرسل الى ولاة المسلمين باليمن وأمرهم بالقيام بأمر دينهم ومناهضة الاسود العنسي.

-فخرج ( معاذ بن جبل) ومر بأبي موسى الأشعري وهو في مأرب فخرج معه وتوجها الى حضر موت. وتظافرت جهود قادة القبائل من حمير وهمذان وأهل نجران وانضم اليهم الآبناء من اهل اليمن .

-واستمالوا ( قيس بن مكشوح المرادي) قائد جيش العنسي للتخلص منه وكان على خلاف معه .. ويخشى أن يتغير عليه .

- وضموا الى صفهم زوجة العنسي والتي تدعى ( أذاد) وهي ارملة شهر بن باذان(عامل اليمن) وهي أبنة عم فيروز الذي قتل الاسود العنسي التي أرادت أن تنتقم لنفسها ولدينها من الذي تزوجها بالقوة بعد قتل زوجها ودبرت الخطة للتخلص منه وهو على فراش نومه.

وفعلاً نجحت الخطة وقتل الأسود وألقي برأسه بين أصحابه فانتابتهم الرهبة وعمهم الخوف وفروا هاربين . ورجع أصحاب النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) الى أعمالهم.

وصل الخبر الى النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) من السماء في الليلة التي قتل فيها العنسي . فقال : قتل العنسي البارحة قتله فيروز.

وعُين معاذ بن جبل أميراً على صنعاء لمدة قصيرة ثم عين أبو بكر بعد توليه الخلافة فيروز الديلمي.

**طليحة بن خويلد بن نوفل الفقسي الأسدي ( أخطر المتنبئين وأحسنهم عاقبة ):**

أسلم بعد انتصار الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) على قريش واليهود واخذت الوفود تأتيه . وكان في حرب المشركين يوم الأحزاب ،حتى انه يعد فيما يقولون بألف فارس .

أدعى النبوة ، فاتبعه بنو أسد ،وأنضم أليه عيينة بن حصن في 700 من فزارة ( غطفان). وأشتهر مع طليحة أخوه سلمه ،وسُميا الطليحتان وأبنه حبال بن سلمة.

وبعد معركة أحد جمع هو وأخوه سلمه أنصاراً ليغزو المدينة قائلين : نسير الى محمد في عقر داره ،ونصيب من أطرافه ،ونخرج على متون الخيل ... فان أصبنا نهباً لن ندرك وإن لاقينا جمعهم كنا قد أخذنا للحرب عدتها ، معنا الخيل ولاخيل معهم . والقوم منكبون قد وقعت بهم قريش حديثاً.

فقام رجل منهم يقال ( له قيس بن الحارث بن عمير ) فقال : ياقوم والله ماهذا برأي مالنا قبلهم وتر ،وماهم نهبه لمنتهب . إن دارنا بعيدة عن يثرب ،ومالنا جمع كجمع قريش ، مكثت قريش دهراً تسير في العرب تستنصرها ... الخ الى ان قال : ولا آمن أن تكون الدائرة عليكم.

فكاد ذلك يشككهم في المسير فدعا الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) ابا سلمة بن عبد الأسد قائلاً له أخرج في سرية ،وسر حتى ترد أرض بني أسد فأغر عليهم قبل أن تلاقي عليك جمعهم ،واوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خير . فسار معه دليلاً وأغار عليهم وعلى سرحهم فضموه .واخذ رعاءلهم مماليك ثلاثة ،وأفلت سائرهم . فجاءوا فاخبروهم الخبر وحذروهم جمع أبي سلمة وكبروه عندهم.

فتفرق الجمع في كل جهة ، وعندما وردهم ابو سلمة وجد جمعهم قد تفرق، عندها عسكر وطلب من أصحابه أن يتفرقوا الى ثلاث فرق .

فرقة أقامت معه وفرقتان اغارتا في نواحي شتى . وطلب منهم ان لايبيتوا الا عنده إن أسلموا وأمرهم أن لا يفترقوا. فاتوا اليه جميعاً سالمين قد أصابو إبلاً وشاء ولم يلقوا أحداً منهم . فجاء أبو سلمة بذلك الى المدينة .

والجدير بالذكرايضا أن طليحة كان قد أستغل فشل أغتياله لتحشيد أنصاره ، فعندما وجه اليه النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم)ضرار بن الازور عاملاً على بني أسد ،وأمرهم بالقيام على من أرتد ، ضعف أمر طليحة ، فضربه بالسيف فلم يصنع فيه شيئاً ، فشاع بين الناس أن السلاح لايعمل فيه ، فكثر جمعه.

ومات النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) وهم على ذلك ،وكان يقول ان جبرائيل يأتيه وأخذ يسجع الناس الأكاذيب ،حتى انه كان يامرهم بترك السجود في الصلاة.

واجتمع حوله أنصاره عصبية . وعسكروا بسميراء قرب حائل ، فقد كثر أنصاره من وراء أختراع فشل محاولة أغتياله اكذوبة وأن السلاح لايعمل فيه.

فاضطر عمال النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) أن يهربوا واضطهد طليحة أنصارهم الثابتين على الاسلام ،وقتل منهم عددا والعجب أن بعض زعماء القبائل سارعوا الى تاييد نبوته ،ولم يطلبوا منه معجزة دليلاً عليها وأرسل له بعضهم أيمانه به ولم يره . حتى أن كلامه الذي زعم أنه وحي كان ركيكاً . مما يدل على أن النبوة عندهم حركة سياسية ، يأملون بها الربح الدنيوي.

حتى أن عدي بن حاتم كان قد أبتكر أمراً عند قيادته لمحاربة طليحة إذ قام بعملين كبيرين سبباً نصر المسلمين ،وهزيمة طليحة وفراره الى الشام.

فقد قصد رؤساء بطون طي الذين أنضموا الى طليحة أو أرسل أليهم وأحضروهم وتكلم معهم باسلوبه المقنع من موقعه كرئيس طي العام واقنعهم بترك طليحة لانه كذاب وليس نبياً. وحذرهم من جيش المسلمين الذي سيأتي لحرب طليحة. ومن المفيد أن نذكر أن طليحة كان ذكياً ـ خطيباً وشاعراً وسجاعاً لكن هوى التعصب الذي كان المسيطر على الجزيرة غلبه فأدعى النبوة . ثم أدرك بسرعة أنه يسير في خيال ، فقرر الأنسحاب والفرار من المعركة ، ثم ندم وتاب وأخذ يعمل ليقبله الخليفة والمسلمون. بعد ان فرّ طليحة الى الشام حسنت سيرته وصح أسلامه حتى أنه شارك في عمليات الفتح والتحرير التي سياتي ذكرها لاحقاً .

**حركة مسيلمة الكذاب:**

من قبيلة الاحناف كان قد جمع حوله عدد من ابناءقبيلته وغيرهم ،وكان مركزه اليمامه. وكان ( ثمامه بن أثال ) رئيس بني حنيفة زمن النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم).

وعندما أدعى مسيلمة النبوة ،وقف ثمامه في وجهه وحذر بني حنيفة من تصديقه ، لكن أكثرهم لم يسمعوا كلامه وأطاعوا مسيلمة فسيطر على مدينة ( حجر) وهي عاصمة اليمامة ،وأخرج ثمامة بن أثال.

فكتب ثمامة الى الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره بالخبر لا سيماوانه كان عامل الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) على اليمامة. فامره الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقف ضد هذه الحركة ويقاتله اذا لزم الامر.

وكثر أتباع مسيلمة في هذه المرحلة بصورة ملفته للأنتباه هذا مع العلم أن مسيلمة كان ضمن الوفد الذي جاء الى النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) عام الوفود . وعندما رجع الى بلاده أدعى النبوة وأنه أشرك مع الرسول في الامر . فاتبعه قومهوأدعى أن الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) قد تنازل له عن نصف الأرض ،حتى انه كتب يقول :من مسيلمة الى محمد رسول الله اما بعد : فأني قد أشركت معك في الأمر ،وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها.

فرد عليه الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) : من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، سلام على من أتبع الهدى ، أما بعد فأن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين .

هذا مع العلم ان رسالة مسيلمة الى الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) كانت بعد حجة الوداع وبعدها توفي الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم).

فارسل ابو بكر عكرمة بن ابي جهل ،وسير بعده وعلى أثره شرحبيل بن حسنة الا ان عكرمة لم ينتظر هذا المدد وتعجل لعله يظفر بمسيلمة لكنه هزم .وحقق مسيلمة انتصارا فعقد اللواء الى شرحبيل يأمره بالقيام حتى يأتيه أمره.

وقد حاول مسيلمة أخضاع شخصيات من قبيلته . وانظم اليه نفر من قومه الى ثمامة بن آثال . الذين أصبحوا عوناً لعكرمة بن ابي جهل. هنا ظهرت سجاح التغلبية التي توجهت الى اليمامه حيث مسيلمة ووحدت جهودها معه فبادر بدوره الى عرض نصف الارض التي كانت لقريش لها فقبلت ، وعرض عليها الزواج فقبلت ايضا. وجعل صداقها تخفيف صلاتين من الصلاة المفروضة وهما صلاة الفجر والعشاء. لكنها لم تستمر معه فلما علمت بقدوم جيش خالد بن الوليد فرت عائدة الى بلادها في الجزيرة.

لكن بالرغم من ذلك فقد وصلت قوات مسيلمة بنحو 40.000 وتزيد على ذلك ،في وقت وصلت قوات خالد بن الوليد ،عندها عسكر مسيلمة في طرف اليمامة في منطقة عقرباء.

وبدأت المعركة واشتد القتال ولاح أنتصار مسيلمة ورجاله الا أن الموقف تغيير إذ أستمات عدد كبير من المسلمين لمقاتلة المرتدين الذين فروا حتى وصلوا الى منطقة تعرف بـ ( حديقة الموت) واشار محكم بن الطفيل على جماعة مسيلمة أن يدخلوها فدخلوها واغلق بنو حنيفة الحديقة عليهم ،وأحاط بهم المسلمون.

عندها قال البراء بن مالك : يامعشر المسلمين القوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف -وهي تروس من جلود - ورفعوها بالرماح حتى القوه عليهم من فوق سورها وأستطاع أن يفتح الباب بعد قتال، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها حتى أنتهوا الى مسيلمة وقتلوه. ويذكر الذهبي أن وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم هو الذي تقدم اليه فرماه بحربته فاصابه وخرجت من الجانب الآخر ثم اقبلوا عليهم يقتلونهم وانتهت بذلك حركة مسيلمة الكذاب.

**نتائج حروب الردة**

1. توطيد أركان الدولة :- أوقفت الدولة الخرق الذي كان من الممكن أن يضعف الدولة الوليدة فقد تم أيقاف كل من كانت تسول له نفسه الخروج على الدين والاستهانة بحق من حقوقهفقد قامت للاسلام دولة عظيمة خضعت لها القبائل العربية .
2. الوحدة السياسية :- التي جمعت شعث القبائل العربية المتفرقة في كل حدب وصوب.
3. الوحدة الاقتصادية :- التي أدت الى أزدهار بيت مال المسلمين.
4. حفظ التصور الأسلامي من التحريف والتشويه :- وان تجردت الراية الاسلامية من العصبية والولاء المختلط .
5. ولدت حروب الردة طاعة تامة أنتجت النتائج الباهرة في مجال الفتوح.
6. أقترب المسلمين من مناطق تحد بلادهم من بلاد فارس فعندما وصلوا الى البحرين ومهرة وغيرها من المناطق التي تقع شرق الجزيرة العربية للقضاء على الردة هناك .. هيأ هذا الأمر أهل البلاد ليكونوا قادة الفتح الاسلامي للفتح في العراق وبلاد الشام.
7. دربت هذه الحروب المسلمين على قيادة المعارك ،وعلى التضحية والفداء في سبيل الله.

**ما نعي الزكاة:**

أن السبب والباعث الرئيسي وراء قتال مانعي الزكاة لم يكن لرتدادهم وتراجعهم عن الاسلام ، أو أنكارهم لاحدى الضرورات الدينية – أي الزكاة – بل الباعث في قتالهم هو أنهم أمتنعوا عن اداء الزكاة للخليفة ابي بكر كما كانوا يؤدونها لرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم).

أذن فلم يكن سببها في الواقع هو الأرتداد عن الدين وخروجهم عن الاسلام كما أتهموا بها ، وانما السبب الواقعي هو أمتناعهم عن أداء الزكاة للخليفةالذي نصب بعد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

ولعل السبب في منع هؤلاء دفع الزكاة أنهم كانوا يتوقعون أن الامر بعد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) سيكون الى الأمام علي ( عليه السلام) فلما أنتقل الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) الى رحمة الله ، وجاءتهم الأخبار حول أنتقال الأمر الى ابي بكر تريثوا أمرهم ، أنطلاقاً مما عرفوه من بيعة الغدير وغير ذلك. فخشيت السلطة أن يتسع هذا الأمر بين القبائل العربية ،ويضعف موقع السلطة في الحكم ،وتسقط هيبته لذا سارعت في قتالهم والقضاء عليهم باسرع وقت ممكن .

ومن الأمثلة على مثل هذه الظاهرة نذكر مالك بن نويرة الذي كان النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) قد استعمله على صدقات قومه بني تميم . وكان قد أمتنع عن دفع الزكاة للسلطة الحاكمة مما دفع الأخيرة الى تجنيد الأجناد لمقاتلته ومن معه ، اذ قدم خالد بن الوليد الى البطاح حيث قوم مالك بن نويرة ولم يجد بها أحداً لأن مالك قد فرقهم ونهاهم عن الأجتماع.

وكان خالد قد بعث السرايا .. في الوقت الذي كان الخليفة قد أوصاهم فيه : أن يؤذنوا يقيموا اذا انزلو منزلاً ، فأن أذن القوم وأقاموا كفوا عنهم وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ، وأن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ،ولا كلمة .

وقد جاء عسكر خالد أرض بني تميم فأحدقت الخيل بمالك وزوجته وبعض من بني عمه . فأتوا بهم الى خالد بن الوليد وأمر الأخير بضرب أعناقهم فقال القوم انا مسلمون ، فعلى ماذا تأمر بقتلنا ! قال خالد : والله لأقتلنكم : فقال شيخ منهم : أليس قدنهاكم أبو بكر أن تقتلوا من صلى للقبلة ؟ قال خالد : بلى قد أمرنا بذلك ،ولكنكم لم تصلوا ساعة قط .

فوثب ابو قتادة الانصاري وهو الحارث بن ربعي الى خالد فقال : أشهد أنك لاسبيل لك عليهم .قال خالد : وكيف ذلك ! قال : لاني كنت في السرية التي قد وافتهم فلما نظروا الينا قالوا من أين انتم ؟قلنا نحن مسلمون فقالوا ونحن مسلمون ثم أذنا وصلينا ، فصلوا معنا قال خالد : صدقت يا ابا قتادة إن كانوا قد صلوا معكم فقد منعوا الزكاة التي تجب عليهم ،ولابد من قتلهم.

فضرب أعناقهم عن أخرهم. وكان ابو قتادة قد عاهد الله ان لايشهد مع خالد مشهداً ابداً بعد ذلك اليوم. فقدم خالد الى مالك بن نويره ليضرب عنقه ، فقال مالك : أتقتلني وانا مسلم أصلي القبلة .

قال خالد : لو كنت مسلم لما منعت الزكاة ،ولا أمرت قومك بمنعها.

فالتقت مالك الى امرأته ، فنظر اليها ثم قال : ياخالد بهذه قتلتني وكانت جميلة ، ويروى ايضاً ان مالك قد طلب من خالد أن يبعثه الى ابي بكر قبل قتله فيكون هو الذي يحكم بامره وأمر من معه الا أنه رفض وقتله ومن معه رغم أنهم كانوا أسرى عنده. فقتله صبراً ومثل به. ويروى ان خالد قد تزوج بامرأة مالك بعد قتله .

والجدير بالذكر أن أخو مالك متمم بن نويرة جاء ينشدالخليفة ابا بكر دمه ويطلب اليه في سبيهم ، فكتب له برد السبي .والح عمر بن الخطاب في أن يعزل خالد وأن يجلده لانه دخل بامرأة مالك بعد قتله.ويذكر أبن عساكر أن أبا بكر عرض الدية على متمم بن نويرة ،وأمر خالد بطلاق امرأة مالك.

وروى أن عمر بن الخطاب لما ولي جمع من كان من عشيرة مالك بن نويرة واسترجع ما وجد عند المسلمين من اموالهم ،وأولادهم ،ونسائهم ، فرد ذلك جميعاً عليهم .

**عمليات تحرير العراق والشام ( في عهد الخليفة ابو بكر):**

ما الدافع الذي حمل الخليفة على اتخذا قرار المباشرة بحروب تحرير العراق والشام على الرغم مما فيها من صعوبات ومخاطر؟

ان عملية تحرير هذه المناطق كانت تعني الدخول في حرب مع أكبر امبراطوريتين في العالم في ذلك الوقت وهما الأمبراطورية الساسانية والبيزنطية؟

فقد توجه الخليفة باستشارة الأمام علي ( عليه السلام) بقضية غزو الروم لاسيما بعد أن تباينت الآراء مابين مؤيد ورافض ، عندها أستعان الخليفة بالامام علي (عليه السلام) وبمشورته لحسم الموقف حينما بان قال له: أن فعلت ظفرت ، فقال بشرت بخير. فجهز الخليفة عندئذ الجيش .

ثم أن المسلمين كانوا يعيشون حرارة العقيدة والجهاد ويتطلعون الى مواصلة الرسالة التي حملها الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) الى العرب والانسانية .ثم ان حملة أسامة بن زيد الى بلاد الشرك وانتصاره حفزتهم لمواصلة هجومهم على الروم. ولاننسى الانتهاء من تصفية حركات الردة في السنة الاولى من حكم الخليفة ابو بكر.

ومن الجدير بالذكر ان شبه الجزيرة العربية كانت شحيحية في مواردها الاقتصادية بسبب مناخها الصحراوي مما كان يحمل ابناء القبائل على الصراع من اجل الحصول على الكلاء والماء لرعي مواشيهم او الهجرة شمالاً الى العراق والشام حيث مصادر الرزق الوفير.

فكان من الضروري على السلطة ان توجه طاقاتهم الى الجبهة الخارجية من اجل نشر الاسلام وتحسين اوضاعهم المعاشية. ومن المفيد أن نذكر انه بالرغم من ان حروب التحرير كان هدفها نشر الاسلام بين الناس وتحسين احوالهم ، غير ان هذه الحروب لم تسع الى اكراه احد على اعتناق الأسلام ،وانما كانت تستهدف الى توفير الظروف الموضوعية التي تساعد الناس على الاختيار الحر بين اعتناق الاسلام وبين اداء الجزية والعيش في ظل عدالة الاسلام. ولا نغفل ما للثقة العالية في نفوس المسلمين كان لها دور في عمليات التحرير.

كان الخليفة حريصاً على ان تبدأ حروب التحرير على جبهة الشام تنفيذا للسياسة التي بدأها الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته غير أن سير المعارك في حروب الردة وبخاصة في البحرين قد أدى الى الاحتكاك بالساسانين في منطقة السواد في جنوب العراق وحفز المقاتلين المسلمين على اقناع الخليفة بفتح جبهة التحرير العراق.

ويبدو أن بعض القبائل التي ارتددت عن الاسلام كانت تقيم في البحرين وجنوب العراق وان الفرس الساسانين قد حاولوا تشجيع المرتدين وتوحيد صفوفهم تحت قيادة المنذر بن النعمان بن المنذر لذا اضطر المقاتلون وعلى رأسهم المثنى بن حارثه الشيباني الى دخول العراق من اجل مطاردة المرتدين فاصبحت عمليات تحرير العراق خطوة مكملة لحروب الردة.

**عمليات تحرير العراق:**

كان بنو شيبان قد اكتشفوا مدى الضعف الذي تعاني منه الامبراطورية الساسانية منذ ان انتصروا على قواتها في معركة ذي قار بحدود سنة 610 هـ. لذا فقد كانوا يغيرون على سواد العراق الذي كان خاضعاً لسيطرتها دون خشية من بطشها وانتقامها.

وكان من جملة زعماء بني شيبان الذي درج على الاغارة على السواد في رجال قومه المثنى بن حارثةالشيباني الذي بلغ أمره الى الخليفة وسأل عنه وحصل لقاء بينهما عندها طلب المثنى من الخليفة ان يستعمله على من أسلم من قومه ليقابل الاعاجم من أهل فارس ، فكتب الخليفة له بذلك عهداً بعدها دعا قومه الى الاسلام فأسلموا.

ثم كتب الخليفة الى خالد بن الوليد لقيادة عمليات التحرير مع المثنى وبالفعل توجه خالد سنة 12 هـ على رأس جيش مؤلف من 10.000 مقاتل وأنظم اليه من العراق 8.000 مقاتل .وبدات العمليات العسكرية تاخذ مجراها على ارض الواقع،ومن هذه المعارك:

**موقعة الأبلة أو ذات السلاسل سنة ( 12هـ)**

ارسل خالد بن الوليد كتاب الى هرمزوما ان وصله حتى بعث به الى كسرى لاستطلاع رأيه ومما يؤكد أن كسرى أعطاه الأمر بالحرب أن هرمز أسرع لملاقاة خالد عند منطقة الحفير التي اتفق المسلمون على الاجتماع فيها ، مما يؤكد أن أخبار المسلمين تسربت الى الفرس لذلك غير خالد طريقه الى منطقة كاظمة فسبقه هرمز إليها ونزل على الماء واختار المكان الملائم لجيشه وجاء فنزل على منطقة بعيدة عن الماء فقال لأصحابه حطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء ، فالعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين .

بعد ذلك حط المسلمون أثقالهم ،وتقدم الراجلون وزحفوا ناحية الفرس الذين وجدوهم مقيدين جميعاً حتى لايفروا من ميدان الحرب وكان يتقدمهم هرمز الذي تقلد قلنسوة بمائة الف . ويحيط به اثنان من بيت كسرى هما قباذ وأنوشجان.

ورغم أن المسلمين عسكروا في منطقة عديمة المياه الا ان السماء امطرت حتى صار لهم غدران من ماء .

وقد حاول هرمز أن يسبق بالانتصار ورأى أن يطلب مبارزة خالد بن الوليد ظانا انه سيقضي عليه من أول ضربة ، مما يسمح لرجاله بالانقضاض على خالد وقتله فدعا خالد الى المبارزة والتقيا فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد فحملت حامية هرمز على خالد وأحدقوا به فما شغله ذلك عن قتل هرمز ،وما أن لمح ذلك القعقاع بن عمرو حتى حمل بجماعة من الفرسان على حامية هرمز وكان خالد يجادلهم فأناموهم ،وحمل المسلمون من وراء القعقاع حتى هزم الفرس .

تعتبر موقعة ذات السلاسل أو كاظمة أول موقعه بين المسلمين والفرس ثبتت فيها حمية الجيش الاسلامي وقوته في مواجهة أكبر القوى العالمية آنذاك وأصبحت هذه المعركة ناقوساً بدأ يدق في نعش هذه الأمبراطوية.

وصلت أخبار المعركة والانتصار الى ابي بكر كما وصله خمس الغنيمة بعد أن وزع خالد الأربعة أخماس على الجيش . وكان قد بعث الى ابي بكر بقلنسوة هرمز ، ولكن أبا بكر جعلها من نصيب خالد وكانت مفصصة بالجوهر.

**موقعة المذار : والثنى في صفر سنة (12هـ)**

عندما وصل كتاب هرمز من قبل الى كسرى فارس أعد له جيشاً لمساعدته بقيادة قارن بن قريانس لكنه لم يصل الا بعد هزيمة الفرس في ذات السلاسل ،وقد انضمت الى هذا الجيش مؤخراً الفلول الهاربة من هذه المعركة لذا عسكروا جميعهم عند منطقة تسمى المذار وهي على منعطف النهر بالقرب من البصرة.

وكتب خالد الى أبي بكر بمسير الجيش الفارسي الى ملاقاة المسلمين عند الثني وتوجه خالد مباشرة لصد عدوانهم فتم اللقاء الحربي بين القوتين مما دفع القائد الفارسي قارن الى أن يطلب من خالد المبارزة كما فعل سلفه هرمز من قبل فخرج اليه خالد ولكن واحداً من فرسان المسلمين يدعى معقل بن الأعشى بن النباش سبق خالد لمبارزة قارن ، فهزمه وتقدم اثنان من قادة المسلمين وهما عدي بن حاتم الطائي فقتل قباذ القائد الفارسي على ميمنة الجيش ،وتقدم عاصم بن عمرو التميمي فقتل أنوشجان القائد على ميسرة الجيش الفارسي ، مما أدى الى فتور عزيمة الجيش عامة وهزيمته هزيمة نكراء وقتل منهم ثلاثون ألفاً ولجأ بقيتهم الى السفن فهربوا عليها ومنع الماء المسلمين من ملاحقتهم ،وقد غرق في النهر عدد كبير من الفارين وحصل خالد الجزية من الفلاحين ،وأرسل بالفتح والخمس الى أبي بكر مما ادى الى غضب وهلع كسرى فارس.

**موقعة الولجة صفر سنة (12هـ)**

أرسل كسرى غداة هزيمة جيوشه في معركة المذار وذات السلاسل لاعداد جيش ضخم حدد لقيادته واحداً من أكبر قادته من أهل المدائن يعرف بأسم الأندرزغر كان يعمل والياً على خراسان وألحقه بجيش آخر تحت قيادة أمير يدعى جاذويه فخرج الأندرزغر من المدائن الى كسكر ومنها الى منطقة الولجة ،أما جاذوية فاتخذ طريقاً مخالفاً فسلك وسط السواد ،وذلك من أجل ان يطبق الجيشان على المسلمين ، تمكن جاذوية من الاستعانة بعدد من الاعوان والدهاقين حكام الاقاليم وتم اللقاء عند الولجة وقرروا عندئذ الزحف على خالد الذي كان عند الثني لذلك قرر خالد تقسيم جيشه الى ثلاثة أقسام حتى يواجه كل قسم العدو الفارسي من جهة معينة ،وقد ترك سويد بن مقرن وامره بالبقاء في الحفير ،ونصحه بالحذر والاحتراز ،وأخذ الجيش طريقه في أسفل دجلة ونصحهم خالد بعدم الاغترار بالقوة وقلة الغفلة.

توجه الجيش بالخطة المعدة مباشرة الى مواجهة قوات العدو عند الولجة ، فاستعر القتال واقتتلوا قتالاً شديداً هو أعظم من قتال الثني حتى ظن الفريقان ان الصبر قد فرغ وبعدها هزم الفرس فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم حتى مات الأندرزغر عطشاً. واستكمل خالد نشاطه بالمنطقة واتبع نفس سياسته في المناطق الأخرى ،وهي عدم التعرض لفلاحي البلاد وتركهم وشأنهم .

**معركة أليس وتحرير أمغيشيا في صفر سنة (12هـ)**

كان لانتصار خالد بن الوليد على الفرس ومن عاونهم من أهل هذه المناطق خاصة من قبيلة بكر بن وائل النصارى أثره على هذه القبيلة التي أخذتها العزة بالاثم ورأت الانتقام ممن قتل من رجالها من النصارى فكاتبوا كسرى فارس الذي ناصرهم وراوا جميعاً أن تتحد قواتهم لمواجهة الجيش الاسلامي الذي أذل كبرياء فارس وأقلق مضجعها.

نصب النصارى على قيادتهم عبد الأسود العجلي ونصب الفرس جابان وتوجهوا جميعاً إلى أليس بعد أن نصحهم بهمن جاذوية بقوله : وكفكف نفسك وجندك من قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يعجلوك ،ولما أقبلت جنود المسلمين ، طلب جابان من جنده مهاجمتهم وأظهروا عدم أكتراثهم بخالد بن الوليد وجيوشه ،وتداعوا الى تناول الطعام قائلين أنعاجلهم أم نغذي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم ، ثم نقاتل بعد الفراغ ، فأشار عليهم جابان بالبدء في القتال خوفاً من مداهمة المسلمين لكنهم رفضوا وعصوه وبسطوا ووضعوا الأطعمة في الوقت الذي فاجأتهم قوات المسلمين حيث تقدم خالد وجعل خلفه حوامي يحمون ظهره واستعر القتال بين الطرفين. يوماً وليلة يتلاقون في الغد وبعد الغد حتى أحاطوا بكل منطقة أليس وأسروا من فيها. وقد وصلت أخبار الأنتصار الى ابي بكر وبقدر الفيء وبعدد السبي وبما حصل من الأخماس ويقال ان عدة القتلى الذين سالت دماؤهم كان حوالي سبعين ألفا .

توجه خالد بن الوليد بعد انتصار أليس ناحية أمغيشيا وهي منطقة بالحيرة في الوقت الذي هرب منها سكانها في سواد العراق فأمر خالد بهدمها ،وحصلوا منها على غنائم وفيرة فلم يصب المسلمون فيها بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شيء أصابوه في أمغيشيا بلغ سهم الفارس ألفا وخمسمائة ، سوى النفل الذي نفله أهل البلاء.

**تحرير الحيرة ربيع الأول سنة ( 12هـ)**

بعد أن هزم الأعداء الذين اجتمعوا من العجم والعرب في أليس وهدم مدينة أمغيشيا حتى لاتكون مأوى لتجمع الأعداء ، أحس أمير الحيرة الآزاذبة بالخطر لدنو الجيش الاسلامي منه فتهيأ لحربه ،وأمر بسد الفرات ليحول بين المسلمين وعبور النهر ،وكان خالد قد حمل الرجال والأمتعة على السفن ففوجؤا بتوقف السفن لضحالة ماء النهر ، فقال الملاحون أن أهل فارس سدوا النهر ، فسلك الماء غير طريقه.وسارع المسلمون الى معالجة الموقف بالقضاء على حامية العدو وعلى ابن ملك الحيرة نفسه على الفرات وسلك الماءفاكملوا رحلتهم.

توجه جيش المسلمين حتى نزل بين الخورنق والنجف ، عندما وصل الى الخورنق وسمع ملك الحيرة بما حدث لابنه ، كما سمع أيضاً بموت كسرى أردشير ، لذا فر هارباً وترك الحيرة ليواجه أهلها جيش المسلمين ،وكان في الحيرة أربعة حصون ، فأمر خالد بكل حصن قائداً من قواده ، فأمر ضرار بن الأزور يحاصر القصر الأبيض وفيه أياس بن قبيصة الطائي وأمر ضرار بن الخطاب أن يحاصر قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي المقتول وأمر ضرار بن مقرن المزني أن يحاصر قصر بن مازن وفيه حيري بن آكال وأمر المثنى بن حارثة أن يحاصر قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح.

وأمرهم خالد بدعوة الناس أولاً الى الاسلام ، فإن اجابوا قبلوا منهم وأن أبوا أجلوهم يوماً وأمرهم أن لايمكنوا عدواً منهم بل عليهم أن يناجزوهم ولايمنعوا المسلمين من قتال عدوهم واختار القوم المنابذة حيث عمدوا لرمي المسلمين بالحذف - الرمي بالحصى - عن جانب والضرب عن جانب، فرشقهم المسلمون بالنبل وشنوا غارتهم وفتحوا الدور والديارات فنادى القسيسون : يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم فنادى أهل القصور : يامعشر العرب قبلنا واحدة من ثلاث فكفوا عنا ، فخرج رؤساء القصور فقابلهم خالد كل أهل قصر على حدة ولا مهم على فعلهم وتصالحوا على الجزية وصالحوه على مائة وتسعون ألفاً وكتب لهم عهد أمان وأشترط عليهم أن لايبغوا المسلمون غائلة وأن يكونوا عيوناً على أهل فارس.

كان تحرير الحيرة تمهيداً لفتح فارس ،وقد اتخذها خالد مقراً لجيوشه ثم بدأ يوجه عماله الى الولايات لجباية الخراج وعندما سمع دهاقين المناطق المجاورة للحيرة ما حدث لاخوانهم لذا تدافعوا نحو خالد ليصالحوه ،وأصبحوا جميعاً موالين للمسلمين.

**تحرير الأنبار ربيع الثاني سنة (12هـ)**

قام الخليفة آبوبكر بتجهيز جيشاً بقيادة عياض بن غنم لفتح المناطق الشمالية على أن يتم لقاء الجيشين في الحيرة وأيهما يصلها يكون أميراً عليها ،وقد رأينا الان أن خالداً هو الذي وصل إليها لذلك أصبحت الامارة له بمقتضى قرار الخليفة.

وعندما أنهى خالد مهمته في جنوب العراق واستعصى على عياض أن يصل الى شمال العراق توجه خالد ليكمل المناطق التي كلف بها عياض في نصف العراق الشمالي ،وقد كان شمال العراق ثلاثة تجمعات كبيرة لعسكر الفرس ومن والاهم من العرب أحدهما بالأنبار والثاني بعين التمر والثالث بالفراض.

وقد استخلف خالد على الحيرة القعقاع بن عمرو التميمي في الوقت الذي توجه في اتجاه الأنبار على شاطيء الفرات التي كان يلي قادة جيش الفرس بها شيرازد فوجدهم وقد تحصنوا فخندقوا على أنفسهم وأشرفوا من أعلى الحصون ، فحاصرهم المسلمون وأمر خالد جنده بأن يرشقهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين فتصايح الناس ذهبت عيون أهل الأنبار .وسميت هذه الغزوة ذات العيون ، لذلك طلب القائد الفارسي عقد الصلح مع خالد فاشترط عليهم خالد شروطاً رفضها شيرزاد في البداية لكنه ما لبث أن وافق على أن يخرج من الأنبار في عدد من الفرسان يحرسونه ، فقبل خالد ذلك منه بشرط ألا يحمل معه شيئاً من الأموال والمتاع.

**تحرير عين التمر رجب سنة (12هـ)**

عين خالد على الأنبار الزبرقان بن بدر ثم اتجه الى عين التمر لملاقاة جيش الحلفاء من الفرس بقيادة مهران بن بهرام والعرب بقيادة عقة بن أبي عقة ومن انضم إليهم من قوى أخرى .

طلب قائد العرب من قائد الفرس ان يدعه يواجه قوات العرب المسلمين لأن العرب أعلم بقتال العرب ، فوافقه وهو يخادعه ويعلم أنه سيتلقى الصدمة الاولى من جيوش المسلمين ويهزم ،وأوضح نيته لجيشه من الأعاجم بقوله أنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم ، فإن انتصر خالد فقد كفاهم القتال وان هزم فان العجم سيلاقون المسلمين وهم أقل قوة بعد طول الحرب ، لذلك بقي مهران في عين التمر وتوجه القائد العربي لملاقاة خالد على الطريق إليها واستطاع خالد مهاجمته في الوقت الذي كان ينظم فيه جيشه فاحتضنه فأخذه أسيراً وانهزم صفه من غير قتال ،وجعل المسلمون معظم جيشه أسرى ومن هرب منهم لحق بهم المسلمون.

وصلت أنباء هزيمة الجيش العربي أمام خالد الى مسامع مهران الذي هرب وترك حصنه الذي حاول الهاربون من جيوش القائد العربي المهزوم عقه الاعتصام به ،لكنالمسلمين تبعوهم الى حصن عين التمر فأحاطوا بهم وحاصروهم ، لذلك طلبوا منهم الصلح فأبوا إلا أن ينزل على حكم المسلمون ، فوافقوا فوضعوا في السلاسل ،وتسلم الحصن وحمل كل ما في الحصن كغنيمة حرب ،وأرسلوا الخمس الى أبي بكر مع الوليد ابن عقبة ، فأمره أبو بكر أن يتوجه مباشرة لمساعدة عياض بن غنم الذي كان يفتح دومة الجندل ،وفعلاً توجه إليه فوجده في حاجة الى قوات اضافية تساعده على اتمام الفتح ، فكتبوا الى خالد بن الوليد ان يلحق بهم الى هناك.

**تحرير دومة الجندل ( بالعراق ) 3 رمضان سنة 12هـ**

رأينا الآن موقف عياض بن غنم المتأزم في هذه المنطقة بسبب قيام القبائل المتواجدة فيها بطلب العون من جميع القبائل الأخرى المجاورة لهم فكثر جمعهم مما استعصى على عياض مواجهتهم،ورغم ذلك لم يتراجع أو ينسحب وانما استمر يجاهد ويواجه هذه القوة بإيمان ثابت فلم يتمكنوا من هزيمته رغم أنه في بلادهم ،ومما أطمعهم فيه كونه بعيداً عن دار الخلافة وبعيداً عن خالد بن الوليد في أرض العراق فقد أتبعهم عياض واتبعوه ولكن لم يكن لأحد الفريقين قوة على الآخر.

عندما علم أهل دومة الجندل بقدوم قوات خالد استعانوا بقوات أخرى من القبائل المحيطة فأمدوهم .وكانت قيادة جيشهم في يد رئيسين هما أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة ،وقد اختلف القائدان في الرأي فبينما رأى أكيدر قوة المسلمين وأنه لم يهزم في حرب مطلقاً وأشار بالمصالحة بين القوتين ، خالفه زميله الجودي وجيشه لذلك ترك أكيدر ساحة القتال وقفل راجعاً ، فلقيته جيوش المسلمين في الطريق ، فحملوه الى خالد بن الوليد.

توجه المسلمون الى دومة الجندل حيث جعلوها بينهم وبين جيش عياض بن غنم لذلك اضطرت الجيوش المعادية الى تقسيم قواتها الى قسمين لمواجهة جيش المسلمين فخرج الجودي بن ربيعة ومعه وديعة الكلبي لملاقاة خالد ، وخرج ابن الحدرجان وابن الأبهم في جيش لملاقاة عياض ،وتم اللقاء الذي أسفر عن انتصار ساحق لجيوش المسلمين ، مما دفع فرق النصارى المهزومة الى اللجوء الى حصن المدينة للاحتماء به فاطاف خالد بالحصن فلم يزل عنه حتى اقتلع بابه وقتل من فيه من المقاتلة وضرب عنق من هو خارج الحصن.

وبفتح دومة الجندل أصبح للمسلمين موقع استراتيجي ذو أهمية لأنها تقع على ملتقى الطرق الى ثلاث جهات شبه الجزيرة العربية من الجنوب والعراق من الشمال الشرقي والشام من الشمال الغربي.

**موقعة الفراض من رمضان الى ذي القعدة سنة (12هـ)**

كانت هذه هي آخر موقعة خاضها خالد في العراق فبعد أن انتهى من هذه المعارك السابقة التي أعلنت دخول العراق العربي في الاسلام في فترة وجيزة ، وهروب جميع قادة الفرس وجيوشهم واستسلام نصارى العرب ، إما بالدخول في الأسلام أو بدفع الجزية ، قرر التوجه الى منطقة الفرائض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة ، لتأمين نفسه في حالة توجهه ناحية فراس.

عندما علم الروم في الشام بهذا التجمع على حدودهم قرروا مراسلة الفرس لتكوين جبهة مضادة للمسلمين فلبوا ندائهم مباشرة املاً في تحقيق نصر على هذه القوة التي فتت في عضد دولة الأكاسرة ، كما راسلوا قبائل تغلب وإياد والنمر العربية ، فتحرك هؤلاء الحلفاء لمواجهة المسلمين ، فلما وصلوا الفرات قالوا للمسلمين : إما أن تعبروا إلينا او نعبر إليكم فقال خالد : اعبروا ، قالوا : فتنحوا حتى نعبر ، فقال خالد : لانفعل ولكن اعبروا أسفل منا . فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض احتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل على دين ،وله عقل وعلم ،والله لينصرن ولنخذلن.

وهكذا نرى أن عقلاءهم أدركوا أن الذي يفوز في الحرب هو الذي يقاتل باسم الدين ،ومع ذلك استمروا في القتال ولم ينتفعوا بهذه الآراء التي وجهها إليهم حكماؤهم ، فعبروا اسفل من خالد ،واستعرت الحرب بين الطرفين وانتهت بهزيمة هؤلاء الحلفاء.

وهنا نرى أن هذه هي المرة الأولى التي شارك فيها الروم ضد المسلمين في فترة الفتوحات الاسلامية المنظمة وذلك بعد بعث اسامة بن زيد عليهم في بداية عهد الخليفة أبي بكر .

**عمليات تحرير الشام في عهد الخليفة ابو بكر .**

المعروف ان الاحتكاك الحربي مع الروم على تخوم الجزيرة العربية الشمالية بدأعلى عهد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك في غزوة مؤتة سنة (8هـ) وتبوك سنة(9هـ) وتلا ذلك حملة اسامة بن يزيد سنة (11هـ) وكان ابو بكر قد أرسل خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش المسلمين الى تيماء قرب حدود الشام ، ليكون ردءاً لمن وراءه من المسلمين في حالة تعرض الروم أو حلفائهم لهم في أثناء حروب الردة وبدء عمليات تحرير العراق.

**معركة اجنادين:**

يبدو أن تحرير الشام كالعراق فهما أساس كل الفتوحات الاسلامية وقد تولى خالد بن سعيد بن العاص العمليات العسكرية وكتب الخليفة مرسوماً لقيادته جيش الشام ، لذا فقد ذهب قائداً ميدانياً وحقق النصر في معركة أجنادين - كما سنرى - ،وهي من اهم المعارك على الروم في كل بلاد الشام .

لذا فان ثقل معركة أجنادين التي تم فيها فتح الأردن كان على خالد ،وكان الروم يجمعون قواتهم فيها ، فنزل شرحبيل بن حسنة مقابلتهم. وجاء للمسلمين مدد آخر لذا فقد حرر جيش شرحبيل الاردن كلها عنوة أي بالحرب إلا طبرية فصالحه اهلها. بينما حررت المدن التي توجهت اليها فرق أخرى ، أما صلحاً او بالمحاصرة أو بالتخويف بدون حرب كبيرة.

ويبدو أن هرقل يومها كان في حمص فامر بتجميع جيش الروم في اجادين وهي في فلسطين قرب مدينة بيت جبرين وجعل القيادة لابنه وخليفته فجمعوا له 90000 مقاتل وفي رواية البلاذري زهاء 100000 مقاتل وكانت هذه المعركة لليلتين بقيتا من جمادي الاولى سنة 13 هـ وخطط لهذه المعركة ان تكون جيوش المسلمين قد قسمت الى اربعة امراء ، ابو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ،ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنه .

وتحقق النصر للمسلمين وقتل خليفة هرقل . ويبدوا ان هناك فرقة من خيالة الروم كانت قد حملت على خالد بن سعيد الذي كان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يحرضهم ويدعو لله عز وجل ، فنازلهم وقاتلهم قتالاً شديداً رسيماوانه القائد الحقيقي لجيش شرحبيل بن حسنة هذا من جهة. اما من جهة ثانية فان اخيه أبان بن سعيد قد رمي بنشابه فعصبها بعمامته فحمله اخوه خالد وعمرو ابناء سعيد اللذان ماأن نزعا العمامة عن جرحه حتى مات واستشهد معه عدد من المسلمين بالرغم من الانتصارات التي حققوها. ويبدو ان هرقل قد ملئ رعباً من هذه المعركة مما دفعه الى الهروب من حمص الى أنطاكية.

وقد تباينت الروايات في مقتل خالد بن سعيد بطل أجنادين التي تمت في ظرف مريب وزاد من الربية تناقض الروايات ففي رواية انه قتل في اجنادين ، لكن ثبت انه تزوج بأم حكيم الخزاعية بعد استشهاد زوجها عكرمة بن ابي جهل في اجنادين.

ورواية تقول انه قتل في مرج الصفر وهي قرية في حوران وقد تناقضت روايتها في وجود معركة فيها ،وفي وقتها .

وقالوا انه خرج يستمطر في مرج الصفر بعد انتصاره في اجنادين فباغته الروم وقتلوه ... الخ ؟ وعلى اية حالة فانه قتل في بداية خلافة عمر بن الخطاب.

ويلاحظ انه على الرغم من ان المدة التي أنقضت بين الانتصار في معركة اجنادين ووفاة الخليفة أبي بكر وهي حوالي خمسة وعشرين يوماً ، كانت كافية لوصول هذا الانتصار الى المدينة ، الا أن ما بأيدينا من نصوص يوحى بأن الخليفةآبا بكر قد توفي غير مطلع على نتيجة معركة أجنادين. لذا فقد كانت آخر وصية له الى عمر بن الخطاب حينما جاءه المثنى بن حارثة الشيباني يشكو حراجة الموقف على جبهة العراق ، قوله : وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد الى العراق ، فأنهم أهله وولاه أمره .

**وصية الخليفة أبي بكر لستخلاف عمر بن الخطاب:**

يذكر ان الخليفة ابو بكر قد دعا عثمان بن عفان فقال اكتب : ثم أغمى عليه فذهب عنه فكتب عثمان اما بعد فأني استخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً. ثم أفاق ابو بكر فقال إقرأ عليّ فقرأ .

وقد أورد ابن قتيبة هذا الموضوع بالنص : اذ ذكر انه دعا عثمان قائلاً له اكتب عهدي ، فكتب عثمان واملى عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به ابو بكر بن أبي قحافه آخر عهده في الدنيا ، نازحاً عنها ،وأول عهده بالأخرة داخلاً فيها : اني استخلفت عليكم : عمر بن الخطاب فلأن تروه عدلاً فيكم فذلك ظني به ورجائي فيه ،وإن بدل فلكل امرئ ماكسب فالخير أردت ،ولا أعلم الغيب ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) ثم ختم الكتاب ودفعه ، فدخل عليه المهاجرين والأنصار حين بلغهم انه أستخلف عمر ، فقالوا نراك استخلفت عمر ،وقد عرفته ، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا ، فكيف اذا وليت علينا ،وأنت لاقٍ الله عزّ وجل فسألك فما انت قائل ؟

فقال ابو بكر : لئن سألني الله لأقولن : استخلفت عليهم خيرهم في نفسي.

وقال طلحة للخليفة : اتولي عينا فظاً غليظاً .

وكان أهل الشام قد بلغهم مرض ابي بكر ، واستبطؤوا الخبر ، فقالوا انا لنخاف ان يكون الخليفة قد مات وولى بعده عمر ، فأن كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب ،وإنا لنرى خلعه.

ولعل البعض بدء يثير الشكوك في صحة وصية الخليفة لمن يستخلفه . ومنها

* ان عثمان بن عفان كان لوحده في كتابة الوصية والذي هو نفسه اذاع الوصية امام الناس قائلاً : هذا عهد ابي بكر ، فأن تقروا به نقرأه وإن تنكرون نرجعه ولعل هذا يشير الى عدم تصديق الناس لوصية الخليفة لمن يكون خليفة بعده .
* وأن الوصية بدون شاهد وهذا مخالف للاعراف الاسلامية والقبلية والسياسية في حضور الاهل والاصدقاء والوزراء والخاصة عند الوصية ، خاصة اذا كان المحتضر خليفة للمسلمين.
* نص الوصية نفسها (( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون )) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اذ لاحظوا ان نفس الوصية غير نفس ابي بكر الذي بدأ عهده بخطبته ان استقمت فاتبعوني وإن زغت فقوموني . بينما في هذه الرسالة طلب بتبعية مسيرته للخليفة الثاني وفي خطب ابي بكر وعظ وارشاد في حين لايجدونها في نص هذه الوصية على الرغم من انها وصية موت.

ثم ان الاية القرآنية التي ختمت بها الوصية لاتتناسب مع وصية يوصى بها رجل مشرف على الموت بل هي تهديد للمعرضة.

وينقص الوصية دعاء الخليفة لنفسه بالرضا الالهي والاستغفار وهو القائل : طوبي لمن مات في النأنأة ( أي في اول الاسلام ) قبل تحرك الفتن.

* بقاء الوصية دون شاهد ولا امضاء ،وهو الذي كان يقرأ ويكتب ،ولماذا لم يشهد الناس عند حضورهم ايه.

ولعل البعض الآخر دحض هذه الامور مستنداً الى العديد من القرائن التي تشير الى اختيار الخليفة ابو بكر لعمر بن الخطاب خليفة له ومن بينها تعيينه أميراً للحاج في السنة الاولى وكونه وزيراً له في ادارة الدولة وما دام ابو بكر لم يوصى في السنة الثانية من خلافته فيكون عمر هو الخليفة الموضوعي لابي بكر.

وروى ابن سعد سبب موت الخليفة ان ابي بكر والحارث بن كلده كانا يأكلان خزيرة -هواللحم المقطع صغيراً الذي يطبخ في الماء الكثير والملح فاذا طبخ جيداً ذُر عليه الدقيق فعصد به- أهديت لابي بكر ، فقال الحارث للخليفة : ارفع يدك والله ان فيها سسم سنة ،وانا وانت نموت في يوم واحد، فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد.

وقيل ان الخليفة اغتسل وكان يوما بارداً فحم خمسه عشر يوماً لايخرج الى الصلاة فامر عمر أن يصلي بالناس.

ولما علم الناس بمرضه قالوا : ألا ندعو الطبيب ؟ قال قد أتاني.

وقيل ان اليهود سممته في أرز او غيره . ومما يثير الشك كثرة المقتولين في هذه الفترة أمثال عتاب بن اسيد بن ابي العيص بن امية والي مكة .

وكذلك في صبيحه وفاة الخليفة ابي بكر توفي ابو كبشة مولى رسول الله ( صلى الله عليه وآله سلم) والطبيب الحارث بن كلدة .

بعد مقتل ابي بكر وصاحبيه بالسم ، دفن ليلاً وتسببت عملية دفنه السريعة ليلاً وفي ذات ليلة وفاته عدم تمكن المسلمين من حضور مراسيم دفنه والقاء النظرة الاخيرة على جثمانه ولعل السرعة في دفنه ،وفي الليل يشير بان عملية قتله ومن معه كانت سياسية ومن قبل رجال متنفذين في السطلة. لذا طرُحت اشاعتين لابعاد الشبه عن المرتكبين للجريمة :

1- حاولوا ارجاع موته بسبب البرد.

1. القاء التهمة على اليهود لكنهم لم يستطيعوا اثبات قتله على يديهم . فبقيت دعواهم بلا برهان.

**خلافة عمر بن الخطاب(13 هـ - 23هـ)**

انتقلت الخلافة الى عمر بن الخطاب بالعهد ولم يشترط لصحتها رضا الناس ،وتم تعين القيادة الجديدة هذه المرة وفق قاعدة جديدة غير الاولى ليس لها سند من كتاب ولا سنة ، ثم تأسس عليها فيما بعد مبدأ نقل القيادة والسلطة من شخص لآخر بالعهد دون رضا الناس واختيارهم . كما فعل بنو أمية والعباس .

لذا فقد تولى الخليفة عمر بن الخطاب الخلافة في نفس اليوم الذي توفي فيه الخليفة ابو بكر وكان ذلك في 22/ جمادي الاخرة / 13 هـ .

وقد أشير الى ان الخليفة عمر قد قام في الناس خطيباً فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه : اما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بي وخلفت فيكم بعد صاحبي ، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ،ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة ، فمن يحُسن نزده حسناً ،ومن يسيء نعاقبه ،ويغفر الله لنا ولكم.

وبذلك يكون الخليفة عمر قد حدد المعالم الأساسية لمنهجه في الحكم بكلمات قليلة وحاسمة ،وهي تنطوي على المبادئ الاتية :-

1. إن مسؤولية الحكم في الدولة هي ابتلاء واختيار للحاكم والمحكومين ، فعلى الحاكم ان يقوم بواجباته بقوة وامانة وعلى المحكومين أن يؤدوا ما عليهم من واجبات فمن يحسن نزده حسنا ومن يسيء نعاقبه.
2. إن خلافة عمر هي امتداد لخلافة الخليفة ابي بكر ،ومن ثم فهو ملتزم بالاسس والمبادئ التي قام عليها.
3. يتحمل الخليفة مسؤولية حكم وادارة من يعيشون في حضرته من الناس بصورة مباشرة ، اما الذين يعيشون بعيداً عنه في المدن والامصار فإنه مسؤول عن تعين ولاة قادرين على ادارة شؤونهم بنفس الطريقة من أهل القوة والأمانة.
4. ان الخليفة ليس معصوماً من الخطأ والزلل شأنه شأن بقية الناس لذا فأنه يرجو من الله أن يغفر له ولهم ما قد يقترفونه من ذنب وخطأ .

**موقف الأمام علي ( عليه السلام) من خلافة عمر بن الخطاب:**

لقد اتسم موقف الأمام علي ( عليه السلام) خلال هذه المرحلة بالتعايش السلمي مع الواقع الجديد حفاظاً على الأسلام ومصلحة الأمة الاسلامية ، الا أن هذا لا يعني تخليه من مشروعية حقه في الخلافة معبراً عن ذلك كلما سنحت له الفرصة بقوله : ( والله لقد بايع الناس ابا بكر وانا أولى بهم مني بقميصي هذا فكظمت غيظي وانتظرت أمر ربي ... ).

فقد بايع عليه السلام كراهية الفتنة وايثار للعافية ونصحاً للمسلمين ولم يظهر مطالبه . بما يراه حثاً له وانما صبر نفسه على مكروهها ونصح لعمر كما نصح لأبي بكر من قبل .

وبهذا لم يكن (عليه السلام ) بعيدا عن الواقع السياسي للدولة ، فقد نصح عمرً قائلاً له: ثلاث اذا حفظتهن وعملت بهن كفيتك ماسواهن وان تركتهن فلا ينفعك شيء ماسواهن. قال وماهن :

فقال (عليه السلام ): الحدود على القريب والبعيد ... والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط ... والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود.

فقال عمر : أبلغت وأوجزت.

و ذكر ابن عبّاس ان الخليفة عمرقال للامام عليّ ( عليه السلام ) : عظني يا أبا الحسن ، قال ( عليه السلام ) : « لا تجعل يقينك شكّاً ، ولا علمك جهلا ، ولا ظنّك حقّاً ، واعلم أنّه ليس لك من الدنيا إلاّ ما أعطيت فأمضيت ، وقسمت فسوّيت ، ولبست فأبليت » .

قال عمر : صدقت يا أبا الحسن .

ويروى ان أسقف نجران قدم على عمر بن الخطاب في صدر خلافته فقال : يا أمير المؤمنين إنّ أرضنا باردة شديدة المؤنة لا يحتمل الجيش وأنا ضامن لخراج أرضي أحمله إليك في كلّ عام كملا

قال : فضمّنه إيّاه فكان يحمل المال ويقدّم به في كلّ سنة ويكتب له عمر البراءة بذلك . فقدم الاُسقف ذات مرّة ومعه جماعة وكان شيخاً جميلا مهيباً ، فدعاه عمر إلى الله وإلى رسوله وكتابه وذكر له أشياء من فضل الإسلام وما تصير إليه المسلمون من النعيم والكرامة ، فقال له الاُسقف : يا عمر ، أنتم تقرأون في كتابكم : ( وجنّة عرضها كعرض السّماء والأرض ) فأين يكون النار؟

فسكت عمر وقال لعليّ ( عليه السلام ) : أجبه أنت .

فقال له عليّ ( عليه السلام ) : « أنا اُجيبك يا اُسقف أرأيت إذا جاء اللّيل أين يكون النهار ؟ وإذا جاء النهار أين يكون اللّيل ؟ » فقال الاُسقف : ما كنت أرى أنّ أحداً ليجيبني عن هذه المسألة ، مَن هذا يا عمر ؟ فقال : عليّ بن أبي طالب ختن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وابن عمه وهو أبو الحسن والحسين .

فقال الأسقف : أخبرني عن شيء في أيدي الناس شبيه بثمار الجنّة ؟ قال عمر : سل الفتى ، فسأله ، فقال عليّ ( عليه السلام ) : « أنا اُجيبك ، هو القرآن يجتمع عليه أهل الدنيا فيأخذون منه حاجتهم فلا ينقص منه شيء فكذلك ثمار الجنّة » . فقال الأسقف : صدقت .

قال : أخبرني هل للسّماوات من قفل ؟ فقال عليّ ( عليه السلام) : « قفل السّماوات الشرك بالله »

فقال الأسقف : وما مفتاح ذلك القفل ؟ قال ( عليه السلام ) : « شهادة أن لا إله إلاّ الله لا يحجبها شيء دون العرش » . فقال : صدقت .

هذا مثال من باب الذكر ان الامام علي (عليه السلام)كان محط اهتمام لحل الكثير من المعوقات ،ولم يغب دوره في ازالة الشبهات وترسيخ دعائم الدين.

**التنظيمات المالية للدولة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب:**

كان اهتمام الخليفة عمر الأساس في السنوات الاولى من حكمه ( 13-17هـ) رفد جبهات القتال بالمقاتلين وتوجيه قيادات الجيش من أجل حسم المعارك الناشئة مع الفرس والروم لصالح الدولة العربية الاسلامية.

ويلاحظ ان الخليفة لم يتخذ قرار فرض العطاء واستحداث الديوان الا بعد ان توافرت للدولة موارد مالية دائمة نتيجة فرض الخراج على الارض المحررة.

**الايرادات المالية للدولة**

تألفت ايرادات الدولة في عهد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) بصورة اساسية من خمس الغنائم التي كان يحصل عليها المسلمون ومن الفيء . وهي ايرادات ليست دائمة ولا ثابتة.

وكان الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) يتصرف فيها وفقاً لحاجات الدولة والمجتمع حال وصولها. وسار الخليفة ابو بكر على هذا النهج ،وتابعه الخليفة عمر بن الخطاب في سنوات حكمه الأولى.

الا أن ما يأتيه من غنائم كان على درجة كبيرة سواء كان من الذهب اوالفضة والجواهر ثم ان الخلافة واجهت مشكلة جديدة على أثر تحرير اراضي العراق وبلاد الشام وهي كيفية التعامل معها.

فاستشار الخليفة الصحابة حيال ذلك الأمر فأبدى معظمهم فكرة تقسيم هذه الاراضي وتوزيعها على المقاتلة. الا ان الأمام علي ( عليه السلام) أشار عليه بفكرة ابقاء هذه الاراضي بيد أصحابها لكي تكون فيئاً للمسلمين قائلاً له :-

أن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ،ولكن تقرها في ايديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا.

فقال الخليفة : وفقك الله هذا الرأي.

وتكمن حكمة الأمام ( عليه السلام) بمنع توزيع الأراضي ،وذلك لحصر مهمة المقاتلين بالجهاد . وعدم انشغالهم بأمور الزراعة. فضلاً عن توفير مورد مالي دائم لخزينة الدولة في تلك المرحلة ، ولتغطية النفقات الخاصة بتجهيز الجيوش، وأنشاء المعسكرات وتمصير المدن.

ويبدو أن جباية هذه الضريبة قد اعتمد في البداية على الأسس التي كانت سائدة في البلاد المحررة في عهد الامبراطورية الساسانية والبيزنطينية. غير أن الخليفة عمر بن الخطاب قد قام بتعديلات بعد أن أستقرت امور التحرير والفتح في حدود سنة 21هـ . والتعديل جاء على مقادير جباية الضريبة بما يحقق العدالة بين الناس - من وجهة نظره -.

فقد ارسل كل من حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف لمسح ارض سواد العراق وتحديد مقدار الخراج عليها. وعلى الرغم من الحرص على عدم إرهاق الناس في جباية الخراج فأن الروايات تشير الى ان الايرادات السنوية لهذه الضريبة كانت كبيرة.

فأن جباية سواد الكوفة وحدها قد بلغ في سنة 22 هـ 100000 درهم وخراج مصر في ولاية عمرو بن العاص بلغ ألفي ألف دينار .

ولم تقتصر ايرادات الدولة في عهد الخليفة عمر على ضريبة الخراج بل أضيف اليها ماتغله أراضي الصوافي التي اصبحت محكومة للدولة ،وكانت هذه الاراضي مملوكة للأسر الحاكمة والنبلاء من الروم البيزنطينين والفرس الساسانين فلما قتلوا او هربوا نتيجة لحروب التحرير أنتقلت ملكيتها الى الدولة فقامت باستغلالها واستثمارها.

ويبدوا أن صوافي سواد العراق بلغ أربعة الاف ألف درهم . وفي رواية أخرى أنها بلغت سبعة آلاف الف درهم. وربما كان مصدر التباين في هذين التقديرين انهما يعودان لسنتين مختلفتين.

أما اراضي الصلح أي التي صالح اهلها المسلمين على ان يدفعوا ضريبة سنوية متفق عليها ويحتفظوا بملكية اراضيهم لانفسهم فقد شكلت مردوداً آخراً للدولة.

فمثلاً : أن خالد بن الوليد حين قدم الحيرة فانه صالح أهلها على أن يدفعوا للدولة سنوياً 90000 درهم .

اما الجزية التي فرضت على رؤوس أهل البلاد المحررة الذين لم يدخلوا الاسلام وفضلوا البقاء على دينهم فقد ساهمت هي الاخرى في رفد مالية الدولة. اذ فرض في العراق على كل فرد موسر 48 درهم كل سنة ،ويعفى العاجزين والمساكين والاعمى ومن لا حرفة له ولا عمل ولا تفرض على من المقعدين ولا الصبيان والنساء.

**النفقات المالية للدولة (العطاء)**

بعد أن فرغ الخليفة عمر بن الخطاب من تنظيم ضريبة الخراج والجزية وكان ذلك في حدود سنة 17 هـ استشار بشأن وضع رواتب سنوية للمقاتلة وعوائلهم وذوي الحاجة من افراد المجتمع فشجعوه على ذلك . وكان هدف الخليفة من فرض العطاء هو ايجاد مورد مالي ثابت للمقاتلين بصورة اساس.

وقد عدل الخليفة عن مبدأ التسوية في توزيع العطاء واخذ يوزع استناداً الى مبدأ التفضيل بعد ان انشأ الديوان وذلك في حدود سنة 20هـ. وفقاً للأسبقية في أعتناق الاسلام والجهاد في سبيله .

وقد قام الخليفة بتوزيع العطاء على الناس وفقاً للتدرج الآتي :-

1. فرض لكل منْ ساهم في معركة بدر 5000 درهم .
2. فرض لمن كان له أسلام كأسلام أهل بدر من مهاجرة الحبشة ومَنْ شهد أحد 4000 درهم.
3. فرض لمن شهد الحديبية 3000 درهم.
4. فرض لكل مَنْ أسلم بعد فتح مكة وساهم في حروب التحرير 2000 درهم .
5. فرض لابناء القبائل التي شاركت في فتح مكة وحاربت المرتدين واشتركت في معركة القادسية 3000 درهم.
6. فرض لأهل الايام من المرتبة الثانية الذين ساهموا في معركة القادسية او اليرموك 2500 درهم.

اما الفئات الاجتماعية فخصص لها عطاء يتناسب مع وضعها الخاص:

1. فرض للعباس عم النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) 12000 درهم ، فرض عائشة زوجة النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) 12000 درهم وفرض لكل زوجة من زوجات النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) 10000 درهم وعطاء الامام علي (عليه السلام) 5000 درهم وفرض لكل من الحسن والحسين (عليهما السلام )5000 درهم.
2. فرض لابناء الصحابة الذين ساهم آباؤهم في معركة بدر من المهاجرين والانصار 2000 درهم.
3. فرض للنساء المهاجرات الأول مثل اسماء بنت عميسى واسماء بنت ابي بكر وام عبد الله بن مسعود 1000 درهم لكل واحدة.

أما بقية النساء فقد تدرج في توزيع العطاء عليهن وفقاً لمساهمة ازواجهن في القتال .

فجعل نساء اهل بدر 500 درهم ونساء من بعدهم الى الحديبية 400 درهم ونساء بعد ذلك الى الايام 300 درهم ونساء القادسية 200 درهم ، ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء 100 درهم .

1. فرض لاسامة بن زيد 4.000 درهم ،وفرض لاهل مكة 800 درهم .

وكان الخليفة يأمر بتوزيع المواد العينية الى الناس في اوقات مختلفة فضلاً عن العطاء المالي .وكان الغالب أن تكون هذه المواد غذائية. وتوزع على الناس بالتساوي دون تفريق بين حرو عبد ، رجل وامرأة.

**الديوان:**

الديوان عند أهل اللغة: تعني مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه أهل الجيش والعطية. فالديوان اذن يعني السجل الذي تدون فيه أسماء المستفيدين من العطاء وهو يعني أيضاً المكان الذي يحفظ فيه هذا السجل.

وتجمع المصادر على أن أول من أستحدث الديوان في الأسلام هو الخليفة عمر بن الخطاب. وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم الأعطية من الفيء. ويشير البلاذري الى ان الخليفة عمر قد أجمع على تدوين الديوان في شهر محرم / 20هـ.

ويلاحظ أن الاسم الذي أطلق على هذا التنظيم الناشئ هو ( الديوان) غير انه بمرور الزمن أخذ يعرف طبقاً لوظيفته فقيل عنه ديوان العطاء ، كما أطلق عليه أسم ديوان الجند.

وذكر ان السبب في أستحداثه ان الخليفة عمر قد جاءته أموال كثيرة من البلاد المحررة ، فتحير في كيفية توزيعها فاستشار فأشير، عليه بوضع الديوان.

وكلف كلاً من عقيل ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم بتدوين اسماء الناس الذين يشملهم نظام العطاء وفقاً لانسابهم ودرجة قرابتهم من الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم)

ونظراً لان توزيع العطاء لم يكن بطريقة مركزية وانما يتولى كل مصر توزيع عطائه مما يرده من ايرادات خاصة به ومازاد عن حاجته يقوم بارساله الى المدينة. فقد تطلب الامر انشاء دواوين في الامصار مشابه لديوان المدينة فكان ديوان البصرة والكوفة والشام وهكذا.

وتطلب توزيع العطاء ايجاد تنظيم يرتبط بالديوان هو نظام العرفاء فكان يطلب من مسؤول كل عشيرة او قبيلة او وحدة حسب وضع ظرف كل مصر ان يكون لديه سجل فيه اسماء المقاتله من افراد قبيلته او وحدته وتجهيزاتهم ومقدار عطائهم ومواليهم ونسائهم واطفالهم من اجل القيام بتوزيع العطاء عليهم عند الاستحقاق ، وجمع المقاتلين منهم عند حصول النفير للقتال .

لقد ساعد نظام العطاء على تقوية دور السلطة المركزية للدولة وربط الناس بها من خلال تاثيرها على نظام حياتهم ومعيشتهم وقد ترتب على توزيع العطاء وخاصة بالنسبة لذوي العطاءات العالية ظهور فئة من ذوي الدخل الدائم الذين اخذو ينفقون جانباً من اموالهم على شراء المواد الاستهلاكية والكمالية الأمر الذي أدى الى حركة أقتصادية نشطة وسيولة نقدية كبيرة ربما اخذت تساهم في ارتفاع الاسعار .

ويبدو ان التباين الكبير في الدخل أوجد نوعاً من الخلل في التوازن الاقتصادي في المجتمع . ففي الوقت الذي أخذ أصحاب الايرادات العالية وجلهم من قريش يستثمرون اموالهم في التجارة بذكاء ويعملون على مضاعفة ثرواتهم فأن أصحاب الدخل المحدود وهم أغلبية الجند كانوا ينفقون ماياتيهم من عطاء على معيشتهم ، لذا فقد كان من الطبيعي أن يظهر بينهم التذمر وبخاصة حينما تفتر حركة الفتوحات وتقل أو تتوقف ايراداتهم من الغنائم. وقد اشارت المصادر الى أن الخليفة عمر تنبه في أواخر أيامه الى مخاطر هذه الظاهرة فنقلت عنه قوله :

لئن عشت لأعودن لما كان عليه الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) وابو بكر.

**التنظيمات الأدارية للدولة :-** من الأعمال التي تقع ضمن مفهوم الأدارة بمفهومها الواسع هوما ياتي :-

1. **تمصير الأمصار:-**

من اجل تشجيع العرب على السكن في أراضي البلاد المحررة وايجاد قواعد للجند ينطلقون منها للجهاد فقد أمر الخليفة عمر بتمصير كل من البصرة والكوفة في العراق والفسطاط بمصر.

اذ تم تخطط موضع مدينة البصرة سنة 14هـ فامر عتبة بن غزوان بخط مسجد البصرة الاعظم وبناه بالقصب.

كما قام سعد بن ابي وقاص سنة 17هـ باختيار موضع الكوفة فاختطها واقطع الناس المنازل ،وانزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها.

اما عمرو بن العاص فانه قام بتحرير مصر واختار موضع مدينة الفسطاط ( القاهرة حالياً) بحدود سنة 21هـ.

يلاحظ ان هذه الامصار كانت في بدايتها أشبه بالمعسكرات التي يعيش فيها الجند ولم تكن فيها ابنية ومنشأت على النحو الذي اتخذت فيها بعد ،وانما كان جل ما فيها من الخيام التي اقامها اصحابها بصورة مؤقتة.

**ب- وضع التقويم الهجري:**

لم يكن للعرب قبل الاسلام تقويم يستندون اليه في تحديد التاريخ فكانت اذا وقعت واقعة كبيرة اتخذوها اساسا لحساب الايام من بعدها مثل عام الفيل .

وربما عرف أهل اليمن نوعاً من التقويم في كتابة تأريخ الحوادث فقد روى الطبري ان ( أول من أرخ الكتب يعلى بن أميه وهو باليمن). وان المسلمين اخذوا يؤرخون بعد هجرة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة من تاريخ قدومه.

غير ان ماتقدم لم يؤد الى وضع تقويم ثابت يعتمد عليه الناس في تدوين الحوادث والاخبار . او تحديد تاريخ الكتب والمراسلات ،وقد ترتب على توسيع الدولة الاسلامية .. وكثرة المراسلات بين الخليفة وعماله على الامصار ان ظهرت الحاجة الى التقويم.

ويشير الطبري الى ان ابا موسى الاشعري كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب : انه تاتينا منك كتب ليس لها تاريخ .

قال : فجمع عمر الناس للمشاورة ، فاشار عليه بعضهم أرخ لمبعث الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) . وقال بعضهم : بهجرة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم). فقال الخليفة : لا بل نؤرخ لهجرة رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم) فان الهجرة فرق بين الحق والباطل.

ويلاحظ ان الخليفة عمر حين أمر باتخاذ الهجرة اساسا للتقويم ، لم يجعل بداية التقويم شهر ربيع الاول الذي حصلت فيه الهجرة من تلك السنة مبتدءاً للتقويم الهجري ، أي ابتداءهم اياه قبل مقدم النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة بشهرين وايام وذلك لان المحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام ،وهكذا وضع التقويم .اما السنة التي تم التعامل بهذا التقويم فكانت في حدود سنة 16 هـ. ويبدوان هناك ملاحظة نود ان نشير اليها وهي :

ان ضبط الاحداث والمعاملات وغير ذلك من الشؤون فهومن الأمور التي لابد منها في قيام اية حضارة تريد ان تقوم مسيرتها نحو الاهداف التي تتواخاها.

فكيف اذا كانت هذه الحضارة تحضى بالرعاية الالهية ورضى الباري جل وعلا ،وتريد ان تهيمن على المسيرة الانسانية جمعاء في مختلف الاحوال والشؤون ، على مر الأحقاب والقرون ومن هنا ، فأنه يصبح من البديهي أن يكون من جملة المبادرات الاولى للنبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) هو وضع التاريخ.

يذكر المؤرخون- كما أوضحنا سابقاً - ان أول من أرخ بالهجرة النبوية هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . وان اختياره الهجرة مبدأ للتاريخ كان باشارة من الامام علي بن ابي طالب ( عليه السلام) وبعض الصحابة.

لاسيما وان المصادرتذكران بعض الصحابة كانوا يعدون بالأشهر من هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي هو شهر ربيع الاول . فابو سعيد الخدري مثلاً يقول : إن فرض رمضان ، كان بعد ماصرفت القبلة في شعبان بشهر على رأس ثمانية عشر شهراً.

وليس من البعيد : ان يكون التاريخ الهجري الذي وضعه الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) ،وارخ به اكثر من مرة ، لم يكن قد أشتهر بين الناس ، بسبب قلة احتياجهم للتاريخ في تلك الفترة .والحكاية كما يرويها المؤرخون:

ان السبب في وضع التاريخ انه رفع الى الخليفة عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحل عليه في شعبان ، فقال : أي شعبان ؟ آمن هذه السنة أم التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع الناس ، فقال : ضعوا للناس شيئا يعرفون به حلول ديونهم.

بعضهم اراد ان يؤرخوا كما يؤرخ الفرس بملوكهم ، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده. ومنهم اراد ان يؤرخ بتاريخ الروم من زمان الاسكندر ، فكرهوا ذلك لطوله؟ ومنهم من اراد ان يؤرخ من مولد النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم).

فاشار الامام علي ( عليه السلام) ان يؤرخ من هجرته الى المدينة لظهوره لكل واحد فأن أظهر من المولد ،والمبعث فأستحسن ذلك , لاسيما وانه صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك أرض الشرك.

وتشير الروايات ان التاريخ الهجري قد وضع من زمن النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ارخ هو (عليه واله الصلاة والسلام )بنفسه اكثر من مرة وفي اكثر من مناسبة.

وما حدث في زمن الخليفة عمر هو فقط جعل مبدأ السنة شهر محرم بدلاً من ربيع الاول . وفي ذلك قال الجهشياري ان الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) ورد المدينة مهاجراً في مكة يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت في شهر ربيع الاول سنة اربع عشرة من نبئ ... .

**ج-تنظيم القضاء**

ان القضاء بوصفه عملاً يستهدف حسم الخلافات بين الافراد كان موجوداً منذ عهد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) الا ان القضاء في هذه الفترة لم يكن وظيفة مستقلة عن غيرها من الأعمال. كما انه لم يكن وظيفة دائمة يمارسها اشخاص يعيشون في صيغ تنظيمية محددة.

ولان الدولة الاسلامية توسعت في عهد الخليفة عمر وانشغال الولاة في البلدان المحررة بكثرة الاعمال ، فقد تطلب تعيين اشخاص يتفرغون لأعمال القضاء واول من دفعه الخليفة ليباشر القضاء هو ابو الدرداء الذي كان معه في المدينة.

وولى شريح القضاء في البصرة . كما ولى ابا موسى الاشعري القضاء في الكوفة ،ويلاحظ ان الخليفة عمر جعل أمر تعين القاضي من أختصاصه وحده لأهمية هذا المنصب وصلته بواجبات الخلافة . وقد خصص للقاضي راتباً لقاء عمله هذا.

وقد توصلت الدراسات النقدية في هذا العهد ان القضاء لم يكن تنظيماً أو مؤسسة قضائية وتشريعية واضحة المعالم والاسس بقدر ماهي بدايات لارساء مثل هذا التنظيم.

والدليل على ذلك ان الخليفة عمر جعل القضاء في بعض الولايات والامصار مستقلاً عن سلطة الوالي كما هو في البصرة والكوفة والشام ومصر ، في حين ترك الامور على حالها في ولايات اخرى كمكة والطائف واليمن والبحرين حيث جمع السلطة القضائية وشؤون الولاية بيد العامل او الوالي.

**الجانب العسكري:**من العمليات العسكرية التي حدثت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

**معركة اليرموك**

**توطئة :-**

لقد باشر الخليفة عمر بن الخطاب بعزل خالد بن الوليد وتوليه ابا عبيدة بن الجراح بدلاً منه .قبيل هذه المعركة. فقد تواردت آراء كثيرة للمؤرخين القدامى تجمع على أن هناك عداوة قديمة بين عمر بن الخطاب وخالد ، ويذكر سببها ابن عساكرانهما تصارعا وهما غلامان فكسر خالد ساق عمر وأن البغض مازال بينهما حتى تولى عمر فعزله.

ولكن مع الاعتراف بحدوث هذا الصراع ،ولو سلمنا بأن له أثر ولو ضئيلاً في نفسيهما فلا يسلم ببقاء هذا الاثر في الكبر ولايسلم ببقائه بعد اسلامهما. ولعل الاسباب الحقيقية التي يؤيدها الواقع ربما ترجع الى الأتي:

1. قتل خالد لمالك بن النويرة وتزوجه بأمراتة الذي أدى الى ان يطلب عمر من ابي بكر بتقييده او عزله.
2. يذكر ابن عساكر ان خالداً كان فيه تقدم على رأي ابي بكر فلما تولى عمر لم يعجبه ذلك منه.
3. كان لايرفع حساباً لابي بكر ويفعل أشياء لايراها ابي بكر ورغم ذلك كان الخليفة الاول يغفر له في حين ان الخليفة الثاني كان عكس ذلك.
4. أفتتان بعض الناس واستماتتهم تحت لوائه فخاف الخليفةعمر أن يوكل الناس اليه فعزله ليعلموا ان الله ينصر دينه سواء أكان القائد خالد ام سواه.

**معركة اليرموك سنة 13 هـ**

لقد أرسل خالد بن الوليد الى الخليفة ابي بكر بان الروم يحشدون جيشهم في اليرموك فأستشار الامام علي ( عليه السلام) فارسل اليه مالك الاشتر وعمرو بن معد يكرب في مئات من الجند المسلمين. و كتب الخليفة أبي بكر الى خالد كتاباً قال فيه : وقد تقدم اليك أبطال اليمن وابطال مكة ويكفيك بن معد يكرب ومالك الاشتر.

ثم توفي الخليفة الاول وعزل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب خالد – كما ذكرنا- وجعل بدلا له ابا عبيدة واستشار الخليفة الامام علي ( عليه السلام) قائلاً : ما تشيرون به علي يرحمكم الله تعالى ؟

فقال الامام علي ( عليه السلام) : ابشروا رحمكم الله تعالى فأن هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى ، يختبر بها عباده المؤمنين لينظر افعالهم وصبرهم ، فمن صبر واحتسب كان عند الله من الصابرين واعلموا ان هذه الوقعة هي التي ذكرها لي رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم) التي يبقى ذكرها الى الابد .

فقد روى أبن عساكر أن اليرموك شبهت بالجراد المنتشر اذ سد بكثرته الوادي. وكان قائد الروم ( ماهان) اذ وصفه الواقدي قائلاً : وخرج ماهان الى القتال و كأنه جبل ذهب يبرق ،واقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخوَّف باسمه ، فكان أول من عرفه خالد بن الوليد فقال : هذا ماهان ، صاحب القوم قد خرج فخرج اليه غلام من الاوس وقال : و الله انا مشتاق الى الجنة وحمل ماهان بيده عمود فضرب به الغلام وقتله وكان أول من برز مالك النخعي الاشتر الذي بادر ماهان بالسلام قائلاً له : لاتغتر بمن قتلته وانما اشتاق صاحبنا الى لقاء ربه وما منا الا هو مشتاق الى الجنة فان أردت مجاورتنا في جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة وأما الجزية ،والا فانت هالك لامحالة ، قال ماهان : أنت صاحب خالد بن الوليد ؟ قال انا مالك النخعي صاحب رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال ماهان : لابدَّ لي من الحرب ثم حمل على مالك وكان من اهل الشجاعة فاجتهد في القتال ، فاخرج ماهان عمود وضرب به مالك على البيضة التي على رأسه فغاصت في جبهة مالك فشترت عينه ومن ذلك اليوم سمي الاشتر.

ولابد من الاشارة الى ان عمرو بن العاص ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة كانوا تحت أمرة ابي عبيدة بن الجراح وحقق العرب المسلمين انتصاراً فكانت بداية لتحرير بقية بلاد الشام وذلك سنة 13 هـ.

ومن الملفت للانتباه أن الروم كانوا قد بدأوا يحشدون جيوشهم لأسترجاع ماحرره المسلمين من بلاد الشام ، فحشوا نحو 100000 مقاتل ،وكان عدد المسلمين مقابلهم أقل من 30000 ففي رواية أبن عساكر كانوا 24000 والروم 120000 وفي رواية أعثم ان ماهان كان أميراً عليهم وأمر الوزراء والبطارقة والاساقفة أن لايقطعوا أمراً دونه.

ثم أن الملك هرقل كتب الى بطارقته أن أجتمعوا لهم وأنزلوا بالروم منزلاً واسع . فنزلوا على ضفة اليرموك ،وصار الوادي خندقاً لهم.

وهذا التحشيد أنما كان في عهدالخليفة ابي بكر الذي أمر خالد ان يلتحق بالشام ويترك الامر في العراق الى المثنى بن حارثة. وبعد وصول خالد الى الشام توفي الخليفة ابو بكر وتولى عمر الأمر- كما ذكرنا - وعزل خالد وتنصب ابو عبيدة بدلاً عنه كما عرفنا.

ويذكر الواقدي ان ماهان الذي سار في أثر القوم بجيوشه ورجاله كانوا لايمرون على بلد أو مدينة الا اضروا باهلها ويطالبونهم بتقديم الطعام للجند والاقامة ،وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا الى الجابية ليخبروا ابي عبيدة بما رأه من عظم الجيوش والعساكر ، فلما سمع ابو عبيدة عظم عليه وكبرلديه ، وبات قلقاً. ولاسيما انه بلغ آبا عبيده بأن ماهان أقبل في عساكر حتى نزل حمص في 100000مقاتل فأغتم لذلك .

ثم تكلم قيس بن هبيرة المرادي فقال: ايها الأمير هذا وقت رآى نشير به عليك اترانا نرجع الى بلادنا ومساقط رؤوسنا ،ونترك لهؤلاء الروم حصونا ودياراً واموالاً قد أفاءها الله علينا ونزعها من ايديهم فجعلها في ايدينا إذن لاردنا الله الى اهلنا ابداً ان تركنا هذه العيون المتفجرة والانهار المطردة والزرع والنبات والكروم والاعناب والذهب والفضة والديباج والحرير والحنطة والشعير .... الى ان قال ونحن نزعم ان قتيلنا في الجنة يصيب نعيماً مقيما وقتيلهم في النار يلقي عذاباً اليماً اثبت ايها الامير وشجع اصحابك وتوكل على الله وثق به ولا تيأس من النصر والظفر.

فقال ابو عبيدة : أحسنت ياقيس ، ما الرأي الاما رأيت وانا زعيم لك ،ولا ابرح هذه الارض حتى ياذن الله لي.

وفي هذا الوقت كان ماهان قد نصحة البطارقة بان لايخرج الى الحرب حتى يخرجوا هم قبله الا انه حلف ان لايبرز احد قبله حتى انه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال : قف مكاني ،وقدم ماهان في عدة بلغت 60000 دينار لان جميعها كان مرصعاً بالجواهر بعدها خرج وقام بالدعوة الى المبارزة كما ذكرنا سابقاً.

وانتهى بضرب مالك الأشتر ماهان الذي ولي الى معسكره عندها حمل الجيش الاسلامي بكل مابه من الامراء ومن معه على الروم حتى غابت الشمس واظلم الافق انكشف الروم منهزمين بين ايديهم وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون.

وجعل اكثر الرواة المعركة يوماً واحداً ،واخرون جعلوها اياما ، فالمتتبع يجد انها استمرت اربعة ايام كثر فيها الكر والفر.

فقد روى الواقدي ( وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما شديداً انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات . ولم يزل القتال قائماً الى ان أقبل الليل بسواده ورجعت الروم الى مواضعها والقتل فيهم كثير ،وفي المسلمين قليل ، الا أن الجراح فيهم فاشية من النشاب، فلما دخل الليل بسواده ، رجعت كل فرقة الى أمكانها وباتوا تحت السلاح).

وكان ممن استشهد في اليرموك عمرو بن سعيد بن العاص وابان بن سيعد بن العاص وغيرهم. وكتب الله النصر للمسلمين ،وبمجرد هزيمة الروم في اليرموك قرر هرقل الانسحاب الكامل من سوريا وفلسطين ومصر وقبرص وفتحت كل مدنها امام المسلمين .

ويبدو ان الروم بعد معركة اليرموك أصابهم أنهيار واسع شمل سوريا وفلسطين ومصر وغيرهم. وعندما بلغ هرقل خبر اليرموك وايقاع المسلمين بجنده ، هرب من انطاكية الى قسطنطينية ، خوفاً من مهاجمة المسلمين.

واخيرا فأن اليرموك كانت آخر معارك المسلمين مع الروم وأن كل معارك بعد اليرموك كانت مع محميات محلية أو رومية لمدن أو حصون.

**تحرير دمشق سنة 13 هـ**

وصلت ا انباء الى ابي عبيدة بان الروم حشدوا قواتهم عند منطقة فحل وأن مدداً من حمص مقر قيادة الروم اتى اهل دمشق . لذلك كتب ابو عبيدة الى الخليفة عمر يستطلع رأيه في البدء بأي الناحيتين ، فحل أم دمشق.

فأشار بالبدء بدمشق فهي حصن الشام وبيت مملكتهم وقال لهم:اشغلوا عنكم اهل فحل بخيل. لذا فقد ارسل ابو عبيدة الى فحل عشرةمن القادة عليهم عمارة بن محسن ، هذا في الوقت الذي سار فيه هو- أبي عبيدة - الى دمشق في قوة من الجيش ولم يجد هذا الجيش في طريقه اليها مقاومة تذكر لان أهل البلاد لم يعترضوا المسلمين لعدم ولائهم للدولة البيزنطنية.

وصلت القوات الى اسوار دمشق فقام ابو عبيدة بتوزيع جنوده على ابوابهاوهي باب الفراديس وباب توما وباب الجابية والباب الشرقي. وحاصرها بشدة حتى دام هذاالحصار 70 ليلة في محاولة اقتحامها وتحطيم اسوارها مستخدمين النبل والمجانيق لمناعة اسوارها.

في وقت كان حاكم المدينة البيزنطيني نسطاس وقائده باهان على ثقة من نجدة هرقل اليهم والذي كان مقيم على مقربة منهم في مدينة حمص . لذلك اشتدت مقاتلتهم للمسلمين .

وبالفعل ارسل هرقل مدد من حمص ولكن قوات المسلمين المسيطرة على الطريق (حمص – دمشق) فرقت القوات ومزقتها شر ممزق.

عند ذلك وهنت عزيمتهم فبدؤا يفكرون في التفاهم مع المسلمين الذين تمكنوا من اقتحام الاسوار وانحدروا اليها محققين انتصارا كبيرا حتى انهم اعطوا لأهل دمشق أماناً على انفسهم واموالهم وكنائسهم ولا يعرض لهم الا بخير اذا أعطوا الجزئية .

**فحل :**

خلف ابو عبيدة على دمشق يزيد بن ابي سفيان وسار الى فحل وذلك ليحلق بالقوات الاسلامية التي ترأسها شرحبيل بن حسنة والتي أخذت طريقها من قبل الى هناك.و كانت قوات الروم المنهزمة من اليرموك مع قوات أضافية ارسلها هرقل لهم.

وقاموا باطلاق مياه البحيرة والنهر من الأرض حولهم فتوحلت فعاقت جيش المسلمين عن التقدم ولكن الروم لم يستطيعوا كذلك ان يتقدموا ولم يزدهم مدد هرقل نفعاً ، وبيقت الارض متوحلة طوال الشتاء وطيلة حصار دمشق وبقومحصورين وراء فحل في وادي بيسان.

لان المسلمين كانوافي ريف الأردن في وضع أفضل مما فيه الروم .وانتظر المسلمين بقيادة شرحبيل بن حسنه حتى تجف الارض وتوجهوا بعد ذلك الى وادي الغور حتى بلغوا حدود فحل فعسكروا هناك واصبحوا أمام معسكر الروم ببيسان الذين بلغت قواتهم 80000، وحاول القائد البيزنطي سقلار بن مخراق قائد هرقل في هذه المنطقة ان يأخذ المسلمين على غرة ، ففي المساء تخطى بجنده الى معسكر المسلمين ظاناً ان المسلمين غير مستعدين ولم يؤمنوا طريقهم ، لذلك فشلت خطة القائد البيزنطي فحدثت معركة استمرت يومين برز خلالها شرحبيل بن حسنة وغيره ونتيجة لذلك انهزمت قوى الروم وخارت قواهم في الارض الموحلة التي كانت يعدونها للجيش الاسلامي ، فمكن ذلك قوات المسلمين وجنودهم من سحقهم ، فانهار الروم واعطى شرحبيل بن حسنة الصلح والامان فقبلوا. ثم كانت واقعة مرج الروم ، وحمص وقنسرين سنة 15 هـ .

**تحرير بيت المقدس سنة 15 هـ**

اتجه عمرو بن العاص بقواته لمحاصرة أرطبون في بيت المقدس وتمت محاصرته لفترة طويلة ولما طال الحصار هرب أرطبون الى مصر تاركاً على بيت المقدس البطريرك صفرونيوس.

وتذكر المصادر أن الحصار دام ما يقرب من أربعة شهور ذاقوا خلالها برد الشتاء ،وعرض المسلمون على الروم أن يدخلوا في دين الله أو يدفعوا الجزية فقبلوا الصلح على ان يتم توقيعه مع الخليفة نفسه لا مع عمرو بن العاص ،وذلك لما لمدينة بيت المقدس من الأهمية والقداسة الدينية.

وبالفعل بعث عمروبن العاص الى الخليفة باحوال المسلمين وطول الحصار ورغبة أهل المدينة في المصالحة معه.

ويبدو ان الخليفة كان قد استشار عثمان بن عفان بالذهاب لعقد الصلح فاشار عليهبعدم الذهاب قائلا:بان لا يركب اليهم ليكون احقر لهم وارغم لانوفهم.

فاستشار الخليفة بعد ذلك الامام علي (عليه السلام)الذي اكد له بضرورة المسير اليهم ليكوناخف وطأةعلى المسلمين في حصارهم،وبالفعل سار الخليفة اليهم مستخلفا الامام علي (عليه السلام)على المدينة.

وفي الجابية وفدت اليه رسل البطريق على بيت المقدس فصالحهم الخليفة عمر بن الخطاب على صلح سخي وكتب معهم كتباً أورد الطبري نصه عرف بـ (( العهدة العمرية) وفيه أمنهم على أموالهم وأنفسهم وعقائدهم لايضار أحد منهم بسبب دينه ولايكره على شيء من امره ،وقد أباح هذا العهد لمن شاء من اهل المدينة ان يرحل عنها مع الروم ،واباح لمن شاء من الروم ومن غيرهم أن يظلوا بها آمنين . ثم لم يفرض عليهم غير الجزية يؤدونها لقاء منعهم وكفالة أمنهم .

وقد صالح عمر بن الخطاب أهل اللد والرملة بصلح مماثل . وبعد أن أتم عمر ما أراد من فتح بيت المقدس سلماً وأستلام المدينة عاد الى المدينة المنورة.

**عمليات تحرير العراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب**

خاض المثنى وأبو عبيد بن مسعود الثقفي معركتين ، أبليا فيهما بلاء حسناً وهما : النمارق والجسر ، فقد جاءت بوران ملكة الفرس برستم بن فرخزاد حاكم خراسان ونصبته نائباً لها وقائداً عاماً لجيش الفرس لعشر سنين ،والبسته تاجاً ، ثم عزز ذلك ملكهم يزد جرد عندما توجوه في السنة التي جاء فيها ابو عبيدة الى العراق.

فحرك رستم المرازبة الفرس ( حرس الحدود) وقادة الدساكر في العراق ، لينقضوا عقود الصلح ويثوروا على المسلمين فسارع الى الثورة قائدان هما : جوبان في منطقة النمارق والنرسي في منطقة زندرود وكلاهما قرب واسط.

وقد اشار ابن كثير الى ان يزدجرد الذي كان عمره21 سنة وهو من ولد شهريار بن كسرى والذي تولى الحكم بعد ان عزلوا بوران قد استوثقت الممالك له واجتمعوا عليه وفرحوا به وبهذا فقد استفحل امره فيهم وقويت شوكتهم به ، بعثوا الى الاقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة ونقضوا العهود.

لذا عرض الأمر على الخليفة عمر الذي أمر أن يبرزوا من بين ظهرانيهم (يخرجوا من مناطق العراق الزراعية) وليكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه وأن تنظر كل قبيلة الى الاخرى بحيث اذا حدث حدث على قبيلة لايخفى امرها على جيرانها.

وقدم الحيرة المثنى بن حارثة من المدينة ولحقه ابو عبيد وكتب رستم الى الدهاقين في السواد أن يثوروا بالمسلمين ودس في كل رستاق رجلا ليثوروا باهله وبعد استعدادات حدثت المعركة وكتب الله تعالى فيها النصر للمسلمين وقسم ابو عبيدة الغنائم وكان فيها عطر كثير ونفل ،وبعث بالاخماس وهكذا انهزم الفرس يوم النمارق.

وتبعتها انتصارات عديدة وغنائم كثيرة وبلغ يزدجرد ملك العرب يسير اليه فشاور اهل بيته ومرازبته فقالوا له : وجه الى اطرافك فحصنها واخرج من فيها من العرب ، فوجه جالنيوس ورستم وغيرهم وكل واحد في خمسة الاف وامرهم ان ينزلوا متفرقين ويكون بعضهم قريب من الآخر ، ويمد بعضهم الآخر أن احتاجوا الى ذلك ، وأمرهم أن يقتلوا من قدروا عليه من العرب .

وسار المثنى وآبا عبيدة بجنودهما وحققا انتصارات وهكذا اسارت عمليات تحرير العراق باطراد في مصلحة المسلمين والفضل في ذلك كان لأخلاص المثنى وأبي عبيدة الثقفي وتضحياتهما.ومن معرك التحرير:

**معركة الجسر:**

خاض المثنى وابو عبيدة معركة الجسر وتسمى المروحة وسماها الطبري القرقس وكانت في أواخر سنة 13 هـ. ووقعت فيها اكبر خسارة على المسلمين بسسب خطأ عسكري ، اذ كان الفرس بجيش عدده 120000 مقاتل ومعهم 30 فيلاً في حين كان جميع المسلمين مابين 9000 – 10000 مقاتل وعين رستم القائد بهمن جاذوية ومعه الفيل وعسكر في طرف بينه وبين المسلمين نهر الفرات ،وقال الفرس لابي عبيد : إما أن تعبروا الينا وأما أن نعبر اليكم ، فأجابهم ابا عبيد فعقد جسراً ثم عبر الجند عليه واصطدام الجيشان فلما نظرت الخيول الى الفيلة والفرسان عليهم الشعر رأت شيئاً منكراً لم تره من قبل فجعل المسلمين اذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ،وأذا حملوا على المسلمين بالفيلة والاجراس فرقت كراديسهم ، ثم ياخذ الفرس بالرمي بالنشاب عليهم . فترجل ابو عبيد وجنوده ليقاتلوا بالسيوف ، فجعلت الفيلة لاتحمل على جماعة الا دفعتهم . فنادى ابو عبيد اقطعوا احزمة الفيلة واقلبوا أهلها فما تركوا فيلاً الا حطوا رحله وقتلوا أصحابه.

ووقع ابو عبيد شهيداً بعد أن أقام عليه أحد الفيلة واحتدم القتال وسقط الشهداء حتى اضطروا الى الرجوع الى الجسر فغرق البعض ، وحما المثنى وفرسان من المسلمين الجند ونادى : يا ايها الناس إنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولاتدهشوا ، فانا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ،ولاتغرقوا انفسكم ، فعبروا وعبر المثنى.

وهكذا هلك يومئذ 4000 بين قتيل وغريق ،وهرب 2000 وبقي 3000. وكانت هذه الواقعة في آخر شهر رمضان من سنة 13 هـ ،ووصل خبر هذه الهزيمة الى الخليفة ونُعي اليه ابا عبيد و بنية الثلاثة وهب ومالك وجبر .

وذكر البلاذري : مكث عمر بن الخطاب سنة لايذكر العراق . في وقت كان المثنى مقيماً بناحية أليس يدعو العرب للجهاد ، ثم ندب الخليفة عمر بن الخطاب الناس الى العراق فجعلوا يتحامونه وتثاقلوا عنه.

وقدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة ، فسال أن ياتي العراق على ان يعطيه وقومة ربع ماغلبوا عليه ،فوافق الخليفة ،وقال أبن أعثم : فسار جرير بن عبد الله من المدينة في 700 رجل حتى صار الى العراق ونزله ،وبلغ ذلك المثنى فكتب اليه :

اما بعد ياجرير فانا نحن الذين أقدمنا المهاجرين والانصار من بلدهم وأقمنا نحن في نحر العدو نكابدهم ليلاً ونهاراً وانما انت مدد لنا فلم أنتظارك رحمك الله لاتصير الينا ؟ فصر الينا وكثرنا باصحابك ، فأن زعمت انك رجل من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لايلي عليك الامن كان مثلك ، فأن امير المؤمنين عمر بن الخطاب ولى ابا عبيد بن مسعود الثقفي على المهاجرين والانصار فلما حضرته وفاته كان قد ولاني ولو علم اني لا أقوم مقامه مافعل والسلام.

فكتب اليه جرير : اما بعد فقد ورد كتابك علي فقرأته وفهمته اما قولك أنك اقدمت المهاجرين والانصار الى حرب العدو فصدقت وليتك لم تفعل ،واما قولك ان المهاجرين والانصار لحقوا ببلدهم فأنه لما قتل اميرهم لحقوا بامير المؤمنين عمر بن الخطاب ،واما ما ذكرت أنك أقمت في نحر العدو فأنك أقمت في بلدك ،وبلدك أحب اليك من غيره .

وأما مسألتني من المصير اليك ، فأن امير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يأمرني بذلك ، فكن انت أميراً على قومك وانا أميراً على قومي ،والسلام.

وجرى بينهما أختلاف بلغ الى الخليفة عمر بن الخطاب ،وشاورالقوم في ان يذهب بنفسه الى العراق ، فكل أشار عليه بذلك الا الأمام علي بن أبي طالب ( عليه السلام) بـأن لايذهب بنفسه . ويبدوا أن خطورة الموقف العسكري قد حمل عمر بن الخطاب على تجاوز القاعدة التي وضعها الخليفة ابو بكر في عدم الاستعانة بالقبائل التي ارتدت عن الاسلام في حروب التحرير ، فكتب الى اهل الردة يدعوهم للمشاركة في القتال ، فلم يوافه احد منهم الا ارسله الى جبهة العراق لنجدة المثنى .

**موقعة البويب**

وصلت انباء التحركات الاسلامية والامدادات الكبيرة الى رستم الذي أدرك خطورةالامر لذلك أراد أن يقسم السلطة بينه وبين احد القيادة المهرة ويدعى ( الفيزران ) ووضع قيادة الجند الفارسي في يد القائد مهران الهمذاني الذي خرج بقواته لملاقاة الجيش الأسلامي .

وصلت انباء هذا التحرك الفارسي الى المثنى الذي جمع قواته في مكان يسمى البويب على شاطيء الفرات قرب الكوفة ولايفصل بينهما الى النهر.

وبدأ مهران بمراسلة المثنى وسأله إما أن يعبر اليه أو نعبر اليكم ولكن المثنى لم ينس هزيمة المسلمين في موقعة الجسر ، فطلب منه أن يعبروا اليه ،وبدا القتال الذي دام ساعات وتمكن المثنى من قتل القائد الفارسي مهران وقاتل الفرس حتى ولو الادبار ، فلحق بهم المسلمون وحصروهم عند النهر وقتلوهم حتى لقد سمى يوم البويب بيوم الأعشار لانهم أحصوا بمائة رجل من العرب قتل كل واحد منهم عشرة من الفرس في المعركة وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة فبعثوا بها الى المدينة.

وقد أعطت هذه المعركة الثقة في نفوس المسلمين مما دفع المثنى الى الانطلاق في سواد العراق ثم الى ارض فارس.

**معركة القادسية سنة 14 هـ**

لقد حشد الفرس قواتهم في القادسية قرب الكوفة وكانوا 60000 جندي وقيل 120000 واستعادوا السيطرة على اكثر المناطق التي حررها المسلمون واخضعوها لهم .

فقد دعا رستم اهل الحيرة ، وسرادقه الى جانب الدير ، فقال يا اعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا ،وكنتم عيونا لهم علينا وقويتموهم بالاموال . فاتقوه بابن بقيلة وقالوا له كن أنت الذي تكلمه ، فتقدم وقال:

أما انت وقولك انا فرحنا بمجيئهم ، فماذا فعلوا وبأي ذلك من امورهم نفرح ؟ انهم يزعمون انا عبيد، وما هم على ديننا ،وانهم ليشهدون علينا انا من أهل النار

اما قولك انا كنا عيوناً لهم فما الذي يحوجهم ان نكون عيونا لهم وقد هرب اصحابكم منهم ،وخلوا لهم القرى فليس يمنعهم أحد من وجه ارادوه ، إن شاؤوا أخذوا يميناً أو شمالاً.

واما قولك انا قويناهم بالأموال فإنا صانعناهم بالاموال عن انفسنا اذ لم تمنعونا مخافة ان نبسى وان نحرب و تقتل مقاتلتنا ،وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا نحن اعجز ولعمري لانتم أحب الينا منهم وأحسن عندنا بلاءً مامنعونا منهم نكن لكم أعواناً ، فأنما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلب .

فقال رستم : صدقكم الرجل . وقد ذكر خليفة بن خياط ان جيش الفرس وعليهم رستم كانوا في 60000 من أخص ديوانه . والمسلمون في 6000 أو 7000 وكانت الفيلة أمام جيوش الفرس وعليها الرجال.

وجاء في المنتظم لابن الجوزي: لما أجتمع الناس بالقادسية دعت الخنساء بنت عمرو النخعية بنيهما الأربعة وقالت :

يابني انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم والله مانبت بكم الدار ...... .

فاذا كان غداً ان شاء الله فاغدوا القتال عندكم مستنصرين الله مستبصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد بدت ساقها وقد ضربت رواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا خميسها تظفروا بالمغنم والسلامة والفوز والكرامة في دار الخلود والمقامة.

والظاهران عدد قوات المسلمين كان اكثر من 10000مقاتل منهم الفان واربع مئة من النخعيين - جماعة مالك الاشتر ( رضي الله عنه) - وروى الطبري ان الخليفة عمر قد كتب الى سعد بن ابي وقاص أن يرسل قبل المعركة وفد الى يزدجرد يدعونه الى الاسلام ،وبالفعل ارسل سعد وفداً جاء الى يزدجرد وما ان وصلوا حتى حبسوا وبعث يزدجراد الى وزرائه ووجوه ارضه يستشيرهم فيما يصنع بهم وبقوله لهم . وسمع بهم الناس فحضروا ينظرون اليهم ، وأدخل الوفد على يزدجرد الذي كان سيء الأدب معهم . فكان أول شيء دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان فقال : سلهم مايسمون هذه الاردية ؟

فسأل النعمان بن مقرن وكان على الوفد : ماتسمي رداءك؟ قال : البرد ، ثم سأله عن أحذيتهم واشياء اخرى لامعنى لها . ثم قال : ماجاءكم ومادعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا أمن اجل انا أجممناكم وتشاغلنا عنكم أجرأتم علينا ؟

فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ومن شاء أثرته . فقالوا : بل تكلم ، فاجابوا الملك : كلام هذا الرجل كلامنا فتكلم النعمان فقال : أن الله رحمنا فارسل الينا رسولً يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة ... الى ان قال : فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فأن ابيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه :الجزاء ، فأن ابيتم فالمناجزة . فأن اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ،واقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه ،ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإلا قاتلناكم ..

فتكلم يزدجرد فقال : أني لاأعلم في الارض امة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم قدكنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم ....... الى ان قال : ولولا ان الرسل لاتقتل لقتلتكم ، لاشيء لكم عندي أرجعوا الى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليكم رستم حتى يدفنكم ويدفنه في خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد.

فحدثت معركة **القادسية** التي كانت اربعة ايام :

سموا الاول يوم رماث ،والثاني اغواث والثالث عماس و ليلة الرابع ليلة الهرير واليوم الرابع سموه بيوم القادسية .

وبقي الجيشان قبل المعركة أربعة أشهر لايقاتلهم رستم ولايقدم رجاء أن يضجروا وابمكانهم وأن يجهدوا فينصرفوا .

**يوم أرماث** :- التقى فيه الجيشان وابلى المسلمون بلاء حسناً ولوان قتال الفيلة كان شديداً على المسلمين ،واستمر القتال طوال النهار أي الى ان غربت الشمس فانفصل الجيشان.

**يوم أغواث**: رجع الجيشان مساء يوم ارماث كل الى موقعه وفي الصباح انشغلوا بالقتلى والجرحى ،وفي هذه الاثناء وصلت الى المعسكر الاسلامي نجده على راسها القعقاع بن عمرو التميمي بناء اوامر الخليفة عمر بن الخطاب.

وبدأ القتال حتى تمكن العرب من الشعور بالظفر لان الفيلة تكسرت توابيتها فاشتغل الفرس باصلاحها واستمر القتال الى نصف الليل وانفصل الجيشان.

**يوم عماس** :- بدأت المعركة واستمر تساقط الفيلة في النهر واستمر القتال حتى جاء المساء فانفصل الجيشان قليلاً ثم عاودوا القتال ،و كانت من اصعب اليالي اذ كان المسلمون يهرون هريراً ولذلك سميت بليلة الهرير.

واستمر القتال حتى الصباح والنصر لمن صبر واستمروا حتى الظهيرة فابتدأ الفرس بالتقهقر وكان اول من زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا عن مواقفهما ثم حمل هلال بن علفة احد فرسان المسلمين فقتل رستم فلما رآى ذلك الفرس ابتداوا بالانهزام والانسحاب،وحمل المسلمون بذلك راية الفرسن ايذاناً بهزيمتهم على يد المسلمين . وكتبوا الى الخليفة بالنصر وجمعوا الغنائم الكثيرة.

ومن نتائج هذه المعركة أنها تعتبر من اعظم المعارك الاسلامية إذ قهرت قوة الفرس وقتل فيها عظماء رجالهم وكبار قادتهم وقاتل فيها أغلب رؤساء العرب لان الخليفة عمر لم يترك احداً من ذوي النجدات يتأخر عنها .

**تحرير المدائن سنة 16 هـ**

رغب المسلمون في العبور الى المدائن عن طريق نهر دجلة ليقتحموها فلم يجدوا جسراً يعبرون عليه او سفناً تحملهم في هذا الوقت تنبه يزدجرد كسرى فارس ونقل ماله وخزائنه ونسائه الى المدينة الشرقية ، وبعدها ترك يزدجرد وهرب قاصداً حلوان . وتمكن المسلمون من جمع الغنائم وصارت المدائن قاعدة لاعمال العراق.

ثم حدثت موقعة جلولاء سنة 16 هـ فتحرير الاحواز سنة 17 هـ .

**مقتل الخليفة:**

**نصوص مختارة عن طعن الخليفة عمر بن الخطاب:**

تعددت الروايات التي ذكرت عملية طعن ومقتل الخليفة عمر بن الخطاب ولا باس ان نذكر مثالين لهذا التنوع والاختلاف

**رواية ابن اعثم :**

تذكر الروايات : أن أبا لؤلؤة استعد لتنفيذ ما عزم عليه ، ثم باشر التنفيذ ، ونحن نختار هنا النص الذي أورده ابن أعثم ، لتضمنه خصوصيات تحتاج إلى بيان بعض المآخذ . ثم نشير إلى بعض ما ألمحت إليه سائر النصوص أيضاً ، فقد ذكر ابن أعثم :

وانطلق أبو لؤلؤة فاتخذ خنجراً طويلاً ، له رأسان وبينهما مقبض ، ثم أقبل حتى دخل المسجد متنكراً ، وذلك يوم الأربعاء في وقت الفجر ، قال : فأذن عمر ، وأقام الصلاة ، وتقدم حتى وقف في محرابه ، فجعل يسوي الصفوف عن يمينه وشماله ، وأبو لؤلؤة في الصف الأول ملفع الرأس . فلما كبر عمر ، وكبر الناس معه بدر أبو لؤلؤة من الصف والخنجر في يده ، فجرحه ثلاث جراحات : جراحتين في سرته ، وجراحة فوق سرته ، ثم شق الصفوف وخرج هاربا . قال : وعلم عمر أنه مقتول ، فأمر عبد الرحمن بن عوف أن يصلي بالناس .

فلما سلم وثب الناس يتعادون خلف أبي لؤلؤة ، وهم يقولون : خذوه ، فقد قتل أمير المؤمنين ! فكان كلما لحقه رجل من المسلمين ليأخذه وجأه أبو لؤلؤة بالخنجر ، حتى جرح من المسلمين ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم ستة نفر . قال : ولحقه رجل من ورائه فألقى على رأسه برنسا فأخذه ، فلما علم أبو لؤلؤة أنه قد أخذ وجأ نفسه وجأة فقتل نفسه . قال : واحتمل عمر إلى منزله ، وهو لما به . واجتمع إليه الناس ، فقال عمر : أبو لؤلؤة قتلني ، أم غيره ؟ ! فقالوا : أبو لؤلؤة يا أمير المؤمنين ! فقال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل مسلم . قال : ثم أغمي عليه ساعة حتى فاتته صلاة الظهر ، فأيقظوه وقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : نعم ، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، لكني على ما ترون . قال : ثم صلى عمر . ودعي له بالطبيب ، فسقاه شراب حلواً من شرابه ، فخرج الشراب من جراحاته ، فلم يدر أشراب هو أم دم .

فدعي له بطبيب من الأنصار من بني معاوية فسقاه لبناً . فإذا اللبن قد خرج من جراحاته أبيض . فقال له الطبيب : أوص يا أمير المؤمنين فإنك ميت . فقال عمر : صدقتني أخا الأنصار عن نفسي.

وتوفي الخليفة عمر يوم الأربعاء ، بالعشي ، ليلة الخميس ، لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة النبوية الشريفة ، وهو يومئذ ابن ثلاث وستين سنة .

**رواية ابن سعد** :

أما رواية ابن سعد ؛ فإنها تذكر : أن أبا لؤلؤة بعد أن قتل عمر انحاز على أهل المسجد ، فطعن أحد عشر رجلاً منهم سوى عمر ، ثم انتحر بخنجره . ثم تذكر الرواية نفسها : أن عمر أمرهم بأن يصلي بهم عبد الرحمان ، فصلى بالناس ، فأنكر الناس صوت عبد الرحمان .

وهذا كلام عجيب وغريب . وذلك لما يلي :

ا : هل حين طعن أبو لؤلؤة أحد عشر رجلاً ، لم يصرخ أولئك المطعونون ؟ ! ولم يستغيثوا ؟ ! ولم يقع أحد منهم إلى الأرض ؟ ! ولم يعرف أحد من المصلين بأمرهم ؟ !

ب : لماذا حين طُعِن عمر لم يعلم به أيضاً أولئك المصلون ؟ ! فإن كانوا قد علموا به ، وعرفوا بجرح أحد عشر رجلاً ، فلماذا أنكروا صوت عبد الرحمان بن عوف ؟ ! وإن لم يعرفوا لا بهذا ولا بذاك ، فما هو السبب في ذلك ؟ ! هل كانت كثرتهم هي التي حجبت أصوات المستغيثين ، وصراخ المطعونين ؟ ! وإن حجبت ، فهل تحجب ذلك عن الجميع ؟ ! أو عن البعيدين فقط ؟ !

ج : كيف سمعوا صوت عبد الرحمان بن عوف ، ولم يسمعوا ولم يعرفوا بما جرى لخليفتهم ، ولأحد عشر رجلاً منهم ؟ ! .

د : كيف انتظمت لهم صلاة بعد طعن إمام تلك الصلاة ، وطعن هذا المقدار من المصلين ، ومع سائر ميزات هذا الإمام وأهميته بالنسبة لهم . .

هـ : إن رواية ابن أعثم ومن تابعه قد ناقضت رواية غيره ، حيث تضمنت : أن أبا لؤلؤة طعن ثلاثة عشر رجلاً ، بعد فراغهم من الصلاة وذلك حين تعادوا خلفه ليأخذوه . ولكن رواية ابن سعد ، ومن تابعه تقول : إنه طعنهم قبل أن يخرج من المسجد. متى لحق الناس بأبي لؤلؤة ؟ ! : قد ذكرت الرواية المتقدمة : أن أبا لؤلؤة طعن عمر بمجرد أن كبر للصلاة ، فأمر عمر عبد الرحمان أن يصلي بالناس . . فلما سلم وثب الناس يتعادون خلف أبي لؤلؤة ، فطعن منهم ثلاثة عشر رجلاً . . وهو كلام غريب حقاً .

إذ لماذا صبر الناس عن الخروج في طلب قاتل خليفتهم إلى أن فرغوا من الصلاة ؟ ! أم أن شدة اهتمامهم بصلاتهم منعهم من الالتفات إلى شيء آخر ؟ ! وكيف نصدق ذلك عنهم ، وقد حكى الله لنا عنهم ما يناقضه وينافيه ، فقال : \* ( وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ )

ولماذا بقي أبو لؤلؤة قريباً منهم إلى حد أنهم قد لحقوه بهذه السهولة رغم مرور حوالي ثلاث دقائق على فراره ؟ ! .

وكيف نوفق بين هذه الرواية وبين الرواية التي تقول : إن أبا لؤلؤة طعن نفسه بخنجره ، فقتل نفسه بالمسجد ؟ !

**من هو أبو لؤلؤة ؟:**

أبو لؤلؤة :هو فيروز النهاوندي ، كان أخاً لذكوان والد أبي الزناد عبد الله بن ذكوان ، عالم أهل المدينة بالحساب والفرائض ، والشعر ، والنحو ، والحديث ، والفقه . ..

أما ما ينسبونه إليه ، من أنه كان مجوسياً . . فهو محل شك في بعض الروايات ، ومنشأ هذا الشك هو الأمور التالية :

1 - اختلفت كلمات المؤرخين في خصوص هذه النقطة ، فهناك من يدعي : أنه كان نصرانياً . وهناك من يرميه بالمجوسية. وهناك من يقول بأنه كان مسلماً . فالجزم بمجوسيته من دون تحقيق في هذا الأمر يصبح مجازفة ، لا يليق بالإنسان العاقل والمنصف ، أن يلجأ إليها .

2 - وابن كثير يرى : أنه كان في الأصل مجوسياً ، فقد قال : « فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز ، المجوسي الأصل ، الرومي الدار ». ولكن ابن كثير لم يصرح بانتقاله إلى الإسلام ، بل سكت عن ذلك .

3 - قال الميرزا عبد الله الأفندي : إن فيروز قد كان من أكابر المسلمين ، والمجاهدين ، بل من خُلَّص أتباع أمير المؤمنين « عليه السلام » . وقال : « والمعروف كون أبي لؤلؤة من خيار شيعة علي »

4 - بعد قتل عمر بن الخطاب بادر عبيد الله بن عمر ، فقتل الهرمزان ، وجفينة ، وبنتاً صغيرة لأبي لؤلؤة ، فأشار الإمام علي « عليه السلام » على عثمان أن يقتله بهم ، فأبى . فإن هذا يشير إلى : أن أمير المؤمنين « عليه السلام » يعتبر ابنة أبي لؤلؤة في جملة أهل الإسلام ، ويطالب بقتل قاتلها ، ولا يقتل المسلم بكافر . ومع كونها صغيرة لم تبلغ سن التكليف ، فإن لحوق حكم الإسلام بها إنما يكون من أجل تبعيتها لأبويها المسلمين ، أو لأحدهما إذا كان مسلماً . . وهذا يثير احتمال أن يكون أبوها مسلماً أيضاً ، وقد لحقت هي به ، مع احتمال أن تكون أمها هي المسلمة وقد ألحقت بها . . بل إن إسلام أمها يكفي لإثبات إسلام أبيها . فإن إسلام أمها يفرض أن يكون أبوها مسلماً أيضاً . إذ إن النبي « صلى الله عليه وآله » لم يكن يقر كافراً على مسلمة . والشواهد المتقدمة تؤيد أن يكون أبوها مسلماً أيضاً . . والظاهر : أن الآخرين قد تنبهوا لهذا الأمر ، فحاولوا التعمية على الناس بمثل قولهم : « كانت صغيرة تدَّعي الإسلام مع أن من الواضح : أن ادعاء الصغير للإسلام لا يخرجه عن كونه ملحقاً بأبويه فيما يرتبط بالأحكام ، ولا سيما فيما يرتبط بالقود وبالدماء . . ومما يسهل علينا تصور هذا الأمر : أن النصوص تدل على أن الإسلام كان قد فشا وشاع في العلوج الذين كانوا بيد المسلمين ، حتى إنهم يذكرون : أنه لما طعن عمر قال لابن عباس : « لقد كنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقاً ، فقال : إن شئت فعلت . أي إن شئت قتلنا .

قال : كذبت ، بعدما تكلموا بلسانكم ، وصلوا قبلتكم ، وحجوا حجكم . . » وحسب نص ابن شبة : أنه قال : « إن شئت قتلناه » ، فأجابه عمر بما ذكر . . وهذا معناه : أن عمر قد أقر بإسلام أبي لؤلؤة .

5 - وقال عيينة بن حصين لعمر : إني أرى هذه الأعاجم قد كثرت ببلدك فاحترس منهم ، قال : إنهم قد اعتصموا بالإسلام . قال : أما والله ، لكأني أنظر إلى أحمر أزرق منهم قد جال في هذه ، في بطن عمر ، فلما طعن عمر قال : ما فعل عيينة الخ . .

**هل انتحر أبو لؤلؤة ؟ :**

وقد ذكرت مصادر كثيرة : أن أبا لؤلؤة قد وجأ نفسه فقتلها ، حين تكاثروا عليه ، وأخذوه .

وفي رواية أخرى : أنهم قالوا لعمر عن قاتله : « إنه والله قد قتل وقطع » .

وفي نص آخر : « فصلى بالناس عبد الرحمن بن عوف ، وقتل العبد » ويفهم من هذا : أنه لم يقتل نفسه . ولكن ذلك أيضاً موضع ريب وشك ، وذلك لما يلي :

1 - روى ابن أعثم : أن أبا لؤلؤة جرح عمر « ثلاث جراحات : جراحتين في سرته ، وجراحة فوق سرته ، ثم شق الصفوف ، وخرج هارباً . قال : وعلم عمر : أنه مقتول ، فأمر عبد الرحمن بن عوف أن يصلي بالناس ، فصلى في الركعة الأولى بأم الكتاب ، وقل يا أيها الكافرون ، وفي الركعة الثانية بأم الكتاب ، وقل هو الله أحد . فلما سلَّم وثب الناس يتعادون خلف أبي لؤلؤة ، وهم يقولون : خذوه ، فقد قتل أمير المؤمنين . فكان كلما لحقه رجل من المسلمين ليأخذه وجأه أبو لؤلؤة بالخنجر ، حتى جرح من المسلمين ثلاثة عشر رجلاً ، فمات منهم ستة نفر . قال : ولحقه رجل من ورائه ، فألقى عليه برنساً ، فأخذه ، فلما علم أبو لؤلؤة أنه قد أخذ وجأ نفسه وجأة ، فقتل نفسه . . ». ونقول : إذا كان قد مضى هذا الوقت الطويل ، الذي صلى فيه الناس ركعتين على النحو الذي ذكرته الرواية ، وكان أبو لؤلؤة قد ولى هارباً ، فلا بد أن يكون قد قطع مسافات طويلة ، أو تمكن من أن يغيِّب نفسه في مكان لا يصل إليه فيه أحد . . خصوصاً ، وأن ظلمة الليل كانت لا تزال قائمة ، وتمنع من الرؤية لمسافات بعيدة ! ! ولا يعرف الناس إلى أية جهة توجه ! ! فما معنى أن تقول هذه الرواية : إنهم بعد أن أتموا صلاتهم لحقوا به ، وأخذوه ؟ ! . . إلا أن يكون أبو لؤلؤة على درجة كبيرة من البطء في مشيه ، أو كان معاقاً بسبب عاهة أو غيرها ، مع أن التاريخ لا يشير إلى شيء من ذلك فيه ، بل هناك ما يدل على عكس ذلك ،

وورد في رواية أخرى : « فطعنه طعنتين ، واحدة في قلبه ، وأخرى في سرته ، وولى هارباً ، فوثب الناس خلفه ، وهم يقولون : خذوه ، خذوه . فلم يقدروا عليه . . وكان أبو لؤلؤة رجل شجاع ( الصحيح : رجلاً شجاعاً ) سريع الركض . وكان كل من لحقه من الناس ضربه بذلك المنقار ، حتى قتل ثلاثة عشر رجلاً ، ونجا هارباً .

ويمكن تأييد ذلك أيضاً بما روي عن ابن عباس : أنه لما أخبر عمر بقاتله قال له : « أصابك أبو لؤلؤة وأصيب معك ثلاثة عشر ، وقتل كليب الجزار عند المهراس » ومن الواضح : أن المهراس هو ماء بجبل أحد ، في أقصاه ، يجتمع من المطر في نقر كبار وصغار هناك ، والمهراس اسم لتلك النقر . فإذا كان أبو لؤلؤة قد وصل إلى هناك ، واستطاع أن يتخلص من كليب هذا إذ كان يلاحقه ، أو صادفه هناك ، فقتله حتى لا يدل عليه ، فإن روايات انتحاره في المسجد ، أو القبض عليه أو نحو ذلك تصبح موضع ريب كبير . .

و إن رواية البخاري تفيد : أن الناس في المسجد لم يعرفوا بما حصل ، وأن من عرف ذلك هم أفراد قليلون جداً ، وهم الذين كانوا قرب عمر ، فقد قال عمرو بن ميمون بعد أن ذكر أن أبا لؤلؤة طعن عمر ، وطعن معه ثلاثة عشر رجلاً . . مات منهم سبعة ، ثم نحر نفسه : « وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدَّمه ، فمن يلي عمر ، فقد رأى الذي أرى . وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون ، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر ، وهم يقولون : سبحان الله ، سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف الخ . .

وجاء في رواية أخرى : أنه بعد قتل الخليفة عمر ، وحمله إلى بيته : « ثم صلى بالناس عبد الرحمن ( أي ابن عوف ) فأنكر الناس صوت عبد الرحمن » . وهذا يدل على أن الناس لم يعرفوا بما جرى ، وأنهم يتوقعون أن يسمعوا صوت عمر في الصلاة

وبهذه الرواية ورواية البخاري السابقة يجمع بين الرواية القائلة : إنهم لحقوه بعد صلاتهم ، وبين التي تقول : إنه جرح ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم ستة . . لكن يبقى سؤال يحتاج إلى جواب ، هو أنه إذا كان ذلك قد حصل في صلاة الصبح ، فإن المتوقع أن يكون الحضور قليلاً ، ومع قتل هذا العدد الكبير من المصلين وجرحهم ، كيف بقي سائر أهل المسجد غافلين عما يجري ، مع أن المسجد لم يكن آنئذ كبيراً كما هو عليه الآن ؟ ! . . ومع أنه حين يقتل شخص ، فلا بد أن يصرخ ، وأن يأتي بحركات متلاحقة ، وغير منتظمة ، تنقض الصف الذي هو فيه ، فكيف إذا قتل هذا العدد الكبير ، فمن الطبيعي أن تنتقض الصفوف كلها . ولا تبقى صلاة . . ولعل المقتول هو عمر ومعه فردان أو ثلاثة حاولوا القبض على أبي لؤلؤة ، فوجأهم ومضى . . ولكنهم زادوا في عدد القتلى لتعظيم جرم أبي لؤلؤة .

**الشورى العمرية وبيعة عثمان بن عفان:**

يبدو أن كثيرا من الناس وعلى رأسهم الخليفة عمر نفسه أدركوا أن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، ولم تكن وفق سياق طبيعي ، وأن بيعة عمر كانت بغير مشورة من المسلمين ، وكذلك تكرر كثيرا حتى اعترف الخليفة عمر بهذه الحقائق قائلا: ( إن رجالا يقولون إن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، وإن بيعة عمر كانت عن غير مشورة ، والأمر بعدي شورى ) فهذه الرواية - إن صحت - دلت على اعتراف صريح بأن تحديد القيادة في المرة الأولى والثانية لم يكن شورى ، بل كان كما رآه الناس آنذاك : فلتة مرة ، وبلا مشورة أخرى ، ولهذا فقد قرر الخليفة عمر تعيين القيادة من بعده - وفي المرة الثالثة - عن طريق الشورى ولما طعن عمر ، ورأى أنه ذاهب إلى ربه ، وضع صيغة سياسية جديدة لتعيين قيادة خير أمة وخير دولة ، فدعا الامام علي ، وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام وقال لهم : ( فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب بن سنان الرومي ، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شئ له من الأمر ، وطلحة شريككم في الأمر– وكان غائباً بأرضه بالسراة -، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه معكم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم . . . وقال لأبي طلحة الأنصاري : يا أبا طلحة إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم ، فاختر خمسين رجلا من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتموني في حفرتي فأجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا منهم ، وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ولا شئ له من الأمر ، وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه أو أضرب رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، فإن رضي ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر ، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.

هل القرار في الشورى بيد الستة ، بحيث لا يصبح الخليفة خليفة إلا بموافقتهم ؟ ! . أم القرار إلى أربعة منهم . . والاثنان الآخران لا رأي لهم . . بل يجب قتلهم ؟ ! أم القرار إلى رجل واحد فقط ، وهو عبد الرحمان بن عوف ؟ ! فمن نصبه عبد الرحمان كان هو الخليفة ؟ ! أم القرار بيد الثلاثة الذين فيهم ابن عوف ؟ ! أم هو لاثنين فقط ، وهما : علي وعثمان ، حيث قال : « إن اجتمع علي وعثمان ، فالقول ما قالاه » .

وهل يمكن أن يتفق علي وعثمان على رأي واحد ؟ ! أم القرار لابن عمر ، حيث أرجع الأمر إليه إن اختلفوا ، فمن خالفه قتل ؟ ! مع أن ابن عمر لم يكن من أهل الشورى ! ! فمن المستهدف هل هو علي عليه السلام .

ونستطيع أن نجمل من دلائل ذلك ما يلي : إن الشورى ليست لستة أشخاص ، بل هي لرجل واحد ، هو عبد الرحمان بن عوف ، فإن الخليفة عمر قد فوضه نصب خليفة للمسلمين . . بعد أن ضمن أن الذين عينهم للشورى سوف ينقسمون إلى قسمين : أحدهما الامام علي والزبير في جانب ، وقد ينضم طلحة إليهما . وابن عوف ، وسعد وعثمان في جانب آخر . وبذلك يكون قد ضمن : أن لا يصل الامام علي « عليه السلام » إلى الخلافة فإذا أصر على المعارضة ، فسيكون قد غرر بنفسه ، وعرضها للقتل . .

وآخر ما نشير إليه هنا : هو اختيار عدد الزوج لا الفرد في الشورى ، لأن عدد الفرد يمنع من تساوي الآراء . . فلا يبقى مجال لفرض عبد الرحمن بن عوف رأيه كما أنه لا يمكن الأمر بقتل الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ، وسيكون علي « عليه السلام » فيهم على سبيل الجزم واليقين .

**بدا الاجتماع:**

لما دفن الخليفة عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة ، ويقال في بيت المال ، ويقال في حجرة السيدة عائشة بإذنها ، وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة الذي كان غائب .

فتنافس القوم في الأمر وكثر بينهم الكلام . فقال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم ؟ فلم يجبه أحد ، فقال : فأنا أنخلع منها .فقال: عثمان أنا أول من رضي فقال القوم : قد رضينا .

وبعد مناقشات ومداولات كثيرة قال عبد الرحمن بن عوف: إني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا . ودعا عليا فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده .

قال : أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي . ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي(عليه السلام) قال نعم ، فبايعه .

وفي رواية أخرى أنه سأل الامام علي ( عليه السلام ) ( هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر ؟ فقال : اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ، فالتفت إلى عثمان فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم )

ثم نهضوا إلى المسجد فصعد عبد الرحمن المنبر ، ونادى علي(عليه السلام) ثم أخذ بيده وقال ( هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ، فأرسل يده ثم نادى : قم إلي يا عثمان ، فأخذ بيده وهو في موقف علي الذي كان فيه فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ، فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ثم قال : اللهم اسمع واشهد ، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان ، وازدحم الناس يبايعون عثمان ) .

وإذا حاولنا أن نفهم هذه القصة بلغة عصرنا ، إن برنامج الخليفة الثاني لتعيين القيادة اشتمل على البنود التالية :

1 - تشكيل مجلس شورى من سبعة أعضاء أحدهم لا يحق له ترشيح نفسه . هؤلاء الأعضاء هم : علي بن أبي طالب ، وكان مرشحا للقيادة .

عثمان بن عفان ، وكان مرشحا للقيادة .

عبد الرحمن بن عوف ، وهو زوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأمها . أروى بنت كريز ، وأروى هي أم عثمان ، فهمو بهذا زوج أخت عثمان لأمه .

سعد بن أبي وقاص ، وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف .

طلحة بن عبيد الله ، وكان غائبا لم يحضر .

الزبير بن العوام ، وكان ابن خال السيدة فاطمة ( ع ) زوجة أحد المرشحين .

عبد الله بن عمر ، رأيه استشاري ، وهو ابن الخليفة ، ومواقفه من أحد المرشحين ( الإمام علي) معروفة مسجلة .

2 - قتل من حاز على نسبة أقل أو حتى متساوية من الأصوات ، ورفض مبايعة من وقع عليه الاختيار .

3 - عند تساوي الأصوات توضع سلطة التحكيم في يد ابن الخليفة ، فإن رفض قراره ، رجح المرشح الذي يميل معه عبد الرحمن بن عوف .

4 - مدة التشاور ثلاثة أيام نعم كان لكل واحد من أعضاء المجلس حق الترشح للقيادة ، إلا أن جميع الأعضاء وكذلك عامة الناس ، كانوا يفهمون أن السباق ليس إلا بين علي وعثمان ، ومن ثم ذكرت كلا منهما على أنه مرشح للقيادة . وفي كلام الإمام علي عليه السلام تأييد لهذا كما سياتي فيما بعد .

ثم أسفر المجلس عن إيكال سلطة حسم المشكلة إلى عبد الرحمن بن عوف بناء على اقتراحه هو نفسه ، فصار له وضع القيادة المؤقتة التي أنيطت بها مسؤولية اختيار القيادة الجديدة ، أي أن السلطة التي أجرت الانتخابات - بمفهوم عصرنا - كانت تميل مع أحد المرشحين ، وتربطها به صلة نسب قوية . وانتهى الأمر ببيعة عثمان ( رض ) .

**وإذاحاولنا فهم ما جرى في حجاب عن زوابع العاطفة قلنا :**

أولا : إن تشكيل المجلس وانتقاء أعضائه لم يتم على أساس مفهوم واضح ، فما هي شروط الأهلية هنا ؟ ولماذا لم ينتق الخليفة غير من انتقى ؟ ولماذا لم يمثل فيه الأنصار ، وهم قوة سياسية كبيرة بالمجتمع آنذاك ؟

ثانيا : إن انتقاء ستة أعضاء ثلاثة منهم أقرباء فيما بينهم ، وفيهم أحد المرشحين ، ثم تركيز سلطة الفصل في الأمر عند التساوي في يد ابن الخليفة المعادي لأحد المرشحين ، فإن لم يكن ففي يد قريب أحد المرشحين دون سبب شرعي لهذا الإجراء ، كله من تفضيل لعبد الرحمن بن عوف ، أو وضع القرار في يديه ، أمر لا يفهم منه إلا وضع هذه الصيغة السياسية والدستورية بحيث يصبح فوز أحد المرشحين - وهو هنا عثمان بن عفان - أمرا محتوما ، وتبقى المسألة إجراء صوريا لذر الرماد في الأعين ، والتخييل على الناس بأن الأمر تم عن طريق الشورى . وأقل ما يوصف به مثل هذا المجلس في عرفنا - على الأقل من حيث التشكل - أنه غير محايد ، لأن مجموعة الأقارب التي تربطها وشائج القرابة ، وعلاقات المصالح ، يمتنع أن تتفق على غير مرشحها ، فإذا تساوت الأطراف فالسلطة في يدها ، وهو ما يجعل الفريق الآخر لا قيمة له ، ولا فرصة أمامه . من أجل هذا رأينا الإمام علي ( عليه السلام ) يسخر من مجلس الشورى في بعض كلامه ويقول ( حتى إذا مضى لسبيله ( أي الخليفة عمر ) جعلها ( أي القيادة ) في جماعة زعم أني أحدهم ، فيا لله ويا للشورى . . . فصغا رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ) ويعلق على الصيغة السياسية التي وضعها عمر فيقول ( قرن بي عثمان ، وقال كونوا مع الأكثر ، فإن رضي رجلان رجلا ، ورجلان رجلا ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون ، فيوليها عبد الرحمن عثمان أو عثمان عبد الرحمن ، فلو كان الآخران ( يعني طلحة والزبير ) معي لم ينفعاني ، بل إني لأرجو إلا أحدهما ) أي أنه كان يتوقع بقاء الزبير فقط معه وانحياز طلحة عثمان وهو ما حدث .

وأكرم عثمان طلحة ، وخصه بالعطاء طوال مدة خلافته حتى حصر فكان أشد الناس عليه ( فكان طلحة إذن يمثل نوعا خاصا من المعارضة رضي ما أتاح الرضا له الثراء والمكانة ، فلما طمع في أكثر من ذلك عارض حتى أهلك وهلك ).

ثالثا : إن إصدار الخليفة عمر أمره بقتل من حاز على أصوات أقل أو تساوى في الأصوات ولم يبايع ، لم يكن له سند من كتاب ولا سنة ، فإن حصل مرشح على نسبة أصوات أعلى ، وآخر على عدد أقل فما الداعي لقتل الثاني ؟ وبأي شريعة يقتل ؟ وهل يبيح الإسلام قتل من لم يبايعوا أو كانوا في الأقلية أو من لم يفوزوا في الانتخابات مثلا ؟ أليس هذا الحكم من باب إرهاب الطرف الآخر كي يبايع ؟ قد يقال إن عمر حكم بهذا خشية الفتنة ، ومن باب الحرص على الأمة ، فنقول : وفي أي شريعة يقتل المسلم بمجرد الخوف والتحسب ، دون أن يرتكب ما يستوجب القتل فعلا ؟ وهل تأييد مرشح لم يحصل - بالاحتيال أم بغير الاحتيال - على عدد كاف من الأصوات يستحق العقوبة في الإسلام ؟ أم أن الذي يستحق المحاسبة ذلك القائد والخليفة الذي يلجأ للحيل لإنجاح من يريد ؟ ثم في النهاية نسأل : هل لا بد أن تكون نسبة الفوز في الانتخابات 99 / 99 % بدون معارضة ؟

رابعا : إن العهد الذي أخذه عبد الرحمن بن عوف من المرشحين كشرط لتولي القيادة أيضا فيه كلام . فالإمام علي ( عليه السلام ) - كما هو معروف - كان أعلم من في الأمة ، وكانت فيه بلا شك كبرياء العلماء ، ولا يصح إقرانه بغيره بإجماع المسلمين قديما وحديثا . وإلزامه باتباع الكتاب والسنة أمر جد مقبول ولا غبار عليه ، أما إلزامه باتباع أعمال أبي بكر وعمر فقد كان استفزازا ، كما أنه ما أنزل الله به من سلطان ، فأين الدليل على أن الالتزام بأعمال أبي بكر وعمر شرط للخلافة وإدارة الدولة لا تفلح إلا به ؟ ولقد كان لعلي دون ريب مآخذ على أخطاء سياسية ارتكبها الشيخان خلال مدة حكمهما ، وكان أعلم منهما ، فهل يصلح أن يكون الالتزام بأخطاء السلف دستورا للعمل في الدولة ؟ وطبيعي أن رجلا كعلي لا يقبل الإقرار بالالتزام بهذه المخالفات التي ندم عليها من فعلوها أنفسهم . ثم إن هذا الشرط لم يضعه عمر في الدستور الذي تركه - إن جاز لنا اعتبار ما تركه بمثابة دستور للدولة - ولم يكن هذا الشرط إلا تعديلا تعسفيا في الدستور أجراه عبد الرحمن بن عوف بمزاجه لحاجة في نفسه .

ولنفترض جدلا صحة هذا الدستور شرعا ، فهل سار عليه عثمان في خلافته ؟ أم أنه انحرف عنه انحرافا كبيرا كما هو مشهور في التاريخ ؟ ولماذا لم يذكر أحد هذا الشرط حين رأوا المخالفات ، ولماذا لم يعزل لإخلاله بالشرط الذي لولاه ما أعطيت له القيادة ؟ ألا تنص الشريعة على أن الخليفة إذا لم يف بشروط استخلافه عزل ؟ والاستفزاز الذي ذكرنا لتونا فطن إليه الإمام علي عليه سلام الله حين خلا عبد الرحمن بن عوف به ثلاث مرات يسأل : لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر ، حتى قال له الإمام في المرة الأخيرة (إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معها إلى أجيرى (بكسر الهمزة وتشديد الجيم أي الطريقة والسنة ) أحد ، أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر ( يعني القيادة ) عني ودفع القيادة لعثمان لما وافقه على هذا الشرط .

والواقع أن تشبث عبد الرحمن بن عوف بضرورة الالتزام بأعمال أبي بكر وعمر ، ينبغي أن نفهمه في ضوء التيارات السياسية والتغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، ونتيجة للسياسة الاقتصادية بوجه خاص التي سارت عليها الدولة في عهد الشيخين لا سيما عمر ، ذلك أن هذه السياسة أدت إلى تغييرات في الدولة ، ورفعت فئة على فئة .

وكان الإمام علي(عليه السلام) معروفا بمخالفته هذه السياسة ، مشهورا بفقره وزهده وحبه للمساواة وللفقراء والمستضعفين ، فبرز كقائد سياسي وديني لهذا التيار فالتف حوله أتباعه ، ولذلك كثيرا ما روى عن عمر قوله ( قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولى رجلا أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى علي ) وقال ( لله درهم إن ولوها عليا ) كيف يحملهم على الحق وإن كان السيف على عنقه ) . قال محمد بن كعب : فقلت أتعلم ذلك منه ولا توليه ؟ فقال إن تركتهم فقد تركهم من هو خير مني )

وقال مرة أخرى عنه ( أحربه أن يحملهم على الحق ) وقال لابنه : إن ولوها علي يسلك بهم الطريق المستقيم .

فقال ابن عمر : فما منعك أن تقدم عليا ؟ قال أكره أن أحملها حيا وميتا .

وقد روت الكثرة من كتب الحديث والتاريخ هذا النص بروايات وألفاظ مختلفة ، مما يدل على أن الخليفة عمر وغيره من الصحابة آنذاك كانوا يعرفون أن عليا إذا جاء إلى السلطة ، أخذ الدولة على طريق الحق ، واشتد في إحقاقه دون محاباة ، مما يضر بمصالح فئة معينة ليسوا على استعداد لتحمل تبعة سياسة المساواة والإنصاف التي سيتبعها الامام علي ( عليه السلام ) . والذي نذكره هنا أن هذا التغيير الاقتصادي والاجتماعي الذي نشأ في خلافة عمر وندم عليه قبل موته زاد واستفحل في عهد الخليفة عثمان حتى عصفت نتائجه بالدولة عصفا .

ففقد وحدة الانتماء الاقتصادي وطابع المساواة الذي تركه عليه رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) ، وظهرت الطبقات بمعالمها واضحة ( وبلغ نظام الطبقات غايته بحكم هذا الانقلاب ، فوجدت طبقة الأرستقراطية العليا ذات المولد والثراء الضخم والسلطان الواسع ، ووجدت طبقة البائسين الذين يعملون في الأرض ، ويقومون على مرافق هؤلاء السادة ، ووجدت بين هاتين الطبقتين المتباعدتين طبقة متوسطة هي طبقة العامة من العرب الذين كانوا يقيمون في الأمصار ، ويغيرون على العدو ويحمون الثغور ، ويذودون عمن وراءهم من الناس وعما وراءهم من الثراء ، وهذه الطبقة المتوسطة التي تنازعها الأغنياء ففرقوها شيعا وأحزابا .

وكان الإمام علي (عليه السلام)- كما تشهد سيرته وأحواله وأقواله - زعيما للبؤساء والمستضعفين والمحرومين ( ولم يكن الخداع والحيل من مذهب علي عليه السلام،ولم يكن عنده غير مر الحق )

فمواقف رجال مجلس الشورى أثناء بيعة عثمان لا يمكن فصلها عن مشاعر البشر ، والمكاسب التي حققوها في ظل سياسة اقتصادية معينة ، فكانت المفاضلة بين عثمان وعلي لا على أساس الأكفأ والأحق ، بل على أساس الحفاظ على الوضع الراهن والسياسة المفيدة ، ومن هنا نفهم الإصرار على ضرورة اتباع سيرة أبي بكر وعمر ، ثم الميل من بعد إلى من يرجى منه عدم المساس بالمكاسب المادية والاجتماعية التي نالوها فيما سبق .

**موقف الامام علي عليه السلام :**

ويبقى سؤال : إذا كان الامام علي « عليه السلام » يعلم بخطتهم ، أو يعلم - على الأقل - بنتائج الشورى العمرية ، فلماذا رضي بالدخول فيها ؟ ! ولماذا مكّن الخليفة عمر من تمرير خطته ؟ ! ألم يكن بإمكانه أن يعلن رفضه الدخول في هذا الأمر بمجرد تفوه عمر به ؟ !

ويمكن أن يجاب : بأن ذلك وإن كان ممكناً في حد نفسه ، ولكنه « عليه السلام » اختار البقاء ، لأنه رأى أن ذلك هو أهون الشرين ، وأقل الضررين . . إنه « عليه السلام » لو فعل ذلك ، فسيصبح موضع لوم وإدانة من أكثر الناس ، وسيتخذ ذلك مناوؤوه رأس حربة ، وذريعة ومبرراً للطعن في نواياه ، وسيساعدهم على التظاهر بالمظلومية ، وحسن النية وسلامة الطوية ، وأنه لا مبرر لاتخاذه هذا الموقف إلا طمعه بالدنيا ، وسعيه لإثارة الفتن ضد من لا ينوون له إلا الخير والسلامة ، ولا يزالون يطرونه ويمدحونه ، ويقدمونه ، ويستجيبون لمطالبه ، ويعتبرونها بمثابة أوامر . ماذا لو انتخب الستة شخصاً من غيرهم ؟ ! : ويبقى هنا سؤال يقول : لماذا ألزمهم الخليفة عمر بأن يختاروا الخليفة من ضمن الستة . فلو اختاروا شخصاً من غيرهم بالإجماع ، أو باتفاق أربعة منهم ، أو باتفاق علي « عليه السلام » وعثمان ، أو باتفاق ثلاثة فيهم عبد الرحمان بن عوف ، فهل هذا الاختيار لا يحقق رغبة عمر ! ! ولماذا لا يحققها ؟ ! وهل سيرضى الناس به منهم ؟ ! ولا يعترض أحد منهم عليه ؟ ! وهل سوف يعتبرونه خليفة شرعياً للمسلمين ، لأن ستة من أهل الحل والعقد قد بايعوه ؟ !

وقد صرح علي « عليه السلام » في كلامه : بأن أهل الشورى مكثوا أيامهم كلها ، كل يخطب لنفسه ، وهو « عليه السلام » ممسك إلى أن سألوه عن أمره ، فناظرهم . وقال الطبري : « فتنافس القوم في الأمر ، وكثر بينهم الكلام ، فقال أبو طلحة : أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها ، لا والذي ذهب بنفس عمر ، لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أُمرتم ، ثم أجلس في بيتي وأنظر ما تصنعون . فقال عبد الرحمان : أيكم يخرج نفسه . . إلى أن قال : فقال القوم : قد رضينا - وعلي ساكت - فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ ! إلخ . . »

ونستطيع أن نقول : إن ما نقله الطبري عن أبي طلحة إنما أراد به سائر أهل الشورى باستثناء الامام علي « عليه السلام » ، لأن علياً « عليه السلام » بقي ساكتاً في حين أن سائرهم بقوا أياماً كل يخطب لنفسه . . وقد أظهر سكوته هذا دخائل نفوسهم ، وأن كل همهم هو الوصول إلى هذا الأمر ، حتى أدركه أبو طلحة ، وواجههم به . . علي عليه السلام في مداولات الشورى : وقد بين لنا علي « عليه السلام » في نقله لما جرى في الشورى كيف أنه « عليه السلام » كشف نوايا أعضاء الشورى ، وجعلهم يصرحون بطموحاتهم . . فكانت خلواته بهم تفسح لهم المجال لطرح وعدهم إلى جانب طلبهم الوحيد ، وهو أنهم يبايعونه شرط أن يصيرها إلى كل واحد منهم بعده . . مع أن الجميع كانوا أسن من علي « عليه السلام » بسنوات كثيرة ، باستثناء الزبير ، فإنه كان أسن منه « عليه السلام » بسنتين . أما سعد ، فيكبره بحوالي تسع سنوات ، وطلحة يكبره بست سنوات ، وابن عوف بحوالي عشرين سنة ، فضلاً عن عثمان الذي كان يكبره بأكثر من خمس وعشرين سنة . وذريعتهم في ذلك ، الاقتداء بأبي بكر وعمر الذين مضيا قبلهم . والدافع إلى ذلك حسب تصريح أمير المؤمنين « عليه السلام » هو حبهم للإمارة ، وبسط الأيدي والألسن في الأمر والنهي ، والركون إلى الدنيا .

**الاستخفاف بدماء أهل الشورى :** لا بد من الأخذ بنظر الاعتبار ما يلي

أولاً : هناك تناقض في أحكام الخليفة عمر على أهل الشورى ، فهو يأمر بقتل الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف . . مما يعني : أن قتل عبد الرحمان ممنوع . . لأنه يعلم بأهواء وميول الأشخاص الذين اختارهم . أما إذا جرت الأمور على خلاف ما يريد ، فليقتل ابن عوف إذا لم يستطع أن ينجز المهمة الموكلة إليه ، وهذا ما يفسر أمره بقتل الواحد لو اتفق الخمسة - حتى لو كان ذلك الواحد هو ابن عوف نفسه . وأمره بقتل الاثنين - لو اتفق الأربعة - حتى لو كان ابن عوف هو أحد هذين الاثنين . وأمره بقتل الستة بما فيهم عبد الرحمان بن عوف أيضاً ، إن لم يحصل أي اتفاق .

ثانياً : كيف يقتل أناساً شهد هو لهم بأن النبي « صلى الله عليه وآله » مات وهو راضِ عنهم ؟ ! وفيهم من لو وزن إيمانه بإيمان أهل الأرض لرجح إيمانه ، باعتراف عمر نفسه .

ثالثاً : ما هو المبرر لقتلهم ، حتى لو لم يتفقوا على خليفة منهم ؟ ! . ومن أين نشأ وجوب اتفاقهم ؟ ! هل نشأ من آية ، أو رواية ؟ ! أو لمجرد أن عمر هو الذي يحب حصول هذا الاتفاق ؟ ! ولو سلمنا لزوم اتفاقهم ، فلماذا خصه بثلاثة أيام ؟ ! فلعل الظروف تفرض عليهم التداول في الأمر أربعة أو خمسة أيام أو أكثر . التأخر على نحو شق العصا يوجب القتل . ما هذا الاستخفاف بدماء جماعة من المسلمين ، ومن أعيان الصحابة ؟ ! وفيهم من هو نفس رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، وأخوه ، وابن عمه ، وصهره ، ومن طهره الله تطهيراً ، ومن عنده علم الكتاب . . ألم يكن هذا الاستخفاف من أسباب جرأة الناس على الدماء ، وعلى دماء نفس هؤلاء الخلفاء ؟ ! حيث سعى الناس إلى قتل عثمان. وسعوا أيضاً بقيادة عائشة وطلحة والزبير إلى قتل علي ، وأبنائه « عليه وعليهم السلام » ، وصحبه وشيعته ، وسائر المسلمين معه في حرب الجمل . ثم بقيادة معاوية لقتل هؤلاء بالذات في حرب صفين . ثم تجرأ الأعراب والأجلاف الذين عرفوا بالخوارج على قتل هؤلاء وقتل كل مسلم . فكانت حروب النهروان ؟ ! . ألم يكن هذا الاستخفاف هو الذي جرأ يزيد بن معاوية ، وعبيد الله بن زياد ، وعمر بن سعد ، ومن معهم من شيعة آل أبي سفيان على قتل الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام)، ريحانة رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، وسيد شباب الجنة ، ونجوم الأرض من بني عبد المطلب ، وصفوة الخلق من أهل بيته ، وأصحابه .

**خلافة عثمان بن عفان (23هـ - 35هـ)**

يذكر المؤرخون أن أبا سفيان قال لابن عشيرته عثمان بن عفان بعد انعقاد البيعة له : ( يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة ).

وأبو سفيان الذي يعبر بقوله هذا عن طبيعة التفكير القبلي والجاهلي الذي تطبع على أساسه وشاب . والخليفة عثمان - على كل حال - لم يخيب ظنه ، حيث بدأ فور تسلمه الخلافة بعزل جميع الولاة الذين عينهم سلفه الخليفة عمر باستثناء ابن عمه معاوية ، واستبدلهم بأقاربه من بني أمية . ومن ذلك تعيين عثمان لابن عمه مروان بن الحكم معاونا " له ، وهو بمثابة منصب وزير الدولة الأول ، وعزل سعد بن أبي وقاص من ولاية الكوفة وتوليته عليها بدلا " منه أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبي معيط ثم توليته عليها فيما بعد سعيد بن العاص وهو أحد أقاربه أيضا " . وكذلك عزل أبا موسى الأشعري عن ولاية البصرة وعين مكانه ابن خاله عبد الله بن عامر ، وعزل أيضا " عمرو بن العاص من حكومة مصر وولاها لأخيه بالرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

وكان معاوية في خلافة عمر قد عهد إليه ولاية دمشق وحدها أو حسب روايات أخرى بعض أعمالها ، وعندما جاء عثمان جمع له ولاية بلاد الشام كلها ، حيث كانت هذه المنطقة من الناحية العسكرية أهم مناطق الدولة الإسلامية ، لأنها كانت بمثابة السد العازل ، وبمقدور حاكمها أن يعزل الولايات الشرقية عن الغربية ، وقد تربع معاوية على سدتها مدة طويلة حتى استقرت جذوره فيها لدرجة جعلته يشعر أن بمقدوره الاستقلال عن العاصمة المركزية ، بل ومحاربتها كما حصل فعلا " زمن خلافة الامام علي(عليه السلام) .

وبهذه التعيينات وغيرها يكون الخليفة عثمان قد وضع البذور لدولة أموية ، أو كما وصف : بأن عهد عثمان كان بداية التحول من الخلافة الراشدة إلى الملك ، وأنه لم تكن هناك حجة كافية لأن تخضع الدولة كلها من خراسان شرقا " إلى شمال إفريقيا غربا " لحكام من بيت واحد.

وإن أفراد هذه العائلة الذين ارتقوا في عهد الخليفة عثمان كانوا جميعا " من الطلقاء . والمراد بالطلقاء تلك البيوت المكية التي ظلت إلى آخر وقت معادية للنبي( صلى الله عليه وآله وسلم) وللدولة الإسلامية ، فعفا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنهم بعد فتح مكة ودخلوا في الإسلام . ومعاوية ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم كانوا من تلك البيوت التي أعطيت الأمان وعفا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم .

أما عبد الله بن أبي سرح فقد ارتد بعد إسلامه ، وكان واحدا " من الذين أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) بقتلهم. وبالطبع ما من أحد يقبل أن يعزل السابقون الأولون الذين خاطروا بأرواحهم في سبيل رفعة الإسلام فارتفع لواء الدين بتضحياتهم ، وأن يحكم الأمة بدلا " منهم مثل هؤلاء الناس الذين لم يكونوا يصلحون لتولي زعامة المسلمين . . . وهم يقفون في آخر صفوف الصحابة والتابعين لا في أولها ) .

عبد الله بن أبي السرح .كما قال في الإصابة . كان أبوه من المنافقين. ويوم فتح مكة أمن الرسول الناس كلهم إلا أربعة نفر منهم : ابن أبي السرح . الذي اختبأ عند عثمان وكان أخوه من الرضاعة . وعبد الله هذا ولاه عثمان على مصر . وكان على الصعيد في زمن الخليفة عمر ثم ضم إليه عثمان مصر كلها وفي مصر فرض عبد الله الضرائب وعامل الشعب هناك بقسوة . وترتب على هذا كله الخروج على عثمان وقتله – كما سياتي ذكره- .

**الخليفة عثمان وسيرة الشيخين في الحكم:**

من الواضح أن الخليفة عثمان قد حاد عن سيرة الشيخين والتي عقدت له الخلافة على أساس تعهده بالعمل بها ، وذلك بإعطائه لأقاربه المناصب الكبرى- كما ذكرنا سابقا- ، وبإغداقه عليهم الأموال من بيت مال المسلمين ، وخصهم بامتيازات أخرى اعترض الناس عليها . ولنأخذ وضع مروان بن الحكم مثالا " : فقد أسلم أبوه الحكم بن العاص عم عثمان في فتح مكة ، ثم قدم المدينة واستقر بها ، ولكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم )أخرجه منها - بعد أن بدت منه بعض الأمور - وأمره بالإقامة في الطائف . وقد ذكر ابن عبد البر في الإستيعاب أن من أسباب ذلك أن الحكم بن العاص كان يفشي المشاورات التي كانت تتم سرا " بين الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم )وأكابر الصحابة والتي كان يسمعها بطريقة أو بأخرى. وعلى أي حال ، فلا بد أنه ارتكب ذنبا " كبيرا " أصدر الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم) على أساسه أمرا " بإخراجه من المدينة ، وكان مروان وقتئذ في الثامنة من عمره فسكن الطائف مع أبيه ، ولما تولى الخلافة كل من أبي بكر وعمر كان يلتمس في كل مرة منهما السماح بالعودة إلى المدينة ورفضا . ولما تولى عثمان الخلافة أعاده المدينة . . . فكان صعبا " على الناس أن يصدقوا أن ابن هذا الشخص الذي أخطأ في حق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون أهلا " لأن يصبح معاون الخليفة من دون أكابر الصحابة ، خاصة إذا كان الوالد المذنب على قيد الحياة وله قدر من النفوذ على أمور الدولة عن طريق ابنه .

ومن المفيد ان نذكر ان الخليفة عثمان كان قد جاء إلى النبي « صلى الله عليه وآله » فكلمه الحكم ، فأبى . ثم جاء إلى الخليفة أبي بكر وعمر في زمان ولايتهما ، فكلمهما فيه ، فأبيا ، وأغلظا عليه القول ، وزبراه ، وقال له عمر : يخرجه رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، وتأمرني أن أدخله ؟ ! والله ، لو أدخلته لم آمن من قول قائل غيَّر عهد رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، وكيف أخالف رسول الله « صلى الله عليه وآله » ؟ ! فإياك - يا ابن عفان - أن تعاودني فيه بعد اليوم .

فلما ولي عثمان ردّ الحكم إلى المدينة ، وحباه ، وأعطاه ، وأقطعه المربد بمدينة الرسول « صلى الله عليه وآله » . فعظم ذلك على المسلمين . . وصاروا إلى علي « عليه السلام » ، فسألوه أن يكلمه في إخراجه عن المدينة ، ورده إلى منفاه الأول .

فجاءه علي « عليه السلام » ، وطلحة والزبير ، وسعد وعبد الرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ، فقالوا : إنّك أدخلت الحكم ومن معه ، وقد كان النبي « صلى الله عليه وآله » أخرجهم ، وأبو بكر ، وعمر . وإنّا نذكرك الله والإسلام ، ومعادك ، فإن لك معاداً ومنقلباً . وقد أبت ذلك الولاة قبلك ، ولم يطمع أحد أن يكلمهم فيهم ، وهذا شيء نخاف الله عليك فيه .

فقال عثمان : إن قرابتهم مني ما تعلمون ، وقد كان رسول الله –(صلى الله عليه واله وسلم)- حيث كلمته أطمعني في أن يأذن لهم . وإنما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم ، ولن يضركم مكانهم شيئاً ، وفي الناس من هو شر منهم .

وعند المفيد : فقال عثمان : يا علي ، قد علمت مكان هذا الرجل مني ، وأنه عمي ، وقد كان النبي « صلى الله عليه وآله » أخرجه ليلاً عنه لبلاغه ما لم يصح عليه . وقد مضى النبي « صلى الله عليه وآله » لسبيله ، ورأى أبو بكر وعمر ما رأياه . وأنا أرى أن أصل رحمي ، وأقضي حق عمي . وليس هو شر أهل الأرض . وفي الناس من هو شر منه .

فقال « عليه السلام » : « والله ، لئن أبقيته يا عثمان ليقولن الناس فيك شراً من هذا » فقال عثمان : ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه ،وينال من المقدرة ما نلت إلا كان سيدخله ، وفي الناس من هو شرّ منه . فغضب الامام علي « عليه السلام » ، وقال : والله ، لتأتينا بشر من هذا إن سلمت . وسترى يا عثمان غب ما تفعل . ثم خرجوا من عنده .

لقد تضمن هذا الحدث أموراً يحسن الوقوف عندها ، فلاحظ ما يلي :

هل استأذن الخليفة عثمان بإرجاع الحكم : إن إرجاع الحكم كان من المآخذ التي نقمها الصحابة على عثمان ، وقد حاول أتباعه إيجاد المخارج ، والتماس المبررات له ، والتخفيف من آثار فعله هذا ، فقال بعضهم : « روى أرباب الصحاح لما قيل له : لِم أدخلت الحكم بن أبي العاص ؟ ! قال : استأذنت رسول الله « صلى الله عليه وآله » في إدخاله ، فأذن لي ، وذكرت ذلك لأبي بكر وعمر ، فلم يصدقاني ، فلما صرت والياً عملت بعلمي في إعادتهم إلى المدينة .

وبقي الحكم بن العاص حيا حتى آخر عهد عثمان وتوفي سنة 32 هجرية . وهكذا كان ، فقد استغل مروان بن الحكم منصبه كمعاون للخليفة ومستشاره الأول في ارتكاب الأعمال الفاسدة ، واختلاس الأموال ، وتهديد الصحابة الكبار بكلمات لم يكن يتحمل سماعها من لسان الطلقاء ، حتى أن نائلة نصحت الخليفة ( وهي زوجته ) قائلة : ( فإنك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبة ولا محبة ) .

وعن ابن الأثير : إن عثمان لما ولي الخلافة ردّ عمه الحكم ، وقال : كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله « صلى الله عليه وآله » فوعدني برده .

ويجاب عن هذا : بمايلي:

أولاً : « لا أثر لهذا الخبر في الصحاح ، بحسب التتبع .

ثانياً : إن الخبر المتقدم ينقل عن عثمان : أن النبي « صلى الله عليه وآله » أطمعه في ردهم.

ثالثاً : إن عثمان يصرح هنا : بأن أبا بكر وعمر لم يصدقاه ، فلماذا يصدقه غيرهما من أتباعهما ؟ ! فإنهما أعرف به ، وأقرب إليه منهم ؟ !

رابعاً : كيف لم يصدقه عمر في هذا الأمر ، ثم جعله في جملة أهل الشورى ، وساق الأمور إليه ؟ !

خامساً : إن كان عثمان قد استأذن النبي « صلى الله عليه وآله » في ذلك ، فلماذا لم يبادر إليه في زمان النبي « صلى الله عليه وآله » ؟ ! وإن كان قد استأذن النبي « صلى الله عليه وآله » في أيام مرضه ، فإن عمر وأتباعه لا بدّ أن يردوا ذلك عليه ، لحكم عمر على النبي « صلى الله عليه وآله » بعدم صحة تصرفاته ، لأنّه كان يهجر ، أو غلبه الوجع ، والعياذ بالله ! !

سادساً : قد احتج عثمان لنفسه حين تكلم الناس في إرجاعه الحكم بقوله : « ما ينقم الناس مني ؟ ! إني وصلت رحماً ، وأقررت عيناً ». فلماذا لم يحتج عليهم بأن رسول الله « صلى الله عليه وآله » أذن له ؟ !

سابعاً : إذا كان عبد الرحمن قد جعل الخلافة في الشورى لعثمان بشرط أن يسير بسيرة الشيخين : أبي بكر وعمر ، فإن مخالفته سيرتهما في قضية الحكم ، تفقده شرط الخلافة هذا .

ثامناً : إذا كان الحكم وابن أبي سرح عدوا الله ، وعدوا رسوله ، وقد لعنهما رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، فلماذا لا يعاديهما عثمان ، ولا يتبرأ منهما ؟ ! وقد قال تعالى : \* ( قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ) . وقال سبحانه : ( لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ ) \* .

ولماذا يصرّ على إعادة طريد الرسول الذي لم يؤوه ، لا أبو بكر ولا عمر ؟ ! ولماذا يقدمه في العطاء ، حتى لقد أعطاه مئة ألف ؟ ! . بل لقد ولاه صدقات قضاعة ، فبلغت ثلاث مئة ألف ، فوهبها له حين أتاه بها. ويقدمه أيضاً في الإكرام ، على وجوه المهاجرين والأنصار ، فقد كان لا يجلس معه على سريره إلا أربعة ، هم : أبو سفيان ، والعباس ، والحكم ، والوليد بن عقبة ، ولم يكن ذلك السرير يسع إلا واحداً مع عثمان . ثم جعل بطانته وخاصته ولده مروان الذي لعنه رسول الله « صلى الله عليه وآله » وهو في صلب أبيه إلخ . .

**عمليات الفتح والتحرير في عهد الخليفة عثمان بن عفان :**

فتح الله على المسلمين في عهد عثمان بن عفان كثيراً من الأقاليم والأمصار ،وتوسعت الدولة الاسلامية وبلغت رسالة مشارق الأرض ومغاربها ،وظهر للناس مصداق قوله تعالى ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ )) النور : 55 ، وقوله (ص) اذا هلك قيصر بعده ،وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ،والذي نفسي بيده لتفقن كنوزهما في سبيل الله ،وهذا كله تحقق وقوعه ،وتأكلد وتوطد في زمان عثمان .

وقد استمرت عملية الفتوح مايزيد على عشر سنوات من مدة خلافته ،والتي دامت اثنتى عشرة سنة ، ثم توقفت بسبب الفتنة التي أجهضت الجهاد ،وأشتغلت الناس وأوقعت الخلاف ،ودبت الفوضى وتعد هذه الفتوحات تتمة للفتوح الكبرى اليت كان ايام الخليفة عمر بن الخطاب.

لقد طرق المسلمون آفاقا جديدة في فتوحاتهم شرقا وغرباً ،وبالرغم من أنهم كانوا قد ثبتوا أقدامهم في أراضي الدولة الفارسية والدولة البيزنطينية ، إلا أن المقاومة كانت لاتزال تظهر بين الحين وآلاخر ، فقد حاول البيزنطيزن العودة الى الاسكندرية بعد اندحارهم منها أمام القوات الاسلامية في محاولة لاستردادها ، الا انهم لم يلاقوا نجاحاً وعادوا خاسرين ،كما كان يزدجرد ملك الفرس يترقب اللحظة التي يستطيع فيها استرداد بلاده التي فقدها وكان يقيم في عاصمة سمرقند (فرغانة) لعل الفرصة تواتيه فيهتلبها ولايضيعها.

بدأت خلافة عثمان محاطة بتلك الظروف ، لهذا كان لزاماً عليه ان يتروى في الأمر ولايتعجلن خاصة وأن الجيوش الاسلامية كانت تضرب في كل واد لتفتح المزيد من البلاد ، أو تهدئ الثائرين في أنحائها المترامية.

واول ما استدعى انتباه الخليفة ان يستغل الاعداء ما اشتهر به من اللين ودماثة الأخلاق فيؤدي ذلك الى انتقاضهم وخروجهم على الطاعة . فكان عليه ان يثبت لهؤلاء المتربصين له انه لن يسمح بانتقاص الأرض التي بذل المسلمون في فتحها دماءهم وأموالهم ،وأنه مستعد لبذل كل شيء في سبيل الابقاء على مكاسب المسلمين في أصقاع الأرض ،وعلى هذه الأسس أقام عثمان سياسته الخارجية ،ورسم خطته التي واجه بها كل المتربصين.

وقد حققت السياسة الخارجية للخليفة عثمان بن عفان نتائج حمدها له المسلمون وسطرها له التاريخ ، تتلخص فيما يلي :

1. أخضاع المتمردين ،واعادة سلطة المسلمين على بلادهم.
2. ازدياد الفتوحات الاسلامية الى ما وراء البلاد المتمردة.
3. اتخاذ قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمين لحماية البلاد الاسلامية.
4. انشاء قوة بحرية لمواجهة أي هجوم بحري ،ولغزو الجزر المحيطة بالمسلمين.

**أولاً : الفوحات البرية**

**فتح أذربيجان والري**

كانت أذربيجان والري من أواخر البلاد التي فتحها المسلمين في عهد عمر بن الخطاب ، تم فتحهما بعد فتح نهاوند في سنة اثنتين وعشرين على يد حذيفة بن اليمان الذي تولى قيادة جيوش المسلمين بعد استشهاد النعمان بن مقرن في غزوة نهاوند ، فلما توفي عمر وتولى الأمر عثمان بن عفان ، نقضت أذربيجان والري والصلح الذي صالحهما عليه حذيفة وتمردوا ، فأصدر الخليفة أمره الى الوليد بن عقبة بالتوجه الى أذربيجان والى أبي موسى الأشعري بالتوجه الى الري.

وقد غزا الوليد بن عقبة أذربيجان سنة خمس وعشرين وعلى مقدمته عبد الله بن شبل ، فأغار على اهل موقان والبر والطيلسان فغنم وسبى وطلب أهل عور أذربيجان الصلح فصالحهم حذيفة بن اليمان.

وعادوا أهل أذربيجان التمرد ونقض الصلح فكتب الأشعث بن قيس الذي تولى أمرها الى الوليد بن عقبة يستمده فأمده الوليد بجيش عظيم من أهل الكوفة ،وتم له فتحها ،وحتى تستقر أمروها أسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم بدعاء الناس اللى الاسلام ،واراد الأشعث بدعوتهم الى الاسلام إخماد تلك الفتنة اليت لم تهدأ منذ تولي عثمان الخلافة ، ذلك لأن الاسلام يسوي بين أهل البلاد المفتوحة والفاتحين ، فيتخلصون من المشاعر التي كانت وراء تمردهم.

لكنهم بالرغم من ذلك عادوا أدراجهم مرة اخرى ، فقام سعيد ابن عاص أثناء ولايته بغزوهم وأوقع بأهل موقان وجيلان ، ثم وجه إليهم جرير بن عبد الله البجلي .فهزمهم ،وأخذ رئيسهم فصلبه على قلعة باجروان ولم تهدأ ثائرة أهل أذربيجان إلا بعد أن دخل أهلها في الاسلام ،وقرأوا القرآن.

وبالنسبة للري بعد ان فتحت أيام حذيفة بن اليمان ، ظلت تنتقض ويتمرد أهلها وتفتح حتى كان آخر من فتحها قرظة بن كعب الأنصاري في ولاية أبي موسى الأشعري الكوفة لعثمان بن عفان فاستقامت وانتشر الاسلام بين أهلها .

**فتح أرمينية**

كتب عثمان بن عفان الى حبيب بن مسلمة الفهري يأمره بغزو أرمينية فنهض إليها في ثمانية الاف مقاتل من أهل الشام والجزيرة ، فأتى قاليقلا فقاتل أهلها حتى ألجأهم الى المدينة فطلبوا الأمان على الجلاء والجزية وتم اجلاء الكثيرين منهم فلحقوا ببلاد الروم وأقام حبيب بها أشهرا ثم بلغه أن البطريق أرميناقوس قد جمع حشودا عظيمة ضد المسلمين فكتب الى الخليفة يسأله إرسال مدد له من الجند فأرسل عثمان بن عفان الى كل من معاوية بن أي سفيان وسعيد بن أبي العاص لامداد حبيب بن مسلمة.

بعث معاوي بن أبي سفيان بألفي رجل من اهل الشام والجزيرة أسكنهم قاليقلا وأقطعهم بها القطائع ، وجعلهم مرابطة بها ، بينما أمده سعيد بن العاص بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلي ، فسار سلمان في ستة الآف رجل من أهل الكوفة ،ولما أبطأ على حبيب بن مسلمة وصول المدد ، امر رجاله أن يجتاحوا قوات الروم التي رابطت على الفرات ، فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم.

وأنزل حبيب بجيش الروم هزيمة ساحقة أنسته التفكير في محاربة المسلمين وثبتت أقدام المسلمين في أرمينية ،وفر الروم منها الى غير رجعة ،وعاد حبيب الى قاليقلا ريثما استجم جيشه ،وقد رفع انتصاره على الموريان الرومي معنويات جنوده فهيأهم لمواصلة الزحف ،وانطلق بهم فاتحاً حتى وصل الى ديبل ، عاصمة أرمينية الفارسية ، فحاصرها وشدد الحصار عليها مما اضطر أهلها الى طلب الصلح والأمان فأعطاهم إياه ثم بعث سراياه فغلبت على جميع قرى ديبل مما اضطر بطريقها الى عقد صلح هذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من حبيب بن مسلمة الأنصاري أهل ديبل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم ، أني قد أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم ، فأنتم آمنون وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيداً واشترط حبيب على البطريق أن ينصح للمسلمين ويعاونهم على أعدائهم.

وهكذا يتضح أن فتح أرمينية كان لتأمين حدود الدولة الاسلامية ، حيث كان الروم يستغلون موقعها ويجتمعون فيها للانقضاض على المسلمين ، لذلك استمرت عملية التأمين بتوغل حبيب بن مسلمة في أرض الجزيرة بالعراق حتى التقى بصفوان بن معطل السلمي وقاما سويا بغزو شمشاط المعروفة باسم ( أرمينيا الرابعة ) ففتحاها بعد أيام من نزولهما واقام صفوان بها .

وواصل حبيب زحفه في أرمينية حتى فتح مدينة تفليس صلحاً حيث استسلم أهلها وطالبوا بالصلح فعاهدهم حبيب وقضى حبيب في فتح أرمينية عشر سنين ( 25-35 هـ /645-655م) انتهى منها في نهاية خلافة عثمان بن عفان حيث التقى جيش المسلمين بكتيبة بيزنطية بقيادة ماريانوس الذي جاء في محاولة بائسة لطرد المسلمين من أرمينية وإعادتها الى الحظيرة البيزنطية ، لكنه تلقى من حبيب بن مسلمة ضربة قوية ردته مدحوراً وانتهت بذلك الحملات البيزنطية على أرمينيا.

**فتح جرجان وطبرستان**

قام سعيد بن العاص بغزو جرجان وطبرستان سنة ثلاثين من الهجرة ،وكان معه في غزاته الحسن والحسين ابنا علي بن ابي طالب ( عليهم السلام) وأيضاً عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر ،وعبد الله بن الزبير ،وعبد الله بن عمرو بن العاص ،وقد بدأ بجرجان ، فصالحه ملكها على مائتي ألف درهم ، كان يؤديها للمسلمين ، ثم أتي طميسة ،وهي كلها من طبرستان جرجان ،وهي على ساحل البحر ،وهي في تخوم جرجان ، فقاتله حتى صلى صلاة الخوف ،وهم يقتتلون ،وضرب يؤمئذ سعيد رجلا من المشركين على حبل عاتقه ، فخرج السيف من تحت موفقه ،وحاصرهم ، فسألوا الأمان فأعطاهم ألا يقتل منهم رجلا واحدا ، ففتحوا الحصن ، فقتلهم جميعا ألا رجلاً واحداً وحوى ما كان في الحصن وافتتح سعيد بن العاص سهل طبرستان والروبان ، وديناوند وأعطاه أهل الجبال مالا ،وكان المسلمون يغزون طبرستان ونواحيها فيعطون الاتاوة ، أما عفوا أو بعد قتال .

**مقتل يزدجرد بن شهريار بن كسرى أنوشروان ملك الفرس**

قدم عبد الله بن عامر البصرة سنة تسع وعشرين ،وقد افتتحت فارس كلها الا اصطخر وجور فهم يزدجرد بالفرار الى طبرستان لأن مرزبانها عرض عليه ذلك واخبره بمحاصرتها لكنه هرب الى كرمان ، فوجه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السلمي ،وبسبب الثلوج هلك جلده ، بينما نجا هو ورجل واحد كان معه ،أما يزدجرد وهو مقيم بكرمان ، فقد دخل عليه مرزبان المدينة ، فلم يكلمه يزدجرد غطرسة وغرورا ، فأمر المرزبان بجر رجله وقال : ما أنت بأهل لولاية قرية ،فضلاً عن الملك ولو علم الله فيك خيراً ما صيرك الى هذه الحال ، فمضى الى سجستان فاكرمه ملكها فلما مضت عليه أيام سأله عن الخراج ، فتنكر له .

فلما رأى يزدجرد ذلك سار الى خراسان حيث تلقاه مرزبان مرو معظما مبجلاً وأقام نيزك عنده شهراً ، ثم شخص وكتب إليه يخطب ابنته فأثار ذلك حفيظة يزدجرد ،وقال : اكتبوا إليه : إنما أنت عبد من عبيدي ، فما جراك على أن تخطب إلي ، وأمر بمحاسبة ما هوية مرزبان مرو ، فكتب ما هوية إلى نيزك يحرضه عليه ،ويقول : هذا الذي قدم مغلولاً طريداً ، فمننت عليه ليرد عليه ملكه ، فكتب إليه بما كتب ثم تضافرا على قتله .

وأقبل نيزك في الاتراك فقتل أصحاب يزدجر ،ونهب عسكره فهرب يزدجرد الى مدينة مرو ، فلم يفتح له فنزل له عن دابته ،ومشى حتى دخل بيت طحان على المرغاب ويقال أن ماهوية مرزبان مرو تآمر مع الطحان على قتله ، فقام الطحان بقتله ثم قام ماهوية بقتل الطحان قائلاً : ماينبغي لقاتل ملك أن يعيش.

وكان ملك يزدجرد عشرين سنة منها أربع سنين في دعسه وباقي ذلك هارباً من بلد الى آخر خوفا من الاسلام واهله ،وهو آخر ملوك الفرس ،وتحقق قول رسول الله ( صلى الله عليه وسلم) أذا هلك كسرى فلا كسرى بعده.

**فتح خرسان**

نقض أهل خراسان عهدهم مع المسلمين بعد مدة من خلافة عثمان بن عفان فأجتمع المسلمون في مرو الرود ( على الحدو بين أفغانستان وتركمانستان) وعليهم عبد الرحمن بن سمرة ، فكتب الى أمير المؤمنين عثمان بخلع أهل خراسان الطاعة ، فأرسل عثمان الى واليه على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة أن يستعد فتح خراسان ، فخرج عبد الله بن عامر في الجند ،وولج خراسان من جهة يزد ( في أقليم أصفهان) والطبسان الى الجنوب الغربي من نيسابور ،وكان على مقدمته الأحنف بن قيس ، فأقر صلح الطبسين.

وقدم ابن عامر الأحنف بن قيس الى قوهستان ،ومرو الروذ فلجأ أهلها الى الحصون وضرب عليهم الحصار الى أن جاء ابن عامر فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة ألف درهم ،كما بعث ابن عامر يزيد الجرشي ( أبا سالم بن يزيد) الى رساتيق نيسابور ففتحها عنوة وسبى سبيأ ، ثم أتى أبرشهر وهي مدينة نيسابور فحصر أهلها أشهراً وكان على كل ربع منها رجل موكل به القيادة ، فطلب واحد منهم الأمان مقابل دخول المسلمين المدينة فأعطى الأمان وأدخل المسلمين المدينة ليلاً ،وفتحوا الباب ، فطلب مرزبان المدينة الأمان على أن يصالحه على جميع نيسابور فصالحه على ألف درهم ويقال : سبعمائة درهم وولى نيسابور حين فتحها قيس بن الهيثم السلمي.

ووجه عبد الله بن عامر عبد الله بن حازم الى سرخس فقاتلهم ، ثم طلب مرزبانها الصلح على أمان مائة رجل ، وغلب ابن حازم على أرض سرخس ،ويذكر أنه صالحه على أن يؤمن مائة مفس ، فسمى له المائة ،ولم سمم نفسه فقتلهن ودخل سرخس عنوة ، كما أتى مرزبان طوس الى عبد الله بن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة الف درهم .

وأرسل عبد الله بن عامر جيشا الى هرأة بقيادة أوس بن ثعلبة فأسرع عظيمها الى ابن عامر وصالحه عن هراة وبادغيس وبوشنج ، أما طاغون وباغون فقد فتحها عنوة وكتب له ابن عامر عهداً نصه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به عبد الله بن عامر عظيم هراة وبوشبج وبادغيس ، أمره بتقوى الله ،ومناصحة المسلمين وأصلاح ماتحت يديه من ارضين ،وصالحه عن هراة سهلها وجبلها على أن يؤدي من الجزية ماصلحه عليه ،وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلاً بينهم ، فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمة.

وأمام هذه التطورات والفتوحات المتتالية ،ما كان على مرزبان مرو إلا أن يرسل هو الآخر سائلاً الصلح ، فوجه ابن عامر الى مرو حاتم بن النعمان الباهلي ، فصالحه على ألفي الف ومائتي ألف درهم ،وكان في صلحهم أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم وأن عليهم قسمة المال ،وليس على المسلمين إلا قبض ذلك ،وكانت مرو صلحاً كلها إلا قرية منها يقال لها النسج ، فأنها أخذت عنوة.

وفيما يتعلق بطخارستان وجه ابن عامر إليها الأحنف بن قيسن فأتى الموضع الذي يقال له قصر الأحنف وهو حصن من مرو الروذ وله رستاق يعرف برستاق الأحنف ( شق الجرز) فحصر أهله ، فصالحوه على ثلثمائة ألف ، فقال الأحنف : أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذون فيه ويقيم فيكم حتى انصرف فرضوا ،وكان الصلح عن جميع الرستاق.

وقد جمع أهل طخارستان حشودا ضد المسلمين ، فاجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم فبلغوا ثلاثين ألفا وجاءهم أهل الصفانيان ،وهم في الجانب الشرقي من نهر المرغاب ، فرجع الأحنف الى قصره ،وفي الطريق سمع أهل خباء يتحدثون ليلاً عن طريقة مناجزه هذه الجموع بالقتال من خلال النزول بين نهر المرغاب والجبل فلا يلقى من عدوه ،وان كثروا عدة اصحابه فرأى ذلك صوباً ففعله وهو في خمسة الاف من المسلمين فقتلهم هؤلاء المسلمون قتلاً ذريعاً ووضعوا السلاح فيهم ،ورجع الأحنف بن قيس الى مرو الروذ.

وحينما لحق بعض العدو بالجوزجان وجه اليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمي في خيل ،وانتهى اللقاء بهزيمة الكفرة ،وفتحت الجوزجان عنوة ،كما تم فتح الطالقان والفارياب على يد الأحنف بن قيس اذلي سار بعدذ لك الى بلخ ، فصالح أهلها على أربعمائة ألف دينار.

فأمر الأحنف بالرحيل الى بلخ ،واقام بها مدة الشتاء ، ثم عاد الى ابن عامر في نيسابور ، فقال الناس لابن عامر : ما فتح أحد ما قد فتح عليك ، فارس وكرمان وسجيتان وعامة خراسان ، قال : لاجرم لاجعلن شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً معتمراً من موقفي هذا ، فأحرم بمعمرة من نيسابور ، فلما قدم على الخليفة عثمان بن عفان لأمة على أحرامه من خراسان ،وقال : ليتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرم منه الناس ( لانه لم يرحك بالعمرة من الميقات).

وقد جعل عبد الله بن عامر خراسان بن ثلاثة : الأحنف بن قيس ،وحاتم بن النعمان الباهلي ،وقيس بن الهيثم ، ثم افتعل ابن حازم عهداً على لسان ابن عامر وتولى خراسان فاجتمعت بها جموع الترك ، ففضهم ، ثم قدم البصرة قبل مقتل عثمان بن عفان.

**استطلاع بلاد السند**

كتب الخليفة عثمان بن عفان الى عبد الله بن عامر والي العراق ، يامره ان يوجه الى الهند من يعلم عملها ،وينصرف اليه بخبرها ،فوجه حكيم بن جبلة العبدي ، فلما رجع اوفده الى عثمان ، فسأله الخليفة عن حال بلاد الهند ، فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها ، قال فصفها لي : قال : ماؤها وشل ،وثمرها دفل ،ولصها بطل ، إن قال الجيش فيها ضاعوا ،وإن كثروا جاعوا ، فقال له عثمان . أخابر أم سناجع ، قال : بل خابر ، فلم يغزها أحد حتى خلافة علي بن أبي طالب ( عليه السلام).

**الفتوحات في بلاد الشام ومصر**

أراد أمبراطور الدولة البيزنطية قنساطنز الثاني ( 642-668م) أن يستفيد من ظروف وفاة عمر بن الخطاب وتوليه عثمان بن عفان ، فطمع ان يعيد لدولته هيبتها وأن يعوضها بعض ما خسرته من أقاليم فتحها المسلمون خاصة وقد أنتهت دولة الروم من مشاكلها الداخلية .

وأزاء هذا التطور الخطير أرسل أهل الشام الى عثمان بن عفان يستمدونه ويتعجلون المدد حتى لايباغتهم العدو ، فأرسل الخليفة الى الوليد بن عقبة الذي لم يكون يحط رحاله من غزو أذربيجان ، يستحثه على إمداد أهل الشام قائلاً : إذا جاءك كتاب هذا فابعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية الاف أو تسعة الاف أو عشرة الاف الى اخوانكم بالشام .

فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فأن الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاء حسناً ، رد عليهم بالادهم التي كفرت ،وفتح بلاداً لم تكن افتتحت وردهم سالمين مأجورين ، فالحمد لله رب العالمين ،وقد كتب الى أمير المؤمنين ( عثمان) يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الاف الى الثمانية الآف ، تمدون أخوانكم من اهل الشام فإنهم جاشت عليهم الروم وفي ذلك الأجر العظيم ،والفضل المبين / فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الجاهلي ، فلم تمض ثلاثة ايام حتى نفر الناس في ثمانية الاف على بلاد الشام وتوجه الجميع الى أرض الروم ،وشن الجيشان الغارات على بلاد الروم ، فغنموا وسبوا ،وفتحوا حصوناً كثيرة ،وملأوا أيديهم من الغنائم ،واسترد المسلمون هيبتهم ولقنوا الروم درساً أعاد إليهم صوابهم وأقنعهم بأن عثمان بن عفان ليس بأقل حزما من عمر بن الخطاب .

وقد كان الاهتمام قائماً بالثغور الشامية والجزرية على الحدود مع الروم ، ففيما بين الاسكنردية وطرطوس حصون ومسالح للبيزنطيين ، حرص المسلمون على هدمها واخماد أية محاولات من قبل قاطنيها ،ولما غزا معاوية بن أبي سفيان عمورية في سنة خمس وعشرين من الهجرة وجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرطوس خالية ، فأقام عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين .

وفي خلافة عثمان بن عفان جمع لمعاوية ولاية الشام والجزيرة وثغورهما فالزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء ، ثم جعلهم مع عماله ، ثم وجه حبيب بن مسلمة الى ملطية ، ففتحها عنوة ،ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها ،وقد قدمها معاوية وهو يريد دخول بلاد الروم ، فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما ، فكانت طريق الصوائف.

**فتح الاسكندرية الثاني عام ( 25هـ /645م)**

كبر على الروم خروج الاسكندرية من أيديهم وظلوا يتحينون الفرص لاعادتها الى حوزتهم ، فراحوا يحرضون من الاسكندرية من الروم على التمرد والخروج على سلطان المسلمين لأن الروم ظنوا أنهم لايمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم ،وصادف تحريض الروم لأهل الاسكندرية هوى في نفوس سكانها فاستجابوا للدعوة وكتبوا الى قنسطانز الثاني يخبرونه بقلة عدد المسلمين ،ويصفون له ما يعيش فيه الروم بالاسكندرية من الذل والهوان.

وكان عثمان بن عفان قد عزل عمرو بن العاص عن مصر ، وولى مكانه عبد الله بن سعد بن ابي سراح – كما سبقت الاشارة – فلما نزل الروم الاسكندرية بقيادة مانويل سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرو بن العاص حتى يفرغ من قتال الروم لأنه له معرفة بالحرب وهيبة في أنفس العدو ، فاستجاب الخليفة لطلب المصريين وأبقى عمرو بن العاص له ولاية مصر.

وقد دخل مانويل الاسكندرية واتفق معه من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه ،ونهب مانويل وجيشه الاسكندرية وجعلها قاعاً صفصفاً ، ثم عات فيما حولها من القرى ظلماً وفساداً فأمهلهم عمرو بن العاص على ماهو عليه ، حتى يشعر أهل الاسكندرية بالفرق بين حكم المسلمين القائم على التسامح وحماية الأرواح والممتلكات وحكم الروم القائم على الظلم والفساد ولتمتلئ قلوبهم على الروم حقداً وغضباً وحدد سياسته بقوله : دعهم يسيروا الي فأنهم يصيبون من مروا به فيخزي بعضهم ببعض ،وقد صدق حدس عمرو ، فقد أمعن الروم في أفسادهم ونهبهم وسلبهم وضج المصريون من فعالهم وأخذوا يتطلعون الى من يخلصهم من شر هؤلاء الغزاة المفسدين.

وتقابل الجيشان عند حصن نقيوس على شاطيء نهر النيل ،وذكر عمر بن العاص جنوده بنصر الله لهم ، وحثهم على الاستبسال في القتال لنصرة دين الله فحمى وطيس الحرب ،وابدى الفريقان من الشجاعة ماجعل اليأس يتسرب الى النفوس من انتصار أحد الفريقين الى ان حدثت مبارزة بين رومي ومسلم شغلت الجيشين على المعركة لمشاهدة مايظهر البطلان من فنون القتال ،وانتهت المبارزة بقتل الرومي واصابة المسلم بجراح مات على أثرها بعد أيام وتكريماً له شهد عمرو بن العاص جنازته.

وقد رفعت شجاعة البطل المسلم وانتصاره معنويات المسلمين بقدر ما حطمت نفوس الروم ، فهجم المسلمون على العدو بقتال ضار وانهزم الروم أمامهم وفروا قاصدين الاسكندرية لعلهم يجدون في حصونها المنيعة واسوارها الشاهقة ما يواري عنهم شبح الموت الذي يلاحقهم ، بينما اغتبط أهل مصر بهذا الانتصار ، فقدموا للمسلمين مايلزمهم من السلاح والمؤونة.

واتجه عمر بن العاص بجيشه المظفر نحو الاسكندرية فوجد الروم قد تحصنوا بها ونصبوا المجانيق لرمي كل من يحاول الاقتراب من سورها ، فأمر عمرو رجاله أن يبتعدوا عن مرمى المجانيق حتى لايصيبهم منها شيء ،وظل يضرب أسوار الاسكندرية حتى أوهنها ،وتصدعت ففتحت المدينة أبوابها ودخلها المسلمين.

وأعمل المسلمين سيوفهم قتلا في الروم وهرب من نجا من البيت الى السفن للعودة من حيث أتوا وكان مانويل القائد البيزنطي في عداد القتلى.

ولما فرغ المسلمون من القتال أمر عمرو بن العاص ببناء مسجد في المكان الذي أوقف فيه القتال ،وسماه مسجد الرحمة ،وعادت الى الاسكندرية طمأنيتها وعادت السكينة الى قلوب ساكنيها ،وحصر المصرين من القرى القريبة الى عمرو يشكرونه على تخليصهم من ارهاب الروم ، ويشكون اليه مانهبه الروم من أموالهم ودوابهم وممتلكاتهم ، فقالوا أن الروم أخذوا دوابنا وأموالنا ،ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ماعرفوا من أموالهم بعد اقامة البينة ،وقام عمرو بعد ذلك بهدم سور الاسكندرية ،وأصبحت المدينة آمنه بالرغم من هدم السور لأن شرقيها وجنوبها كان في قبضة المسلمين ،وأما غربيها فقد أمنه عمرو بن العاص بفتح رقة وزويلة وطرابلس الغرب ،وصالح أهل هذه البلاد على الجزية فدفعوها طائيعن .

وأقام عمرو بن العاص بعد فتح الاسكندرية الثاني شهراً ، ثم عزله عثمان لانه رفض أن يبقى على حرب مصر ،وعبد الله بن سعد على خراجها ، قائلاً : أنا كماسك قرني البقرة وآخر يحلبها ،وجمع الخليفة لعبد الله بن سعد بن أبي السرح الحرب والخراج في ولاية مصر.

**الفتوحات البحرية**

لم تكن للمسلمين قوة بحرية حتى نهاية الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد ألح عليه معاوية بن أبي سفيان مراراً أن يغزوا البحر لسيطرة الروم عليه بسفنهم وانتشار خطرهم بحيث أصبحوا على مقربة من حمص ، فقال معاوية لأمير المؤمنين : أن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم ، لكن عمر كتب الى معاوية : إنا سمعنا أن بحر الشام يشرف على اطول شي على الأرض ، يستأذن الله كل يوم وليلة وان يغيض على الأرض فيغرقها ، فكيف أحمل الجنود في هذا البحر الكافر المستعصب وتالله لمسلم أحب الي مما حوت الروم ، كما كتب عمر الى عمرو بن العاص في مصر أن صف لي البحر وراكبه ، فكتب أليه : أني رأيت خلقا كبيراً يركبه خلق صغير ، ان ركد مزق القلوب وان ترك أزاغ القلوب ،يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة ، الناس فيه كدود على عود أن مال غرق وان نجا برق فلما قرأ عمر بن الخطاب كتاب عمرو بن العاص ،كتب الى معاوية : والله لا أحمل فيه مسلماً أبداً.

وازاء هذا الموقف المتشدد من الخليفة عمر بن الخطاب ،أرجأ معاوية أمر ركوب البحر حتى تواتيه فرصة الحصول على إذن بذلك لانشغاله بضرورة ان تكون للمسلمين قوة بحرية تتصدى للروم في البحر خصوصاً وأن مصر والشام تتوفر بهما الامكانيات والخبرات اللازمة لبناء السفن ،وظل على هذه الحال حتى خلافة عثمان بن عفان ، فكتب إليه معاوية في ركوب البحر ، فكتب إليه عثمان متخوفاً هو الآخر : أن قد شهدت مارد عليك عمر حين أستأمرته في غزو البحر ، لكن معايةلم ييأس ،ولم يزل بالخليفة ملحاً حتى أذن له بشرط ، فقال له عثمان في كتابه : لاتنتخب الناس ،ولا تقرع بينهم ، خيرهم ، فمن اختار الغزو في البحر طائعاً فاحمله وأعنه فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونا لك والا فلا .

**فتح قبرص**

كان فتح قبرص أول غزوة بحرية غزاها المسلمون ، فما أن حصل معاوية بن ابي سفيان على اذن الخليفة بركوب البحر حتى أعد المراكب اللازمة لحمل الجيش واتخذ ميناء عكا مكاناً للابحار ،وكانت المراكب كثيرة مما يدل على استعدادات معاوية لذلك مسبقاً وتنفيذا لشرط الخليفة حمل معه زوجته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف ،وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية.

وبالرغم من أن معاوية لم يجبر الناس على الخروج ، فقد خرج معه جيش عظيم من المسلمين ، تسابقوا الى السفن بعد انتهاء فصل الشتاء في سنة ثمان وعشرين من الهجرة ،واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة ، الذي كان مقيماً معه بالشام ، واشتهر بعد ذلك بكثرة غزواته البحرية صيفاً وشتاءاً.

وقد اجتمع معاوية بأصحابه وكان فيهم أبو أيوب الانصاري ،وأبو الدرداء وأبو ذر الغفاري ، وعبادة بن الصامت وتشاوروا فيما بينهم ، فأرسلوا الى اهل قبرص يخبرونهم أنهم ما جاءوا الا لتأمين حدود الدولة الاسلامية من غارات الروم ، لكن سكان الجزيرة لم يستسلموا بل تحصنوا في العاصمة ،ولم يخرجوا لمواجهة المسلمين فقدم المسلمون نحو العاصمة وحاصروها مما اضطر اهلها الى طلب الصلح وأجابهم المسلمون الى الصلح وفقاً للشروط التالية :

1. أن يدافع الملسمون عن الجزيرة اذا هاجم سكانها محاربون.
2. أن يدل سكان الجزيرة المسلمين على تحركات عدوهم من الروم.
3. ان يدفع سكان الجزيرة للمسلمين سبعة الاف ومائتي دينار كل عام.
4. لن يكون طريق المسلمين الى عدوهم عليهم.
5. الا يساعدوا الروم اذا حاولوا غزو بلاد المسلمين ،ولا يطلعوهم على أسرارهم.

وعندما تولي الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " عزل عبد الله بن عـامر عن البصرة وعين بدله عثمان بن حنيف ، ولعثمان معرفة وخبرة في هذه الولاية ، واتجه عبد الله بن عامر إلى مكة ، علماً أن عثمان بن حنيف سبق أن عينه الخليفة عمر بن الخطاب على مسح السواد وتقدير الخراج فيه.ومن الملاحظ على عثمان بن حنيف ، أنه لم يبقَ مدة طويلة والياً على البصرة ،إذ قدم جيش طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة إلى البصرة وكانوا قد دخلوها قبل معركة الجمل . تطورت الأحداث وتم للمتمردين من السيطرة على البصرة ، وهذا مما أدى بواليها عثمان بن حنيف بالخروج من البصرة متجهاً إلى المدينة المنورة لملاقاة الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " ، وقد التقى عثمان بالخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " في الطريق ، والخليفة متجهٌ إلى البصرة قبل حدوث معركة الجمل ، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف . وبعد انتهاء معركة الجمل عيَّن الخليفة والياً على البصـرة عبد الله بن عباس .

اما الكوفة فقد وليهاأبو موسى الأشعري في نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان وبعد أن تمت بيعة الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " أقره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام ".

اما مكة المكرمة من المدن المهمة والمقدسة عند المسلمين ، كان واليها خالد بن سعيد بن العاص حين توفي الخليفة عثمان بن عفان وعند تولي الخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " أصدر أمراً بعزل خالد بن سعيد عن ولاية مكة المكرمة ، وعين بدله أبا قتادة الأنصاري ، على أن أبا قتادة لم يستمر في ولايته على مكة طويلاً إذ أن الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " عزله عن ولايته وعين بدلاً عنه قثم بن العباس ، وحدث ذلك عندما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " التوجه إلى العراق ، وعليه فأن ولاية أبي قتادة الأنصاري على مكة كانت قرابة الشهرين . وان ولاية قثم لم تكن فقط على مكة وإنما أضاف إليه الطائف أيضاً ، وعليه فإن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب " عليه السلام " يكون قد ولي قثم بن عباس على مكة والطائف في وقت واحد .

وعين على المدينة المنورة سهيل بن حنيف الأنصاري، والياً عليها.وعزل الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " سهيلاً بن حنيف الأنصاريّ عن ولاية المدينة ، وعين عليها تمام بن العباس.وقام الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " بعزل تمّام بن العباس ، وعيّن أبا أيوب الأنصاريّ.

امااليمن فهي من الأقاليم الإدارية المهمة في الدولة العربية الإسلامية ، عندما بويع بالخلافة الإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " عين على اليمن عبيد الله بن عباس والياً عليها .

اما الشام فقد كان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام خلال عهدي الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعندما تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " الخلافة في سنة 35هـ ، أراد الخليفة ان يعزل معاوية بن أبي سفيان ، ويولي بدله عبد الله بن عمر بن الخطاب ، إلا إن عبد الله امتنع في قبول هذا الأمر واعتذر في ذلك بسبب المصاهرة والقرابة بينه وبين معاوية بن أبي سفيان.

لم يمارس الخليفة علي بن ابي طالب " عليه السلام " أي ضغط لإجبار واقناع عبد الله بن عمر حول هذا الأمر . بل قبل منه اعتذاره .

اما الجزيرةكانت عند مبايعة الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " بالخلافة ، أصبح الشام مسيطراً عليه من قبل معاوية بن أبي سفيان ، والعراق تحت سيطرة الخلافة ، وكانت الجزيرة تابعة للشام ، وهذا ما أدى إلى إشتداد الصراع بين الخلافة ومعاوية بن أبي سفيان ، من أجل السيطرة على الجزيرة ، وذلك لأهمية موقعها الجغرافيّ ، فضلاً عن اتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهةً أخرى .

شهدت ولاية الجزيرة الكثير من المعارك بين جيش الخلافة وبين جيش معاوية بن أبي سفيان ، وكان كل من الطرفين يحاول السيطرة ونتيجة هذه المعارك تمكن جيش الخلافة من السيطرة عليها ،لمدّة من الوقت ، إذ عيّن عليها مالكاً الأشـتر ، وهو من أشهر الولاة الذين عيّنهم الخليفة علي "عليه السلام " على الجزيرة. ويبدو أن أمير المؤمنين علي "عليه السلام " عيّن مالكاًالأشتر على الجزيرة أكثر من مرّة ، وأبدى قابلية رائعة في تنظيم أمور الولاية ، إذ أضطرّ الخليفة أن يعيّن مالكاً والياً على مصر وكان ذلك في سنة 38هـ.

وقعت عدة إضطرابات في الجزيرة نتيجة نقل مالك الأشتر عنها ، ويبدو أن مالكاً الأشتر إداري كبير ضبط أمور الولاية من جميع الجوانب ، وهذا الأمر سهل الأمر لمعاوية بن أبي سفيان من محاولة السيطرة عليها ، فحدثت عدة معارك بين الطرفين . تمكن معاوية بن أبي سفيان السيطرة على ولاية الجزيرة في أواخر سنة ( 39 هـ) إلى حد ما . وأصبحت ولاية الجزيرة مكاناً يلجأ إليه بعض من الصحابة أو المسلمين الذين اعتزلوا القتال الدائر بين الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " وبين معاوية بن أبي سفيان. والسبب في ذلك وقوع الجزيرة بين منتصف الطريق بين العراق والشام .

ومن الولاة الذين عيّنهم الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " والياً على الجزيرة هو شبيب بن عامر ، وكذلك كميل بن زياد، وكان لهما أثرٌ كبيرٌ في صدّ ومقاومة جيش معاوية بن أبي سفيان الذي هاجم الجزيرة ، إلا أنّهم لم يتصدّوالهذا الجيش فحسب وإنما قاموا بالهجوم على الشام من جهة الجزيرة

اما مصر فهي من الولايات المهمة في الدولة العربية الإسلامية ، وكان واليها محمد بن أبي حذيفة ، حينما قتل الخليفة عثمان بن عفان وهو مسيطر على مصر بالقوة ، ويعدّ مغتصباً لها ، حتى ان الخليفة عثمان بن عفان لم يقرّه على ولاية مصر ، وبعد وفاة الخليفة بقي محمد بن أبي حذيفة والياً على مصر ، من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " لمدة وجيزة ، إذإنّ معاوية بن أبي سفيان وجّه جيشاً إلى نواحي مصر ، إذ تمكن هذا الجيش من إلقاء القبض على محمد بن أبي حذيفة ، وأرسل به إلى الشام فسجنه معاوية وأخيراً قتله.عنـــدها أمــــر(عليه السلام) بتعيين قيس بن سعد الأنصاري واليـاً على مصر.وفي سنة 36هـ، عزل الخليفة قيس بن سعد عن مصر وعين بدله محمد بن أبي بكر .

وعين على فارس سهيل بن حنيف الانصاري .**.** وعين عبد الرحمن بن أبزي والياً على خراسان ، ثم عزله الخليفة وعين بدلاً عنه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب سنة (37هـ) ولم يستمر طويلاً حيث عزله الخليفة بعد أن ارتد اهل خراسان فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد إلا انه لم ينجح ، وبعث بدلاً عنه أحد قواده إلى خراسان إذ تمكن من ضبط الأمور وأخماد التمرد.

**الشكوة من عمال الخليفة وموقف الاخير منهم:**

بعد أن شكى الناس عمالهم في الكثير من البلاد إلى الخليفة عثمان ، أرسل إلى عماله ، فجاؤوه وطالبهم بذلك ، وأشاروا عليه باتباع سياسات ظالمة في مواجهة الشاكين ، وردهم إلى أعمالهم ، وحذرهم الشكايات ، فلم يزدادوا على الناس إلا جفاً وغلظة ، وجوراً في الأحكام ، وعدولاً عن السنة .

حتى ان نفر من أهل الكوفة منهم يزيد بن قيس الأرحبي ، ومالك بن حبيب اليربوعي ، وحجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وزياد بن حفيظة التميمي ، وعبد الله بن الطفيل البكائي ، وزياد بن النضر الحارثي ، وكرام بن الحضرمي المالكي ، ومعقل بن قيس الرياحي ، وزيد بن حصن السنبسي ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، ورجال كثير من قرى أهل الكوفة ورؤسائهم ، كتبوا إلى الخليفة عثمان بن عفان :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من الملأ المسلمين من أهل الكوفة ، سلام عليك ! فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ! فإننا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحة لك ، واعتذاراً وشفقة على هذه الأمة من الفرقة ، وقد خشينا أن تكون خلقت لها فتنة ، وإن لك ناصراً ظالماً ، وناقما عليك مظلوما ، فمتى نقم عليك الناقم ، ونصرك الظالم ، اختلفت الكلمتان ، وتباين الفريقان ، وحدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها بأحداقك ، يا عثمان ! فاتق الله ، والزم سنة الصالحين من قبلك ، وانزع عن ضرب قرابتنا ، ونفي صلحائنا ، وقَسْم فيئنا بين أشرارنا ، والإستبدال عنا ، واتخاذك بطانة من الطلقاء وابن الطلقاء دوننا ، فأنت أميرنا ما أطعت الله ، واتبعت ما في كتابه ، وأنبت إليه ، وأحييت أهله ( أي أهل القرآن ) وجانبت الشر وأهله . وكنت للضعفاء ، ورددت من نفيت منا . وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء . فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك ، وقد بقي ما عليك من الحق ، فإن تبت من هذه الأفاعيل نكون لك على الحق أنصارا وأعوانا ، وإلا ، فلا تلوم إلا نفسك ، فإننا لن نصالحك على البدعة وترك السنة . ولن نجد عند الله عذرا إن تركنا أمره لطاعتك ، ولن نعصي الله فيما يرضيك . هو أعز في أنفسنا ، وأجل من ذلك . . نشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا ، ونستعينه وكفى بالله ظهيرا ، راجع الله بك إلى طاعته ، يعصمك بتقواه من معصيته - والسلام - .

فلما كتبوا الكتاب وفرغوا منه قال رجل منهم : من يبلغه عنا كتابنا ؟ فوالله إن ما نرى أحدا يجترئ على ذلك . فقام رجل من عنزة ، ( اسمه أبو ربيعة ) . فقال : والله ما يبلغ هذا الكتاب إلا رجل لا يبالي : أضرب ، أم حبس ، أم قتل ، أم نفي ، أم حرم . فأيكم عزم على أن يصيبه خصلة من هذه الخصال فليأخذه . فقال القوم : ما ههنا أحد يحب أن يبتلي بخصلة من هذه الخصال . فقال العنزي : هاتوا كتابكم ، فوالله إني لا عافية لي ، وإن ابتليت ، فما أنا يائس أن يرزقني ربي صبراً وأجراً .

فدفعوا إليه كتابهم . وبلغ ذلك كعب بن عبيدة النهدي - وكان من المتعبدين - فقال : والله لأكتبن إلى عثمان كتابا باسمي واسم أبي ، بلغ ذلك من عنده ما بلغ ! ثم كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من كعب بن عبيدة ، أما بعد ! فإني نذير لك من الفتنة ، متخوف عليك فراق هذه الأمة ، وذلك أنك قد نفيت خيارهم ، ووليت أشرارهم ، وقسمت فيأهم في عدوهم ، واستأثرت بفضلهم ، وحرقت كتابهم ، وحميت قطر السماء ونبت الأرض ، وحملت بني أبيك على رقاب الناس ، حتى قد أوغرت صدورهم ، واخترت عداوتهم . ولعمري لئن فعلت ذلك ، فإنك تعلم أنك إذا فعلت ذلك وتكرمت ،فإنما تفعله من فيئنا وبلادنا ، والله حسيبك يحكم بيننا وبينك . وإن أنت أبيت ، وعنيت قتلنا وأذانا ولم تفعل ، فإننا نستعين الله ونستجيره من ظلمك لنا بكرة وعشيا - والسلام - .

ثم جاء كعب بن عبيدة بكتابه هذا إلى العنزي ، وقد ركب يريد المدينة ، فقال : أحب أن تدفع كتابي هذا إلى عثمان ، فإن فيه نصيحة له ، وحثا على الاحسان إلى الرعية ، والكف عن ظلمها . فقال : أفعل ذلك . قال : ثم أخذ الكتاب منه ومضى إلى المدينة . ورجع كعب بن عبيدة حتى دخل المسجد الأعظم ، فجعل يحدث أصحابه بما كتب إلى عثمان ، فقالوا : والله يا هذا لقد اجترأت وعرضت نفسك لسطوة هذا الرجل ! فقال : لا عليكم ، فإني أرجو العافية والأجر العظيم ، ولكن ألا أخبركم بمن هو أجرأ مني ؟ قالوا : بلى ، ومن ذلك ؟ فقال : الذي ذهب بالكتاب . فقالوا : بلى صدقت ، إنه لكذلك . وإنا لنرجو أن يكون أعظم هذا المصر أجرا عند الله غدا .

وقدم العنزي على الخليفة عثمان بالمدينة ، فدخل وسلم عليه ، ثم ناوله الكتاب الأول ، وعنده نفر من أهل المدينة ، فلما قرأه عثمان اربدّ لونه ، وتغيروجهه ، ثم قال : من كتب إلي هذا الكتاب ؟ فقال العنزي : كتبه إليك ناس كثير من صلحاء أهل الكوفة وقرائها ، وأهل الدين والفضل .

فقال عثمان : كذبت ! إنما كتبه السفهاء وأهل البغي والحسد ، فأخبرني من هم ؟ فقال العنزي : ما أنا بفاعل . فقال عثمان : إذا والله أوجع جنبك ، وأطيل حبسك . فقال العنزي : والله لقد جئتك وأنا أعلم أني لا أسلم منك . فقال عثمان : جردوه ! فقال العنزي : وهذا كتاب آخر ، فاقرأه من قبل أن تجردني . فقال عثمان : آت به ، فناوله إياه . فلما قرأه قال : من كعب بن عبيدة هذا ؟ قال العنزي : إيه ! قد نسب لك نفسه . . قال عثمان : فمن أي قبيل هو ؟ قال العنزي : ما أنا مخبرك عنه إلا ما أخبرك عن نفسه . قال : فالتفت عثمان إلى كثير بن شهاب الحارثي فقال : يا كثير ! هل تعرف كعب بن عبيدة . قال كثير : نعم يا أمير المؤمنين ! هو رجل من بني نهد . قال : فأمر عثمان بالعنزي ، فجردوه من ثيابه ليضرب ، فقال علي بن أبي طالب « عليه السلام » : لماذا يضرب هذا الرجل ؟ إنما هو رسول جاء بكتاب ، وأبلغك رسالة حملها ، فلم يجب عليه في هذا ضرب .

فقال عثمان : أفترى أن أحبسه ؟ قال : لا ، ولا يجب عليه الحبس . قال : فخلى عثمان عن العنزي . وانصرف إلى الكوفة وأصحابه لا يشكون أنه قد حبس ، أو ضرب ، أو قتل . قال : فلم يشعروا به إلا وقد طلع عليهم ، فما بقي في الكوفة رجل مذكور إلا أتاه ممن كان على رأيه ، ثم سألوه عن حاله فأخبرهم بما قال وما قيل له . ثم أخبرهم بصنع علي « عليه السلام » . فعجب أهل الكوفة من ذلك ، ودعوا لعلي « عليه السلام » بخير ، وشكروه على ما فعله .

وكتب الخليفة عثمان إلى سعيد بن العاص أن يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطاً ، ويحول ديوانه إلى الري . ففعل كما في بعض النصوص وفي نص آخر : سرح إليَّ كعب بن عبيدة مع سائق عنيف ، حتى يقدم علي به والسلام .

فلما ورد كتاب عثمان على سعيد بن العاص ، ونظر فيه ، أرسل إلى كعب بن عبيدة فشده في وثاق ، ووجه به إلى عثمان مع رجل فظ غليظ . فلما صار في بعض الطريق جعل الرجل ينظر إلى صلاة كعب بن عبيدة ، وتسبيحه واجتهاده فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، بعثت مع رجل مثل هذا ، أهديه إلى القتل والعقوبة الشديدة ، أو الحبس الطويل ؟ ! ثم أقبل بكعب بن عبيدة حتى أدخله على الخليفة عثمان . فلما سلم عليه جعل الخليفة ينظر إليه ثم قال : ( تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ) ! ( وكان شاباً حديث السن نحيفاً ) . أنت تعلمني الحق ، وقد قرأت القرآن وأنت في صلب أب مشرك ؟ ! قال كعب : على رسلك يا بن عفان ، فإن كتاب الله لو كان للأول دون الآخر لم يبق للآخر شيء ، ولكن القرآن للأول والآخر . ( أو قال : إن إمارة المؤمنين إنما كانت لك بما أوجبته الشورى ، حين عاهدت الله على نفسك في أن تسيرن بسيرة نبيه ، لا تقصر عنها ، وأن يشاورنا فيك ثانية ، نقلناها عنك ، يا عثمان الخ . . ) .

فقال الخليفة : والله ما أراك تدري أين ربك ! قال : بلى يا عثمان ! هو لي ولك بالمرصاد . فقال مروان : يا أمير المؤمنين ! حلمك على مثل هذا وأصحابه أطمع فيك الناس . فقال كعب : يا عثمان ! إن هذا وأصحابه أغمروك وأغرونا بك .

قال عثمان : جردوه ، فجردوه ، وضربه عشرين سوطاً ، ثم أمر به فرد إلى الكوفة ، وكتب إلى سعيد بن العاص : أما بعد ، فإذا قدم عليك كعب بن عبيدة هذا ، فوجه به مع رجل فظ غليظ إلى جبال كذا ، ( إلى دباوند . ويقال : إلى جبل الدخان ) فليكن منفيا عن بلده وقراره .

فلما قدم كعب على سعيد بن العاص دعا به ، فضمه إلى رجل من أصحابه يقال له بكير بن حمران الأحمري ، فخرج به حتى جعله كذلك حيث أمر عثمان .

وفي رواية ابن أعثم قال : فدعا عثمان من ساعته بدواة وقرطاس ، وكتب إلى عامله بالكوفة سعيد بن العاص : أما بعد ، فإني خشيت أن أكون قد اقترفت ذنبا عظيما وإثما كبيرا من كعب بن عبيدة ، وإذا ورد كتابي هذا إليك ، فابعث إليه فليقدم عليك ، ثم عجل به علي - والسلام . - قال : فلما ورد الكتاب على سعيد بن العاص دعا ببكير بن حمران الأحمري ، وأنفذه إلى كعب بن عبيدة فأشخصه إليه ، ثم وجه به إلى المدينة ، فلما أدخل على عثمان سلم ، فرد « عليه السلام » ثم أدنى مجلسه وقال : يا أخا بني نهد ! ( إنه كانت مني طيرة ، ثم نزع ثيابه ، وألقى إليه سوطاً ، وقال : اقتص ) .

أو قال : إنك كتبت إلي كتاباً غليظاً ، ولو كتبت أنت لي فيه بعض اللين ، وسهلت بعض التسهيل لقبلت مشورتك ونصيحتك ، ولكنك أغلظت لي ، وتهددتني واتهمتني حتى أغضبتني ، فنلت منك ما نلت ، وإنه وإن كان لكم علي حق فلي عليكم مثله مما لا ينبغي أن تجهلوه . قال : ثم نزع عثمان قميصه ، ودعا بالسوط فدفعه إليه وقال : ثم يا أخا بني نهد ! اقتص مني ما ضربتك . فقال كعب بن عبيدة : أما أنا فلا أفعل ذلك ، فإني أدعه لله تعالى ، ولا أكون أول من سن الاقتصاص من الأئمة ، والله لئن تصلح أحب إلي من أن تفسد ، ولئن تعدل أحب إلي من أن تجور ، ولئن تطيع الله أحب إلي من أن تغضبه . ثم وثب كعب بن عبيدة فخرج من عند عثمان ، فتلقاه قوم من أصحابه فقالوا : ما منعك أن تقتص منه ، وقد أمكنك من نفسه ؟ فقال : سبحان الله والي أمر هذه الأمة ! ولو شاء لما أقادني من نفسه ، وقد وعد التوبة ، وأرجو أن يفعل .

**أسباب النقمة على الخليفة :**

* أن ما يطلبه الصحابة وسائر الناس في الجملة من عثمان لم يكن أكثر من الالتزام بسنة العدل والإنصاف ، والعمل بأحكام الله التي تركت ، وشرائعه التي انتهكت .
* ولكن ذلك لا يعني أن جميع المعترضين ، كانوا يريدون باعتراضاتهم وجه الله تبارك وتعالى . . بل كان بعضهم يسعى للحصول على شيء من حطام الدنيا ، ولا نبرئ عمرو بن العاص وطلحة والزبير من ذلك ، بل إن الوقائع تؤكد ذلك عليهم .
* كما أن بعضهم كان يحرض الناس عليه ، لأنه قطع عنه العطاء الذي كان الخليفةعمر قد قرره له . أو أخر بعض أرزاقهم .
* لكن الجميع بدون استثناء كانوا يطالبونه بالعودة عن مخالفاته .
* وكف يد عماله عن ظلم الناس ، ومنعهم من التعديات على أحكام الله وشرائعه .
* فالخليفة كان قد أعطى مناوئيه الكثير الكثير من المفردات التي يمكنهم الاستفادة منها في مناوأته ، ولم يستطع أن يفي بوعوده لهم بإصلاح الأمور ، بل كان بإصراره على مواصلة التمسك بما هو عليه ، وبطريقة تعامله مع منتقديه يضيف المزيد من المؤاخذات ، والمزيد من التقوية لهم ، فهو الذي كان يعينهم على نفسه ، فهو في ذلك كالذي يسعى إلى حتفه بظلفه .

**موقف الخليفة عثمان من ناصحيه وتدخل الامام علي (عليه السلام) :**

أن الخليفة عثمان بادر إلى تكذيب رسول الكوفيين حين وصف له مرسلي كتاب النصيحة بالصلحاء ، والقراء ، وأهل الدين ، والفضل ، فنعتهم عثمان "ب‍السفهاء ، وأهل البغي والحسد " ، فلاحظ ما يلي :

أولاً : صرح الخليفة عثمان بأنه لا يعرفهم ، وهو يطالب الرسول بأن يخبره بأسمائهم .

ثانياً : إذا كان لا يعرفهم فمن أين عرف أنهم من أهل البغي والحسد ، وأنهم سفهاء ، والحال أنه لا شيء في كتابهم يدل على شيء من ذلك . .

ثالثاً : المفروض بالخليفة عثمان أن ينظر إلى ما قيل ، فإن كان حقاً قبله ، وإن كان باطلاً بحث عن سبب رواج هذا الباطل ، فإن كان هو الوقوع في الشبهة والغلط بسبب الجهل ، أزال جهلهم ، وإن كان لدوافع أخرى عالج الموضوع بما يتناسب مع ما يظهر له بالوسائل المشروعة ، وبالمقدار المسموح به شرعاً . .

رابعاً : ما ذنب حامل الكتاب حتى يصب عليه الخليفة عثمان جام غضبه ، فإن من حقه ومن حق مرسليه عليه أن لا يبوح بالأسماء في مثل هذه الحالات ، إذ ليس في كتمانها أي خطر على الحاكم ، ولا على الحكم ؟

خامساً : ليس من حق الخليفة عثمان أن يتعرف على الأسماء ، فضلاً عن أن يعاقب غيره على كتمانها ، ولأجل ذلك تدخل أمير المؤمنين « عليه السلام » معترضاً على تصرفه ، وأوضح له أنه لا يحق له أن يضرب ذلك الرسول . . فإنما هو رسول ، لا يطلب منه إلا إبلاغ الرسالة التي يحملها ، ولا يستحق أية عقوبة على ذلك . وقد كانت الرسل تحفظ لدى أهل الجاهلية . . فكيف يعتدى عليهم بعد أن جاء الإسلام ؟ ! هذا إن لم نقل : إنه يستحق المثوبة ، من حيث كونه محسناً للمرسل ، وللمرسل إليه على حد سواء . .

سادساً : إن الذي يطلبه الخليفة عثمان من ذلك الرسول هو من قبيل مهمات التجسس ، ونقل معلومات عن الغير ، لا مبرر لقولها ونقلها ، لأنها لا ترتبط بأمن الدولة ، ولا بأمن الأشخاص ، وإنما يراد الاستفادة منها في إلحاق الأذى بالأبرياء ، والناصحين ، والأخيار المصلحين ، الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر . .

سابعاً : رأينا أن الخليفة عثمان قد تراجع مباشرة أمام تساؤل علي « عليه السلام » عن مبرر هذا القرار . . ولعل ذلك يعود لسببين :

أحدهما : أن الخليفة عثمان وجد نفسه غير قادر على تبرير قراره إلا بالاعتراف بالعشوائية أو بالغطرسة ، أو بالتشفي ، وكل ذلك لا يتوقع ولا يقبل منه .

الثاني : أن أولئك الناس كانوا غير قادرين في معظم الحالات على رد كلمة علي « عليه السلام » ، لأنهم يعرفون أن ذلك يكلفهم غالياً ، ولم تكن معرفة أسماء مرسلي الكتاب بالأمر الذي يستحق إغضاب علي « عليه السلام » ، لا سيما مع ما يرونه من سعيه الحثيث لإصلاح الأمور . ودفع الشرور . . ولأجل ذلك عدل الخليفة عثمان عن ضرب الرجل . .

ثامناً : إن الخليفة عثمان توهم أن تخليه عن ضرب ذلك الرجل يرضي الامام علي(عليه السلام). . وأنه لا يمانع من إنزال عقوبة أخرى به ، أخف من الضرب . . فسأل علياً « عليه السلام » عن ذلك قائلاً : أفترى أن أحبسه ؟ ! فقال : لا ، ولا يجب عليه الحبس . . فلم يكن أمام عثمان أي خيار سوى إطلاق سراح العنزي ليعود سالماً إلى بلاده . .

إن الامام علي « عليه السلام » قد وضع يده على الجرح ، حين بين للخليفة عثمان أن العيب الأهم ، والذي يحتاج إلى إصلاح أولاً وقبل كل شيء يكمن في شخص عثمان . . فلا بد للخليفة عثمان من أن يغير سياساته وسلوكه قبل أن يطلب ذلك من غيره . . وإلا ، فإنه حتى لو غير عماله ، فسيستبدلهم بمن هم على شاكلتهم ، أو أسوأ . . كما أنه قد يوصي عماله ببعض الأمور في تلك الساعة ، ثم يوصيهم بغيره في ساعة أخرى . . وقد يأخذ عليهم العهود والمواثيق على أمر أو على سلوك بعينه ، ثم يخالفون أمره ، فلا يصنع شيئاَ ، بل يبطش بمن يلجأ إليه بالشكوى . . فالمعالجة يجب أن تكون حقيقية وجذرية .

**لقد قرر الامام علي « عليه السلام » في كلامه أموراً هامة جداً حول إصلاح أمور عثمان ، وهي التالية :**

1 - إن الحق ثقيل ومر ، والباطل بخلافه . . وقد كان الخليفة عثمان يشعر بثقل الحق وبمرارته كلما سمع أن أحداً تفوه بشيء منه ، وكان أيضاً لا يستثقل من الباطل الذي يمارسه عماله . . مع أن الإسلام يريد منا أن نحب الحق، وأن نأنس به، وأن يخف علينا سماعه ، وقبوله ، والالتزام به .

2 - إن الخليفة عثمان يسخط إذا قيل له الصدق . وهذا هو لب مشكلته مع ناصحيه ، ومنتقديه ، فإنهم يرون أبواب إيصال الحقائق إليه موصدة ، وأية محاولة تبذل في هذا السبيل تواجه بالعدوان على كراماتهم وحياتهم ، وبالبطش الذي لا يرحم أحداً ، ولا يرثى لأحد . .

3 – إذا كُذِب على الخليفة في امر ورضى به،فان هذا يفسح المجال لتزوير الحقائق وتشويهها ، والاستفادة من هيبة السلطان لتمكين الباطل ، وترويجه ، وإشاعته . .

4 - إنه لم يصرح بإدانة الخليفة عثمان ، بل وضعه أمام موازنة معقولة ومرضية ، تفضي به إلى إختيار ما هو أصلح له . . حتى لو كان يظن أن في الخيار الآخر بعض الصلاح ، على قاعدة : ( وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ) مع إشارة منه « عليه السلام » إلى أنه لا يطلب منه التنازل لصالح غيره ، بل يريد منه أن يختار ما هو أصلح له هو شخصياً ، لكي ينطلق إلى ذلك من موقع الحرص عليه ، المنطلق من حرصه على نفسه .

5 - ثم إنه « عليه السلام » سجل على الخليفة عثمان مسؤولية أخرى ، وهي لزوم رعاية حق الله تعالى وحق الناس أيضاً في هذا الأمر . .

**امثلة من إيذاء خيرة الصحابة :**

لم تكن اعتراضات الناس ونقمتهم على الخليفة لمجرد إسناده أهم مناصب الدولة لأقاربه ، والإغداق عليهم من بيت مال المسلمين ، وإنما أيضا " للانتهاكات الخطيرة في تعاليم الإسلام وآدابه ، والمظالم التي ارتكبت بحق خيرة صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم )، لا سيما أبي ذر الغفاري ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر .

**أبو ذر جندب بن جنادة:**

عن الإمام الصادق « عليه السلام » أنه قال : أرسل عثمان إلى أبي ذر موليين ، ومعهما مئتا دينار ، فقال لهما : انطلقا بها إلى أبي ذر ، فقولا له : إن عثمان يقرؤك السلام ، وهو يقول لك : هذه مائتا دينار ، فاستعن بها على ما نابك . فقال أبو ذر : فهل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني ؟ ! فقالا : لا . قال : فأنا رجل من المسلمين ، يسعني ما يسعهم . فقالا له : إنه يقول : هذا من صلب مالي . وبالله الذي لا إله إلا هو ما خالطها حرام ، ولا بعثت بها إليك إلا من حلال .

فقال : لا حاجة لي فيها . وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس .

فقالا له : عافاك الله وأصلحك ، ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً مما تستمتع به .

فقال : بلى ، تحت هذا الأكاف الذي ترون رغيفا شعير ، قد أتى عليهما أيام ، فما أصنع بهذه الدنانير ؟ ! لا والله ، حتى يعلم الله أنى لا أقدر على قليل ولا كثير ، وقد أصبحت غنياً بولاية علي بن أبي طالب ، وعترته الهادين « عليهم السلام » ، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون . وكذلك سمعت رسول الله « صلى الله عليه وآله » يقول : إنه لقبيح بالشيخ أن يكذب . فردها عليه ، وأعلماه أنه لا حاجة لي فيها ، ولا فيما عنده ، حتى ألقى الله ربى ، فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه.

هناك مسيرة اعتراضات وتعريضات طويلة من قبل أبي ذر تجاه السلطة كانت تضايق أهلها وتزعجهم بشكل كبير ، وقد بذلت محاولات كثيرة معه ليكف عن ذلك ، فلم تنفع ، حتى بلغ الإنزعاج بهم إلى حد التفكير في التخلص منه ، ولو بالأبعاد والنفي .

والأدهى والأمر ، والأغرب والأعجب من ذلك كله : أن يصرح خليفة المسلمين ، الذي يحكم الأمة باسم نبيها الأكرم ، بأنه مصمم على التنكيل بأبي ذر ، ونفيه ، لأنه يصر على تكذيبه

**السبب المباشر :** قال ابن أبي الحديد المعتزلي : إن الذي عليه أكثر أرباب السيرة ، وعلماء الأخبار والنقل ، أن عثمان نفى أبا ذر أولا إلى الشام ، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية ، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام .

**وأصل هذه الواقعة :** أن الخليفة عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال ، واختص زيد بن ثابت بشيء منها ، - ( مئة ألف درهم ، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاث مئة ألف درهم ) -

جعل أبو ذر يقول بين الناس ، وفي الطرقات والشوارع : ( بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) . ويرفع بذلك صوته ، ويتلو قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) .

فرفع ذلك إلى الخليفة عثمان مرارا وهو ساكت . ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه ( اسمه نائل) : أن انته عما بلغني عنك .

فقال أبو ذر : أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى ، وعيب من ترك أمر الله تعالى ؟ ! فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان . فأغضب الخليفة عثمان ذلك وأحفظه ، فتصابر وتماسك . إلى أن قال الخليفة عثمان يوماً ، والناس حوله : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئا قرضا ، فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك . فقال أبو ذر : يا بن اليهوديين ، أتعلمنا ديننا ! فقال الخليفة عثمان : قد كثر أذاك لي ، وتولعك بأصحابي ، الحق بالشام . فأخرجه إليها .

و عن سهل بن الساعدي لنفس الرواية ، قال : كان أبو ذر جالساً عند عثمان ، وكنت عنده جالساً ، إذ قال عثمان : أرأيتم من أدى زكاة ماله ، هل في ماله حق غيره ؟ ! قال كعب : لا . فدفع أبو ذر بعصاه في صدر كعب ، ثم قال : يا ابن اليهوديين ! أنت تفسر كتاب الله برأيك ؟ ! ( لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ) . إلى قوله : (وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينَ ) .

ثم قال : ألا ترى أن على المصلي بعد إيتاء الزكاة حقا في ماله ؟ ! ثم قال عثمان : أترون بأساً أن نأخذ من بيت مال المسلمين مالاً ، فنفرقه فيما ينوبنا من أمرنا ، ثم نقضيه ؟ ! ثم قال أناس منهم : ليس بذلك بأس . وأبو ذر ساكت . فقال عثمان : يا كعب ! ما تقول ؟ !

فقال كعب : لا بأس بذلك . فرفع أبو ذر عصاه فوجأ بها في صدره ، ثم قال : أنت يا بن اليهوديين تعلمنا ديننا ؟ ! .

فقال عثمان : ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي ؟ ! ألحق بمكينك ، وغيب عني وجهك . أو قال : ما أكثر أذاك لي ، غيب وجهك عني ، فقد آذيتني . فخرج أبو ذر إلى الشام .

**إن قول أبي ذر بين الناس في الطرقات والشوارع :** بشر الكافرين بعذاب أليم . . يدل على أن أبا ذر كان يكفر من يتصرف ببيت مال المسلمين على هذا النحو . . ولم يكن هذا محصوراً بأبي ذر ، فقد كانت السيدة عائشة تكفر عثمان ، ومن مقولاتها المشهورة : اقتلوا نعثلاً فقد كفر . إلا إن كانت تكفره لأسباب أخرى غير هذه.

لا ينحصر سبب الكفر بإنكار الألوهية أو النبوة ، واتخاذ دين آخر غير دين الإسلام . . بل قد يحصل الكفر بالاستهزاء بأحكام الله ، أو بإنكار بعض ضروريات الدين . . وغير ذلك إن هذه المنادات في الطرقات والشوارع ، وعدم اعتراض أحد من الناس على أبي ذر في ذلك ، يدل على أن أذهان الناس كانت قد قبلت هذا الأمر بالنسبة للمتسلطين والحاكمين ، أو هي - على الأقل مستعدة لقبوله . . وهو يشير أيضاً إلى تناقص التأييد للخليفة عثمان بدرجة كبيرة وخطيرة . . ولذلك لم يجترئ هو ، ولا حزبه على مواجهة أبي ذر في البداية . . ولذلك ، رفع أمر أبي ذر إلى عثمان مراراً ، وهو ساكت .

**واللافت هنا :** أن أبا ذر لم يصرح باسم الخليفة عثمان ، بل اتبع طريقة تجعل التدخل لإسكاته غير مبرر ولا مقبول . . فهو إنما يقرأ القرآن ، وهو يتحدث عن قواعد عامة تتضمن إدانات لمن يترك أمر الله تعالى . . وليس هو مسؤولاً عن تطبيقات الناس ، ولا عن توهماتهم ، أصاب الناس في ذلك أم أخطأوا . وليس للخليفة أن يسخط ، أو أن يمنع من إدانة أهل الكفر والباطل.

وإن أبا ذر كان يعرف أن كعب الأحبار يريد بفتاواه هذه التزلف للخليفة عثمان ، والحصول على المكانة الرفيعة لديه . . الأمر الذي يعطيه القدرة على تمرير أمور قد تكون على درجة كبيرة من الخطورة على الدين وأهله .

وكان يعلم أيضاً : أن الخليفة عثمان كان يسعى للإستغناء بكعب عن كثير ممن لم يكن يسعد بأن يحتاج إليهم ، فكان يحاول أن يضع كعب الأحبار في مقام علمي رفيع ، لم يكن كعب أهلاً له . فكان يطلب منه الفتوى ، لأنه يعلم أن طلب خليفة المسلمين الفتوى من كعب سوف يدفع الكثيرين للأخذ عنه كل شاردة وواردة . والغث والسمين . . وهذا يعطي الفرصة لكعب لأن يدس في هذا الدين من إسرائلياته ما شاء .

فرأى أبو ذر : أن من الضروري كسر هيبة كعب أمام الناس . ووضع الأمور في نصابها ، ليحيا من حيي عن بينة ، ويضل من يضل عن بينة . . وهكذا كان .

وقد كان على خليفة المسلمين أن لا يهتم بهذا المقدار برجل كان من علماء أهل الكتاب ، وقد تظاهر بالإسلام في زمن الخليفة عمر . . وظهر للناس أنه كان مهتماً بالدس في هذا الدين ، فما معنى أن يسأله خليفة المسلمين عن أمور دينه ، وعن تكليفه الشرعي ، فإن المفروض : هو أن يكون عثمان - الذي وضع نفسه في مقام رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، ويدَّعي لنفسه وظائفه وصلاحياته - هو المعلم للناس . والعالم بأمور الدين ، والذي يسأله الناس عن الأحكام ، وعن الحلال والحرام . فإذا رأى الناس أنه يجهلها ، ويتعلمها من كعب ، فسيرون أن كعباً أعلم أهل الأرض والسماء ، وسيتخذونه مرجعاً لهم ، وكهفاً وملاذاً في أمور دينهم ودنياهم . . وهذا تغرير بالناس ، وهو أمر في غاية الخطورة . وقد أدرك ذلك أبو ذر ، وواجهه بالنحو الذي رأينا . إن أبا ذر يصف كعباً بأنه ابن اليهوديين ، ليفهم الناس أن هذا الرجل ليس له قدم في هذا الدين . وأنه حديث عهد به ، فمن أين يأتيه علم رسول الله ، وعلم كتاب الله ؟ !

إذا كان خليفة المسلمين لا يعرف مثل هذا الحكم البديهي ، ولا يجد في الصحابة الأخيار من يعرفه ، فعلى الإسلام السلام . وأين كان باب مدينة علم رسول الله « صلى الله عليه وآله » عن عثمان ؟ ! ولماذا لا يسأله عما يجهله ، كما كان يسأله أسلافه : أبو بكر وعمر في مناسبات أخرى . . بل كان الخليفة عثمان نفسه يرجع إليه « عليه السلام » في أمور كان يعجز عنها .

وعن الحكم الذي سأل عنه الخليفة عثمان : إذا جاز لعثمان أن يتصرف في بيت المال بالاقتراض ، ليصرفه فيما ينوبه من أموره الخاصة ، فلماذا لا يجوز لذوي الحاجة من المسلمين أن يقترضوا من بيت المال لأجل أمورهم الشخصية ؟ ! فإن غير الخليفة عثمان كان أحوج من عثمان إلى الاقتراض من بيت المال .

وإن الخليفة عثمان لم يكن بحاجة إلى الاقتراض ، فهو يملك من الأموال ما لا يخطر على البال ، حتى قال المسعودي : « ذكر عبد الله بن عتبة : أن عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومئة ألف دينار ، وألف ألف درهم ، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين ، وغيرهما مئة ألف دينار ، وخلف خيلاً ، وإبلا كثيرةً ».

وما معنى فتح هذا الباب على بيت المال ، الذي سيؤدي إلى محقه وتبديده على أيدي الطامحين والطامعين . ثم إن أبا ذر قدم دليلاً حسياً على جهل كعب بآية إيتاء المال على حبه ذوي القربى ، واليتامى والمساكين . , وأثبت جهله بكتاب الله ، فما معنى عودة الخليفة عثمان لسؤاله ؟ ! وما معنى تصديه للإجابة ، بعد أن لامست عصا أبي ذر صدره وجسده ؟ ! ومن يفتي بغير علم يستحق أكثر من الضرب بعصا أبي ذر . .

**تأثير أبي ذر في أهل الشام :**

قال ابن أبي الحديد المعتزلي : فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار ، فقال أبو ذر لرسوله : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلها ، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها ، وردها عليه . ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبو ذر : يا معاوية ، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالك فهي الإسراف .

وكان أبو ذر يقول بالشام : والله ، لقد حدثت أعمال ما أعرفها . والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه « صلى الله عليه وآله » . والله إني لأرى حقاً يطفأ ، وباطلاً يحيا ، وصادقاً مكذباً ، وأثرةً بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه.

وقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية : إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام ، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة . فكتب معاوية إلى الخليفة عثمان . . الخ .

قام معاوية خطيباً بالشام ، فقال : أيها الناس ! إنما أنا خازن ، فمن أعطيته فالله يعطيه ، ومن حرمته فالله يحرمه . فقام إليه أبو ذر ، فقال : كذبت - والله - يا معاوية ، إنك لتعطي من حرم الله ، وتمنع من أعطى الله .

ان مخالفة هذه الحدود والقيود هي التي أخذها أبو ذر على معاوية وغيره من المتصدين لسياسة العباد ، والبلاد . . وقد وضع أبو ذر معاوية أمام خيارين كل منهما مرّ . . فإما أن يعترف بأنه بنى الخضراء من مال الله تعالى . . وهذه هي الخيانة التي يستحق بها العقوبة ، التي سوف تسقطه عن مقامه . . أو أنه بناها من ماله - ومن أين لمعاوية المال - فيكون قد وقع في الإسراف الذي ورد النهي عنه في كتاب الله سبحانه . وذم الله المسرفين فيه ، ( وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ ). وقال تعالى : ( وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ المُسْرِفِينَ ). وقال : ( وَأَنَّ المُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ) . وآيات كثيرة أخرى . . فمعاوية خاسر في كلا الحالتين . .

وقد كثرت إشكالات أبي ذر ، وشاعت وذاعت ، وتضايق معاوية ، وأشفق من أثارها ، فحاول معاوية إسكات أبي ذر بأساليب كثيرة : ومنها المال فأرسل به معاوية إلى أبي ذر . . ولكن فأله قد خاب حين قدّر أن أبا ذر سوف يسيل لعابه حين يرى المال . . وسيقبله إما لأجل نفسه ، وإما لأجل أن يفرقه بين أهل الحاجة . . فيكون معاوية رابحاً في الحالتين ، حيث سيتمكن من أن يقول لأهل الشام : إن ما يشنع به علي قد وقع هو فيه . . وسيشيع بين الناس : أن أبا ذر قد أنفق ذلك المال أو بعضه على نفسه ، وسيشكك في أن يكون قد أنفق شيئاً منه على غيره . . وستنطلق أبواق معاوية لتشويه سمعة أبي ذر ، وستعمل أقصى طاقتها . .

وجاء موقف أبي ذر الصاعق والماحق . . حين بيّن أن الفريق الأموي الحاكم قد حرمه من عطائه طيلة ذلك العام . . فإن اعترف معاوية له بذلك ، فمعاوية إذن لا يتفضل عليه ، ولا يحسن بهذا المال إليه ، بل هو يأكل حقه ، ويظلمه . . وإن كان يعطيه إياه صلة يستجلب رضاه بها ، ويربح محبته وولاءه ، فذلك مرفوض ، لأن ولاءه ومحبته ورضاه لا تنال بالمال ، بل بإرجاع الحقوق إلى أصحابها ، والكف عن مخالفة أحكام الشرع الشريف ، والعمل بما يرضى الله تعالى . .

هل نداء أبي ذر بلزوم العمل بالمعروف والانتهاء عن المنكر يجعله مستحقاً للقتل ؟ ! أو هو يستحق لأجله الثناء والاحترام والإكبار ، ومنحه أكبر الأوسمة ، وأجلها ؟ ! وهل انقلبت المفاهيم ، فأصبحت الفضائل رذائل . . وصار المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ؟ ! وتهديد معاوية لأبي ذر بالقتل ، لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر أليس هو من مفردات الأمر بالمعروف والترك له ، والنهي عن المنكر ، وارتكابه . . وقد دعا هذا التصرف الأرعن أبا ذر إلى مواجهة معاوية بالحقيقة المرة ، التي يعرفها الناس كلهم عنه وعن وأبيه . . فبيَّن للناس أن معاوية يقلب الحقائق ، ويتجنى على الأبرياء ، ويرميهم بدائه ، على قاعدة : « رمتني بدائها وانسلت » . وذلك يفقد معاوية مصداقيته لدى الناس ، ويعريه أمامهم . لتأخذ الأمة حذرها : إن الحديث الذي واجه به أبو ذر معاوية ، وتضمن تحذير الأمة منه ، يمثل ضربة ماحقة وساحقة لمعاوية في أعز شيء لديه ، ألا وهو طمأنينة الناس إليه ، وطاعتهم له .

وحين أراد معاوية التملص والتخلص من هذه الورطة ، لم ينكر الحديث من أصله ، لعلمه بأن ذلك لن يقبل منه ، بل هو سيزيد الطين بلة والخرق اتساعاً ، لتضمنه تكذيباً لرسول الله « صلى الله عليه وآله » في قوله : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر . فادعى : أن المواصفات المذكورة كما تنطبق عليه ، فإنها تنطبق على غيره ، فليكن ذلك الغير هو المقصود بها .

ولكن أبا ذر الرجل الصادق والتقي زاد في البيان ، والأمر الأهم هو أن معاوية كان يشيع في الناس مفاهيم مزورة ، يؤسس عليها سياساته الظالمة ، ويكون لها وظيفة ضبط حركة الناس ، والتحكم بردات فعلهم تجاه تلك السياسات . .

وقد تصدى أبو ذر لمعاوية في هذا الأمر بالذات ، وبيّن للناس كذبه فيما يدعيه فقال : كذبت والله يا معاوية . ثم قدّم الدليل العملي القاطع على ذلك ، حين قال : إنك لتعطي من حرم الله ، وتمنع من أعطى الله . . أي أن الله سبحانه قد جعل - مثلاً - لليتامى والمساكين ، وأبناء السبيل ، والعاملين عليها حقاً في المال ، ولكن معاوية يحرمهم من هذا الحق . . كما أن الله تعالى قد منع من إعطاء الأغنياء أموالاً جعلها سبحانه للفقراء ، ولكن معاوية يعطيهم إياها ، ويخالف بذلك ما أمر الله به .

كما أن الخليفة عثمان وأعوانه وعماله قد وقعوا في المحذور الذي فرَّ منه الذين سبقوه ، وذلك حين نفى فنفى أبا ذر إلى الشام ، ونفى صلحاء الكوفة إلى بلاد الشام أيضاً . هذا بالإضافة إلى وصول بعض هؤلاء وأولئك إلى أقطار أخرى دخلت في الإسلام ، كمصر ، واليمن وسواها . . فقد تمكن الأخيار الأبرار من الصحابة من تعريف الناس بأحكام دينهم ، وتنبيههم إلى أن من حقهم أن يعترضوا على الحكام فيما يرتكبونه من موبقات ، وما يمارسونه من مآثم . وظهر الفرق الكبير بين النهج النبوي الصحيح ، وبين ممارسات الحكام . . وأفلت الزمام من يد الحكام . وانقلب السحر على الساحر ، وأصبح رفض الظلم والتعدي وضرورة الالتزام بالحق ، والإلزام به حتى للحكام والمتسلطين أصلاً أصيلاً متجذراً في الناس ، رغم جهود الحكام لإستئصاله أو التشكيك به على الأقل . . وشاعت المطالبات لهم بلزوم رعاية شرع الله ، وتطبيق أحكامه على الكبير والصغير ، والحاكم والسوقة ، والقريب والبعيد . وبدأت في المجتمع الإسلامي حركة جديدة . . ساعد الحكام أنفسهم على نشوئها ، وعلى تقويتها . . فكانوا كمن أعان على نفسه ، وسار إلى حتفه بظلفه ، وجعل الله كلمته هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى .

**أبو ذر إلى المدينة .**

وفي بعض الروايات ان معاوية كتب للخليفة إن أبا ذر قد حرف قلوب أهل الشام ، وبغضك إليهم ، فما يستفتون غيره ، ولا يقضي بينهم إلا هو . فكتب الخليفة إلى معاوية : أن احمل أبا ذر على ناب صعب وقتب ، ثم ابعث معه من ينجش به نجشاً عنيفاً .

وفي نص المسعودي : فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ، ولا آمن أن يفسدهم عليك . فإن كان لك في القوم حاجة ، فاحمله إليك . فكتب إليه عثمان : أما بعد . . فقد جاءني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر أبي ذر ، جندب بن جنادة ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث به إليَّ ، واحمله على أغلظ المراكب وأوعرها . وابعث معه دليلاً يسير به الليل مع النهار ، حتى يغلبه النوم ، فينسيه ذكري وذكرك .

قال : فلما ورد الكتاب على معاوية حمله على شارف ليس عليه إلا قتب ، وبعث معه دليلاً ، وأمر أن يغذَّ به السير حتى قدم به المدينة أتعب ، ثم قدم بي عليه ليرى في رأيه .

فدخل به على الخليفة عثمان ، فقال له الخليفة عثمان : لا أنعم الله لك عيناً يا جنيدب .

فقال أبو ذر : أنا جندب ، وسماني رسول الله « صلى الله عليه وآله » : « عبد الله » فاخترت اسم رسول الله « صلى الله عليه وآله » الذي سماني به على اسمي .

فقال له الخليفة عثمان : أنت الذي تزعم أنا نقول : يد الله مغلولة ، وأن الله فقير ونحن أغنياء!

فقال أبو ذر : لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده . ولكني أشهد أنى سمعت رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، يقول : « إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً ، جعلوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، ودينه دخلاً ( ثم يريح الله العباد منهم ) .

فقال الخليفة عثمان لمن حضر : أسمعتموها من رسول الله ؟ ! قالوا : لا . قال عثمان : ويلك يا أبا ذر ! أتكذب على رسول الله ؟ ! فقال أبو ذر لمن حضر : أما تدرون أنى صدقت ؟ ! قالوا : لا والله ما ندري .

فقال الخليفة عثمان : ادعوا لي علياً . فلما جاء ، قال الخليفة عثمان لأبي ذر : أقصص عليه حديثك في بنى أبى العاص . فأعاده ، فقال عثمان للامام علي « عليه السلام »:( يا أبا الحسن ) ، أسمعت هذا من رسول الله « صلى الله عليه وآله » ؟ ! قال : لا ، وقد صدق أبو ذر . فقال : كيف عرفت صدقه ؟ ! قال : لأني سمعت رسول الله « صلى الله عليه وآله » يقول : « ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر » .

فقال ( جميع ) من حضر ( من أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وآله » : صدق علي « عليه السلام » ) : أما هذا فسمعناه كلنا من رسول الله .

فقال أبو ذر : أحدثكم أنى سمعت هذا من رسول الله « صلى الله عليه وآله » فتتهمونني ! ما كنت أظن أنى أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد « صلى الله عليه وآله » !

قال الخليفة عثمان : كذبت ، ولكنك تريد الفتنة وتحبها ، قد قلبت الشام علينا .

فقال له أبو ذر : اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام .

فقال الخليفة عثمان : ما لك وذلك .

قال أبو ذر : والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فغضب الخليفة عثمان ، وقال : أشيروا عليَّ في هذا الشيخ الكذاب ، إما أن أضربه ، أو أحبسه ، أو أقتله . فإنه قد فرق جماعة المسلمين ، أو أنفيه من أرض الإسلام . فتكلم الامام علي « عليه السلام » - وكان حاضراً - فقال : أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون : ( وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ) .

فقال الامام علي( عليه السلام ):أتصنع هذا بأبي ذر وهو حبيب رسول الله « صلى الله عليه وآله » في كتاب كتبه إليك معاوية ، من قد عرفت فسقه وظلمه ؟ !

فأمسك الخليفة عثمان عن الامام علي(عليه السلام)، ثم أقبل على أبي ذر فقال : اخرج عنا ،ثم إن الخليفة عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلموه ، فمكث كذلك أياماً ، ثم أمر أن يؤتى به ، فلما أتي به ووقف بين يديه ، قال : ويحك يا عثمان ! أما رأيت رسول الله « صلى الله عليه وآله » ورأيت أبا بكر وعمر ؟ ! هل هديك كهديهم ؟ ! أما إنك لتبطش بي بطش جبار! .

فقال : اخرج عنا من بلادنا .

فقال أبو ذر : ما أبغض إلي جوارك ! فإلى أين أخرج ؟ !

قال : حيث شئت .

قال : فأخرج إلى الشام ، أرض الجهاد ؟ !

فقال : إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها ، أفأردك إليها ؟ !

قال : أفأخرج إلى العراق . .

قال : لا .

قال : ولم ؟ !

قال : تقدم على قوم أهل شبهة وطعن على الأئمة .

قال : فأخرج إلى مصر ؟ !

قال : لا .

فقال أبو ذر : فإني حيث كنت فلا بد لي من قول الحق ) فإلى أين ( تحب أن ) أخرج ؟ !

قال : إلى البادية .

قال أبو ذر : أصير بعد الهجرة أعرابياً ؟ !

قال : نعم .

فقال أبو ذر : هو إذن التعرب بعد الهجرة ، أخرج إلى نجد ؟ .

قال الخليفة عثمان : ( إلى بلد هو بغض إليك ، قال : الربذة ؟ ! ) ، بل إلى الشرق الأبعد ، أقصى ، فأقصى . إمض على وجهك هذا ، فلا تعدون الربذة . . فخرج إليها .

ولنا أن نتصور كم كانت كلمة أبي ذر مؤلمة للخليفة عثمان حين كان يقترح عليه البلدان التي يسيِّره إليها منفياً ، فيأباها واحدة بعد الأخرى ، فلم يرض بنفيه إلى : مصر ، العراق ، الشام ، مكة ، بيت المقدس ، بادية نجد ، الكوفة ، البصرة . .

هنا قال له أبو ذر كلمته الرائعة ، والرائدة : « فإني حيث كنت فلا بد لي من قول الحق » . وهذا معناه : أن ما يسعى إليه الخليفة عثمان لن يصل إليه . ولن يحصد من جهده هذا سوى المزيد من نقمة الناس عليه . فرحم الله أبا ذر ، وأعلى مقامه ، فإنه قد أعطى أعظم الدروس في الصبر والصلابة في الدين . وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

**الامام علي « عليه السلام » في وداع أبي ذر إلى الربذة :**

ورد في نهج البلاغة ما يلي : ومن كلام له « عليه السلام » لأبي ذر « رحمه الله » لما خرج إلى الربذة : يا أبا ذر ، إنك غضبت لله فارج من غضبت له . إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب منهم بما خفتهم عليه . فما أحوجهم إلى ما منعتهم ، وما أغناك عما منعوك . وستعلم من الرابح غداً ، والأكثر حُسَّداً . ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا ، ولا يؤنسنك إلا الحق ، ولا يوحشنك إلا الباطل . فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها لأمنوك .

فواقعة أبي ذر « رحمه الله » وإخراجه إلى الربذة ، أحد الأحداث التي نقمت على الخليفة عثمان .ولما أخرج أبو ذر إلى الربذة ، أمر الخليفة ، فنودي في الناس: ألا يكلم أحد أبا ذر ، ولا يشيعه .

وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به ( بغير وطاء ) . فخرج به ، وتحاماه الناس إلا الامام علي بن أبي طالب « عليه السلام » ، وعقيلاً أخاه ، وحسناً وحسيناً « عليهما السلام » ، وعماراً (والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن عباس ) ، فإنهم خرجوا معه يشيعونه .

فجعل الحسن « عليه السلام » يكلم أبا ذر ، فقال له مروان : إيهاً يا حسن ! ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ! ( وفي نص ابن أعثم : وتقدم علي « عليه السلام » إلى أبي ذر فجعل يعزيه فيما قد نزل به ، ويأمره بالصبر والاحتساب إلى وقت الفرج . قال : وتقدم مروان بن الحكم إلى علي « عليه السلام » فقال : أليس قد أمر أمير المؤمنين أن لا يخرج أحد مع هذا الشيخ ، ولا يشيعه أحد من الصحابة ؟ ! ) .

فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك . فحمل علي « عليه السلام » على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته ، وقال : تنح نحاك الله إلى النار !. فرجع مروان مغضباً إلى عثمان : فأخبره الخبر ، فتلظى على الامام علي « عليه السلام » . ووقف أبو ذر فودعه القوم ، ومعه ذكوان مولى أم هانئ بنت أبي طالب .

قال ذكوان : فحفظت كلام القوم - وكان حافظاً - فقال علي « عليه السلام » : يا أبا ذر ، إنك غضبت لله ! إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك . فامتحنوك بالقلى ، ونفوك إلى الفلا ، والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً ، ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً . يا أبا ذر لا يؤنسنك إلا الحق ، ولا يوحشنك إلا الباطل . ثم قال لأصحابه : ودعوا عمكم .

وقال لعقيل : ودع أخاك . فتكلم عقيل ، فقال : ما عسى أن نقول يا أبا ذر ، وأنت تعلم أنا نحبك ، وأنت تحبنا ! فاتق الله ، فإن التقوى نجاة ، واصبر فإن الصبر كرم ، وأعلم أن استثقالك الصبر من الجزع ، واستبطاءك العافية من اليأس ، فدع اليأس والجزع . ثم تكلم الحسن ، فقال : يا عماه ، لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت ، وللمشيع أن ينصرف ، لقصر الكلام وإن طال الأسف ، وقد أتى القوم إليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها ، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك « صلى الله عليه وآله » وهو عنك راض .

ثم تكلم الامام الحسين « عليه السلام » ، فقال : يا عماه ، إن الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى ، والله كل يوم هو في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك ، فما أغناك عما منعوك ، وأحوجهم إلى ما منعتهم ! فأسال الله الصبر والنصر ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين والكرم ، وإن الجشع لا يقدم رزقاً ، والجزع لا يؤخر أجلاً . ثم تكلم عمار « رحمه الله » مغضباً ، فقال : لا آنس الله من أوحشك ، ولا آمن من أخافك . أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك ، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك ، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا ، والجزع من الموت ، مالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه ، والملك لمن غلب ، فوهبوا لهم دينهم ، ومنحهم القوم دنياهم ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين !

فبكى أبو ذر « رحمه الله » ، وكان شيخاً كبيراً ، وقال : رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ! إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، إني ثقلت على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين ، فأفسد الناس عليهما ، فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله . والله ما أريد إلا الله صاحباً ، وما أخشى مع الله وحشة.

ورجع القوم إلى المدينة ، فأرسل إليه الخليفة عثمان الاى الامام علي (عليه السلام)، فدعاه ، فجاء الامام علي « عليه السلام » إلى الخليفة عثمان ، فقال له : ما حملك على رد رسولي ، وتصغير أمري ؟ !

فقال علي « عليه السلام » : أما رسولك ، فأراد أن يرد وجهي فرددته ، وأما أمرك فلم أصغره .

قال : أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذر ؟ !

قال : أوكلما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه ؟ !

فغضب الخليفة عثمان ، فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار ، وإلى بنى أمية ، يشكو إليهم عليا « عليه السلام » ، فقال القوم : أنت الوالي عليه ، وإصلاحه أجمل . قال : وددت ذاك . فأتوا علياً « عليه السلام » ، فقالوا : لو اعتذرت إلى مروان وأتيته ! فقال : كلا ، أما مروان فلا آتيه ولا أعتذر منه ، ولكن إن أحب عثمان أتيته . فرجعوا إلى عثمان ، فأخبروه

فأرسل عثمان إليه ، فأتاه ومعه بنو هاشم ، فتكلم الامام علي « عليه السلام » ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما ما وجدت عليَّ فيه من كلام أبي ذر ووداعه ، فوالله ما أردت مساءتك ، ولا الخلاف عليك ، ولكن أردت به قضاء حقه . وأما مروان فإنه اعترض ، يريد ردى عن قضاء حق الله عز وجل ، فرددته رد مثلي مثله . وأما ما كان منى إليك ، فإنك أغضبتني ، فأخرج الغضب منى ما لم أرده .

فتكلم الخليفة عثمان ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما ما كان منك إلي فقد وهبته لك ، وأما ما كان منك إلى مروان ، فقد عفا الله عنك ، وأما ما حلفت عليه فأنت البر الصادق ، فأدن يدك . فأخذ يده فضمها إلى صدره .

**عبد الله بن مسعود**

وهو الذي كان صاحب بيت المال في الكوفة ، وقد كان يعترض على والي الخليفة عثمان الوليد بن عقبة - وهو أخوه لأمه - بسبب عدم إرجاعه المال الذي يستدينه من بيت مال المسلمين ، ولكثرة إدمانه الخمر ، حتى أنه صلى الصبح بالناس أربع ركعات وهو سكران ، ثم التفت إلى الناس وقال : أزيدكم ؟ ولكن عبد الله بن مسعود هو الذي عوقب أولا " من الخليفة لاعتراضه على الوليد حيث قال له عثمان : ( إنما أنت خازن لنا ) ثم أمر غلمانه بضربه حتى لاقى كسرا " في أضلاعه .

وبعد كثرة تذمر الناس من تصرف الخليفة هذا ، أمر بإقامة الحد على الوليد. ومما يجدر ذكره أن الوليد بن عقبة كان من الذين أسلموا بعد فتح مكة ، وكلفه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات مرة بجباية صدقات بني المصطلق ، إلا أنه بعد أن وصل حدود المنطقة التي تسكنها هذه القبيلة خاف لسبب ما ورجع إلى المدينة ، وكذب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقول أن بني المصطلق رفضوا دفع الزكاة وأرادوا قتله ، فغضب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) وأرسل إليهم جيشا " لقتالهم ، وكادت أن تقع واقعة كبرى لولا أن رؤساء بني المصطلق علموا بالأمر وجاءوا إلى المدينة ليخبروا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) أنه لم يأتهم أحد لجباية الزكاة ، فنزل قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما " بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ) ، عندما أصبح عثمان خليفة ، عزل عن ولاية الكوفة سعد بن أبي وقاص بطل القادسية ، وعين بدلا " منه هذا الفاسق .

**وقد**أخرج البلاذري في الأنساب ، قال : حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي مخنف وعوانة في إسنادهما : أن عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال : من غير غير الله ما به . ومن بدل أسخط الله عليه ، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل ، أيعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولى الوليد ؟ !

وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو : إن أصدق القول كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . فكتب الوليد إلى الخليفة عثمان بذلك وقال : إنه يعيبك ويطعن عليك ، فكتب إليه الخليفة عثمان يأمره بإشخاصه ، فاجتمع الناس فقالوا : أقم ونحن نمنعك لن يصل إليك شيء تكرهه . فقال : إن له علي حق الطاعة ، ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن . وفي لفظ أبي عمر : إنها ستكون أمور وفتن ، لا أحب أن أكون أول من فتحها . فرد الناس. وخرج إليه .

قال البلاذري : وشيعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ، ولزوم القرآن . فقالوا له : جزيت خيرا فلقد علمت جاهلنا ، وثبت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، فنعم أخو الاسلام أنت ، ونعم الخليل . ثم ودعوه وانصرفوا . وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، فلما رآه قال : ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة سوء ، من يمشي على طعامه ، يقيء ويسلح .

فقال ابن مسعود : لست كذلك ، ولكني صاحب رسول الله « صلى الله عليه وآله » يوم بدر ، ويوم بيعة الرضوان .

ثم أمر الخليفة عثمان به فأخرج من المسجد إخراجا عنيفا ، وضرب به عبد الله ابن زمعة الأرض ، ويقال : بل احتمله « يحموم » غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض ، فدق ضلعه .

فقال الامام علي (عليه السلام) : يا عثمان ! أتفعل هذا بصاحب رسول الله « صلى الله عليه وآله » بقول الوليد بن عقبة ؟ ! فقال : ما بقول الوليد فعلت هذا ، ولكن وجهت زبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة .

وقال البلاذري : وقام علي بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي ، وأراد حين برئ الغزو فمنعه من ذلك . وقال له مروان : إن ابن مسعود أفسد عليك العراق ، أفتريد أن يفسد عليك الشام ؟ ! فلم يبرح المدينة حتى توفي قبل مقتل عثمان بسنتين ، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين.

**عمار بن ياسر وأسباب ضرب الخليفة عثمان له :**

روى عباس بن هشام الكلبي ، عن أبي مخنف في إسناده : أنه كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حلي وجوهر ، فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله . فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكل كلام شديد حتى غضب فخطب ، وقال : لنأخذن حاجتنا من هذا الفئ وإن رغمت أنوف أقوام .

فقال له الامام علي « عليه السلام » : إذا تمنع من ذلك ، ويحال بينك وبينه . فقال عمار : أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك .

فقال الخليفة عثمان : أعلي - يا بن ياسر وسمية - تجترئ ؟ ! خذوه . . فأخذوه ، ودخل عثمان فدعا به ، وضربه حتى غشي عليه ، ثم أخرج فحمل إلى منزل أم سلمة زوج النبي « صلى الله عليه وآله » فلم يصل الظهر والعصر والمغرب ، فلما أفاق توضأ وصلى . وقال : الحمد لله ، ليس هذا أول يوم أوذينا فيه في الله تعالى .

فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان عمار حليفاً لبني مخزوم - : يا عثمان ! أما علي فاتقيته . وأما نحن فاجترأت علينا ، وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلن به رجلا من بني أمية عظيم الشأن .

فقال الخليفة عثمان : وإنك لها هنا يا بن القسرية ! . قال : فإنهما قسريتان - وكانت أمه وجدته قسريتين من بجيلة - ، وأمر به فأخرج ، فأتي به السيدة أم سلمة ، فإذا هي قد غضبت لعمار .

وروى آخرون : أن السبب في ذلك : أن الخليفة عثمان مر بقبر جديد ، فسأل عنه ، فقيل : عبد الله بن مسعود . فغضب على عمار لكتمانه إياه موته - إذ كان المتولي للصلاة عليه والقيام بشأنه - فعندها وطئ عثمان عماراً حتى أصابه الفتق .

وروى آخرون : أن المقداد ، وطلحة ، والزبير ، وعماراً وعدة من أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وآله » كتبوا كتاباً ، عددوا فيه أحداث عثمان ، وخوفوه ربه ، وأعلموه أنه مواثبوه إن لم يقلع ، فأخذ عمار الكتاب فأتاه به ، فقرأ منه صدراً .

فقال الخليفة عثمان : أعلي تقدم من بينهم ؟ ! فقال : لأني أنصحهم لك . فقال : كذبت يا بن سمية ! . فقال : أنا والله ابن سمية وأنا ابن ياسر . فأمر غلمانه فمدوا بيديه ورجليه ، ثم ضربه عثمان برجليه - وهما في الخفين - فأصابه الفتق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه .

وهناك رواية تقول : إن السبب في ضرب الخليفة عثمان لعمار حتى أصيب بالفتق هو الكتاب الذي كتبه عشرة من الصحابة . . حيث اتهمه عثمان بأنه يجتري عليه من بينهم . . وتقدم قولهم : إن سبب ضربه لعمار هو قضية ابن مسعود . ورواية ثالثة تذكر : أن السبب هو إعلانه إيثار بني أمية . فهل الأسباب الثلاثة قد حصلت في أوقات متقاربة ، فضربه عثمان عندها ، فحكي ضربه له ، وأسنده كل راو إلى سبب منها ؟ !

مع كل تلك الممارسات التي قام بها الخليفة عثمان وأقاربه بانتهاكات كثيرة، فقد كان فضلاء الصحابة يحاولون نصح الخليفة ، ولكن دون جدوى ، وكانت تأتيه الوفود من الأقاليم تحمل معها رسائل احتجاج ومطالبات معينة ، فكانت ترفض بشدة في كل مرة ، ولا يعطي الخليفة لها أية قيمة أو انتباه . فلم يكن مستغربا " بعد كل ذلك أن تثور ثورة الثائرين ، والذين تزعم حركتهم أناس من مصر ، والكوفة ، والبصرة ، حيث تبادلوا الاتصالات فيما بينهم سرا " ، حتى توجهوا بعدد يزيد على الألفين ، وحاصروا الخليفة لمدة أربعين يوما ، وطالبوا بعزله . إلا أن عثمان رفض التفاوض معهم .

وعند اشتداد الحصار عليه ، قام باستشارة عبد الله بن عمر بالأمر ( وكأن فكرة التنازل قد بدأت تراوح في ذهنه ) فأشار عليه ابن عمر بالبقاء في الحكم قائلا " : ( لا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام ، كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه ) .

وبعد ذلك اقتحم الثوار القصر وقتلوا الخليفة ، وبقي جسده مسجى على الأرض لثلاثة أيام دون أن يدفن - كما سنرى- .

**بدء التحرك** :

ان الخليفةعثمان كان لا يريد سماع الشكوى في الوقت الذي كان فيه الامام علي « عليه السلام » كلما اشتكى الناس عثمان أرسل ابنه الإمام الحسن « عليه السلام » إليه ، فلما كثر عليه ، قال له : إن أباك يرى : أن أحداً لا يعلم ما يعلم ؟ ! ونحن أعلم بما نفعل . فكف « عليه السلام » عنه

كما ان الامام علي « عليه السلام » كان هو الملجأ والملاذ للناس الذين يرون أنه هو الذي يتفهم آمالهم المشروعة ، ويعيش ويشعر بآلامهم . . ولذلك كان هو موضع شكواهم ، والمرجع في الملمات والمهمات لهم . و إن شكوى الناس إلى أمير المؤمنين « عليه السلام » من الخليفة عثمان قد تكررت بتكرر موجباتها . . و إن علياً « عليه السلام » لم يكن يهمل شكاوى الناس هذه ، بل كان يوصلها إلى الخليفة باستمرار ويطالبه بالعمل على معالجة مناشئها ، إلى أن سد الخليفة عثمان الباب أمامه .

و إنه « عليه السلام » كان يرسل ولده الإمام الحسن صلوات الله وسلامه لانه يريد أن يطمئن الخليفة عثمان إلى أنه ليس بصدد التشهير به ، ولا يرمي إلى إشاعة تلك المخالفات عنه . . كما أنه بذلك يكون قد أظهر قدراً من الاحترام لعثمان ، لكونه أرسل إليه ولده ، وأعز وأكرم الناس عليه ، ولما له من وقع في نفس الخليفة عثمان ، وأقرب إلى حصول الإنعطاف في موقفه.

لكن الغريب هنا : هو جواب الخليفةعثمان الذي لم يتضمن أية إشارة إلى صحة أو سقم ما يقال فيه ، ولا أي تبرير للمؤاخذات التي تؤخذ عليه وعلى عماله ، ولا تضمن ولو وعداً بمراجعة هذا الأمر أو النظر في تلك الشكاوى . . كما أنه لم يشكر جهود الامام علي « عليه السلام » لتسديده ونصحه ، ولم يقل له : لا تتدخل في هذا الأمر . . ولم يهاجم منتقديه ، والشاكين له . . بل بادر إلى الهجوم على أمير المؤمنين « عليه السلام » بالذات ، واتهمه بما يشير إلى أنه مغرور بنفسه ، وأنه يرى أن أحداً لا يعلم ما يعلم . . فلماذا هذا التسرع للمساءة ، وسد أبواب الصلاح والإصلاح .

هذا مع ما ادعى لنفسه أنه أعلم بما يفعل . . فدل بذلك على أنه لم يكن غافلاً ، ولا جاهلاً بعواقب ما يقدم عليه . . ودل أيضاً على إصراره على مواصلة طريقه ، وعلى أنه لن يصغي لنصح أحد ، فكان لا بد من الكف عن مراودته فيه . .

ثم إن الخليفة عثمان كان قد دعا علياً "عليه السلام"، فقال : يا أبا الحسن ، إنك لو شئت لاستقامت عليَّ هذه الأمة ، فلم يخالفني واحد .

فقال علي « عليه السلام » : لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها ما استطعت أن أدفع عنك أكف الناس ، ولكني سأدلك على أمر هو أفضل مما سألتني : تعمل بعمل أخويك : أبي بكر وعمر ، وأنا لك بالناس ، لا يخالفك أحد.

و إنه « عليه السلام » لم يشر على عثمان بأن يعمل بسنة رسول الله « صلى الله عليه وآله » . . وهي التي وجد الخليفة أبو بكر نفسه - ولو ظاهراً - ملزماً بعدم تخطيها في كثير من الأمور ، ولا سيما في موضوع قسمة الأموال مثلا ثم سار عليها الخليفة عمر برهة من خلافته ، ثم تجاوزها - إنه « عليه السلام » لم يشر عليه بذلك - لأنه لا يجد لدى الخليفة عثمان حافزاً قوياً للعمل بهذه السنّة ، كما أننا نعلم أن العمل بسنة أبي بكر وعمر هو الشرط الذي أنيطت به خلافته حين أفضت إليه . . فهو يخشى أن يتطرق التشكيك إلى شرعية حكمه ، إذا ظهر أنه أخل بهذا الشرط ، ولم يعمل بسيرة الشيخين . . ولذلك ألزمه « عليه السلام » بما الزم به نفسه.

إن قول الخليفة عثمان لعلي(عليه السلام) : لو شئت لاستقامت علي هذه الأمة إلخ . . يدل على أن علياً « عليه السلام » رغم كل الحرب التي شنها عليه أعداؤه ، لتشويه سمعته ، والتستر على فضائله قد ذهب ذكره في الخافقين ، وأصبحت الأمة كلها شاهدة على فضله ، مقرة بعظيم منزلته . . وله عظيم الأثر فيهم بإقرار عثمان نفسه .

**تازم الاوضاع ووقوع الخليفةعثمان في مأزق :**

لما كانت سنة 34 هـ كتب أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وآله » بعضهم إلى بعض : أن اقدموا ، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد . وكثر الناس على الخليفة عثمان ، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، وأصحاب رسول الله « صلى الله عليه وآله » يرون ويسمعون ؛ ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نفير ، ( منهم ) زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت . فاجتمع الناس ، وكلموا علي بن أبي طالب "عليه السلام". فدخل على الخليفة عثمان ، فقال : الناس ورائي ، وقد كلموني فيك ، والله ما أدري ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وما خصصنا بأمر دونك ، وقد رأيت وسمعت ، وصحبت رسول الله « صلى الله عليه وآله » ونلت صهره . وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك ، وإنك أقرب إلى رسول الله « صلى الله عليه وآله » رحماً ، ولقد نلت من صهر رسول الله « صلى الله عليه وآله » ما لم ينالا ، ولا سبقاك إلى شيء . فالله الله في نفسك ، فإنك والله ما تُبَصَّر من عمى ، ولا تُعَلَّم من جهل ، وإن الطريق لواضح بين ، وإن أعلام الدين لقائمة . تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل ، هُدي وهَدى ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة متروكة ، فوالله إنَّ كُلّاً لبَيِّن ، وإن السنن لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وان شر الناس عند الله إمام جائر ، ضَلَّ وضُلَّ به فأمات سنة معلومة ، وأحيا بدعةً متروكة ، وإني سمعت رسول الله « صلى الله عليه وآله » يقول : « يؤتي يوم القيامة بالإمام الجائر ، وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في جهنم ، فيدور في جهنم كما تدور الرحى ، ثم يرتطم في غمرة جهنم » . وإني أحذرك الله ، وأحذرك سطوته ونقماته ، فان عذابه شديد أليم . وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنه يقال : يقتل في هذه الأمة إمام ، فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس أمورها عليها ، ويتركهم شيَعاً ، فلا يبصرون الحق لعلو الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً . (زاد في بعض المصادر قوله : فلا تكونن لمروان سيقة ، يسوقك حيث شاء ، بعد جلال السن ، وتقضِّي العمر ) .

فقال الخليفةعثمان : قد والله علمت ، ليقولن الذي قلت ، أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ، ولا أسلمتك ، ولا عبت عليك ، ولا جئت منكراً أن وصلت رحماً ، وسددت خلة ، وآويت ضائعاً ، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي . أنشدك الله يا علي ، هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ! قال : نعم . قال : فتعلم أن عمر ولاه . قال : نعم . قال : فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ قال علي « عليه السلام » : سأخبرك ، إن عمر بن الخطاب كان كل من ولى فإنما يطأ على صماخه ، إن بلغه عنه حرف جلبه ، ثم بلغ به أقصى الغاية ، وأنت لا تفعل ، ضعفت ورققت على أقربائك .

قال الخليفة عثمان : هم أقرباؤك أيضاً . فقال علي « عليه السلام » : لعمري إن رحمهم مني لقريبة ، ولكن الفضل في غيرهم . قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها ؟ فقد وليته . فقال علي « عليه السلام » : أنشدك الله ، هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه ؟ ! قال : نعم . قال علي « عليه السلام » : فإن معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس : هذا أمر عثمان ، فيبلغك ، ولا تغير على معاوية .

ثم خرج الامام علي (عليه السلام)من عنده ، وخرج عثمان على أثره ( وفي نص المفيد : فلما كان بعد أيام عاد إليه أمير المؤمنين « عليه السلام » فوعظه فجلس على المنبر ، فقال : أما بعد . . فإن لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة ، عيابون طعانون ، يرونكم ما تحبون ، ويسرون ما تكرهون ، يقولون لكم ويقولون ، أمثال النعام يتبعون أول ناعق ، أحب مواردها إليها البعيد ، لا يشربون إلا نغصاً ولا يردون إلا عكراً ، لا يقوم لهم رائد ، وقد أعيتهم الأمور ، وتعذرت عليهم المكاسب . ألا فقد والله عبتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأت لكم كنفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم علي . أما والله لأنا أعز نفراً ، وأقرب ناصراً ، وأكثر عدداً ، وأَقْمَنٌ ، إن قلت هلم أتى إلي ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولاً ، وكشرت لكم عن نابي ، وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ، ومنطقا لم أنطق به ، فكفوا عليكم ألسنتكم ، وطعنكم وعيبكم على ولاتكم ، فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا . ألا فما تفقدون من حقكم ؟ ! والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ، ومن لم تكونوا تختلفون عليه . فضلَ فضلٌ من مال ، فما لي لا أصنع في الفضل ما أريد ! فلم كنت إماماً ؟ ! فقام مروان بن الحكم ، فقال : إن شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف فقال عثمان : اسكت لاسكت ، دعني وأصحابي ، ما منطقك في هذا ! ألم أتقدم إليك ألا تنطق ! فسكت مروان ، ونزل الخليفةعثمان .

**لقد** **تضمن هذا النص أموراً ، نذكر منها ما يلي :**

أن الصحابة هم الذين أرسلوا يدعون الناس إلى قدوم المدينة لأجل الجهاد مستفيدين من تعابير تشير إلى وضوح الأمور لديهم إلى حد أنهم صاروا يرون إرسال الجنود للجهاد ضد خليفتهم أولى من إرسالهم لجهاد الكفار . . مما يعني أنهم يرون عثمان أعظم خطراً من الكفار على الإسلام والمسلمين ، لا سيما وأنهم حصروا الجهاد بالمدينة ، ولم يعد يوازيه جهاد الأعداء على الثغور ، بل وأصبح هو الجهاد ، وما عداه ليس جهاداً أصلاً . . قد يقال : لعل الباعث على ذلك أنه بلغهم أن الخليفةعثمان أرسل إلى معاوية في الشام يستنصره ، وأرسل إلى غير معاوية من ولاته على الأمصار يستنجد بهم ، فأرادوا أن يقابلوا الجيش بجيش مثله . وربما أرادوا أن يشاركهم غيرهم من المسلمين من أهل الأمصار توسيعاً لقاعدة المعارضة وتحاشياً لمعاذير ، مثل : أن لا يقال إن الخارجين على الخليفة عثمان هم مجرد عصابة وشرذمة من المشاغبين المتمردين العاصين ، الذين لا يخضعون لمنطق ، ولا ينقادون لشرع . وقد يقال : لا يكفي لتبرير هذه الحدة والشدة في التعاطي هو أنهم - والعياذ بالله - قد حكموا بكفرالخليفة عثمان فإن ذلك لا يجعل الجهاد منحصراً بالمدينة ، ولا يزيل صفة الجهاد عن قتال الأعداء على الثغور .

**الذابون عن الخليفةعثمان :**

أن الناهين للناس عن الثورة ، والذابين عن الخليفةعثمان هم مجرد نفير ( أي قلة قليلة جداً لا تصلح لإطلاق كلمة نفر عليها ) منهم : زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت . . فأين باقي الصحابة عنه ؟ ! و أن بعضهم يئس من الصلاح والإصلاح . . وبعضهم الآخر رأى منه ما يسوءه ، وما دعاه لمنابذته . . أما علي « عليه السلام » فرغم أنه قد عانى معه الأمرّين ، وواجه أشد الأذايا مما لم يواجهه أحد من الخليفةعثمان . . وكان عالماً بأنه لا ينزع ولا يرجع ، فإنه واصل محاولاته معه . . إقامة منه للحجة ، واستنفاداً للوسع ، ودفعاً لما هو أعظم ، وتقليلاً للخسائر ، التي لا بد أن تنجم عن سياسات الخليفة عثمان ومن معه ، ثم عن أعمال المناوئين له والثائرين عليه . . و أن قوله « عليه السلام » لعثمان : « ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه » . وقوله : « إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وما خصصنا بأمر دونك ، وقد رأيت وسمعت ، وصحبت رسول الله « صلى الله عليه وآله » الخ . . » . يدل على أن علياً « عليه السلام » لم يكن أعلم من الخليفةعثمان . . وهو خيال زائف ، فإن مقصوده « عليه السلام » : هو بيان أن الأمور التي ينقمها الناس على عثمان ، ويريد « عليه السلام » أن يكلمه فيها هي من الواضحات التي يعرفها الخليفةعثمان وغيره . .

ومعنى ذلك : أن الخليفةعثمان لا يرتكب ما يرتكبه بسبب جهله بأحكام تلك الأمور. ومن المعلوم : أن توضيح الواضحات من أشكل المشكلات ، وموعظة العالم بالأمر ، وصرف الإنسان عن فعل يرتكبه وهو عالم بكل حيثياته وأحكامه أمر محير وصعب . ولذلك قال له « عليه السلام » : والله ما أدري ما أقول لك ! ! وقال : « ولا أدلك على أمر لا تعرفه » . أي مما ينقمه الناس عليه ، ويؤاخذونه به . وهكذا يقال بالنسبة لسائر الفقرات . وأما قوله « عليه السلام » : « ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه » ، فهو ناظر إلى الأحداث والسياسات التي كانت في عهد رسول الله « صلى الله عليه وآله » . . ويفترض بالخليفةعثمان أن يتأسى برسول الله « صلى الله عليه وآله » فيها . . فإنه كان - كغيره من الصحابة - يرى ويسمع قول وفعل وسياسات رسول الله « صلى الله عليه وآله » . . فلماذا يعمل بخلاف ما رآه وسمعه ؟ !

**موقف الخليفة عثمان :**

لقد اختلفت النصوص في حقيقة موقف الخليفة عثمان ، فطائفة من المصادر ومنها نهج البلاغة تقول : إن الخليفة عثمان قال لعلي « عليه السلام » كلم الناس أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم . . فقال « عليه السلام » : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه . .

وزاد المفيد قوله : فقال له عثمان : والله ، قد علمت ما تقول ، أما والله لو كنت بمكاني ما عنفتك ، ولا ثلبتك ، ولا عبت عليك ، ولا جئت منكراً ، ولا عملت سوءاً ، إن وصلت رحماً ، أو سددت خلة . .

وغير ذلك من الروايات ولعل الحقيقة هي صحة جميع ما ورد ، فقد عرفنا أن الخليفةعثمان كان يعد بالإصلاح ، ثم سرعان ما يتراجع عثمان عن رأيه ، ويتخذ موقفاً مضاداً . والظاهر : أن هذا هو ما حدث هنا ، فإنه خطب الناس وتهددهم وعنفهم حسبما تقدم ، وسارت الأمور بعد ذلك في هذا الاتجاه . .

**و من خلا ل خطاب الخليفةعثمان نفهم موقفه بوضوح والذي تضمن ما يلي :**

أراد أن يستفيد من عناوين براقة ، وشعارات رنانة لا تسمن ولا تغني من جوع ، فهو يقول إنه لم يأت منكراً حين وصل رحمه بعطاياه الجزيلة لأقربائه ، فهو كان يعلم : أن أحداً لا يلومه على صلة رحمه لو أنه وصلهم من ماله . . ولكنهم يلومونه على إعطاء أقاربه مئات الألوف من بيت مال المسلمين . .

وإن سد خلة المحتاج إنما تكون بما يساويه بسائر الناس من أقرانه ، لا بإعطائه مئات آلاف الدراهم والدنانير من بيت المال ، والمئات من إبل الصدقة ، ثم بأن يحمي الحمى لأقاربه دون سائر المسلمين ! !

وهل كان الذين أعطاهم تلك العطايا الجزيلة والجليلة من أهل الخلة ؟ ! الذين لا يملكون قوت يومهم ؟ ! أم أنهم كانوا يملكون الأموال الطائلة ، ولديهم منها الأكداس الهائلة ، وعندهم من الأراضي ، والدور والقصور ، ما لا يمكن إخفاؤه ، أو التستر عليه ؟ !

**حصار الخليفة عثمان**

**تحرك مالك الأشتر في أهل الكوفة :**

كان الأشتر وجماعة معه يعيشون في الشام ، فكتب جماعة من أهل الكوفة إلى الأشتر ، وهو في الشام يطلبون منه القدوم عليهم ، فقدم هو وأصحابه ، فدخلوا الكوفة . قال ابن أعثم : ثم خرج الأشتر فعسكر بالجرعة بين الكوفة والحيرة ، وبعث بعائذ بن حملة الظهري ، فعسكر في طريق البصرة في خمسمائة فارس ، وبعث حمزة بن سنان الأسدي إلى عين التمر فعسكر هنالك ، ليكون مسلحة فيما بينه وبين أهل الشام في خمسمائة فارس ، وبعث بعمرو بن أبي حنة الوداعي إلى حلوان وما والاها في ألف فارس ، وبعث يزيد بن حجية التيمي إلى المدائن وكوخي وما والاها في سبعمائة فارس .

كما أرسل كعب بن مالك الأرحبي إلى مكان يدعى العذيب مع خمسمائة فارس وأمره قائلا ، إن جاء سعيد بن العاص من المدينة أميرا على الكوفة فأعده ، ولا تسمح له بدخول الكوفة ، وخذ كل ما معه من مال ومتاع ، وضعه أمانة في منزل الوليد بن عقبة في الكوفة .

وحين علم الخليفة بذلك ( وقد بلغه ما صنعه الأشتر ) ضاق صدره بذلك ، واعتبر أن هذا العمل كان بتحريض أو تأييد من علي « عليه السلام » وقال : لا أعلم ماذا أفعل مع علي الذي يظهر محاسني للناس على شكل نقائص ، ويحرض الناس علي وعلى عمالي.

ثم ذكر ابن أعثم : أن عثمان عاد فأرسل سعيد بن العاص إلى الكوفة ، فلم يستطع أن يدخلها ، وعاد إليه خائفاً .

إن هذا الذي جرى يبيّن لنا الموقع المتميز للأشتر لدى أهل العراق ، حتى إن أهل الكوفة لم يقدموا على أي تحرك ذي بال باتجاه والي الكوفة إلا بعد أن كتبوا إلى الأشتر رضوان الله تعالى عليه ليقدم من بالشام . . فلما قدم عليهم وأصحابه كان هو القائد والمدبّر ، والمهيمن على الأمور . . فلما بلغ الخليفة عثمان ما صنعه الأشتر ضاق صدره ، واتهم علياً « عليه السلام » بأنه هو المحرّض على ذلك . . دون أن يكون لديه حجة أو شاهد على ما يتوهمه فيه .

**تحرك اهل مصر واحداث يوم الدار:**

لقد أنكرصحابة رسول الله « صلى الله عليه وآله » وسائر الناس عليه امورا، ولم يطيقوها منه . . ومنها تولية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر عدة سنين ، فتولاهم بالعسف والظلم . وقدم أهل مصر إلى عثمان يشكونه ، ويتظلمون منه ، فأرسل إليه ينهاه عن الاستمرار في سياسته تلك ، فأبى ابن أبي سرح الانتهاء عما نهي عنه ، وضرب رجلاً ممن أتوا الخليفة عثمان فقتله . فخرج من أهل مصر سبع مئة رجل إلى المدينة ، فنزلوا المسجد ، وشكوا إلى الصحابة ما صنع ابن أبي سرح . .

ودخل عليه علي « عليه السلام » ، وكان متكلم القوم ، وقال : إنما سألوك رجلاً مكان رجل ، وقد ادعوا قبله دماً ، فاعزله عنهم ، واقض بينهم .

وانتهى الأمر بصرف ابن أبي سرح ، وتولية محمد بن أبي بكر ، فأرسله إلى مصر ، ومعه جمع من الصحابة ، فلما كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير ، ففتشوه ، وأخرجوا منه كتاباً من عثمان إلى ابن أبي سرح يأمره فيه بقتل محمد بن أبي بكر ومن معه ، وقطعهم ، وصلبهم . فرجعوا به إلى المدينة ، فاغتم أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وآله » من ذلك . ودخل علي « عليه السلام » وجماعة على الخليفة عثمان ، ومعهم الكتاب والغلام ، والبعير . . إلى أن تقول الرواية : فقال له علي « عليه السلام » : هذا الغلام غلامك ؟ ! قال : نعم . والبعير بعيرك ؟ ! قال : نعم . . والخاتم خاتمك ؟ ! قال : نعم . قال : فأنت كتبت الكتاب ؟ قال : لا . إلى أن قالت الرواية : فعرفوا أنه خط مروان ، وسألوه أن يدفع إليهم مروان ، فأبى

وفي نص آخر عند الطبري وغيره : أنهم قالوا له : فالكتاب كتاب كاتبك ؟ قال : أجل ، ولكنه كتبه بغير أمري ؟ قالوا : فإن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك ؟ قال : أجل ، ولكنه خرج بغير إذني . قالوا : فالجمل جملك . قال : أجل ، ولكنه أخذ بغير علمي .

قالوا : ما أنت إلا صادق أو كاذب ، فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع ، لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها . وإن كنت صادقاً ، فقد استحققت أن تخلع ، لضعفك ، وغفلتك ، وخبث بطانتك ، لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته . إلى آخر ما ذكرته الرواية من احتجاجات لهم عليه

وفي نص ثالث يفصل ما جرى فيقول :

فأرسل الخليفةعثمان إلى الامام علي بن أبي طالب « عليه السلام » ، فدعاه فقال : يا أبا الحسن ، أنت لهؤلاء القوم ، فادعوهم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ، واكفني مما يكرهون . فقال له علي « عليه السلام » : إن أعطيتني عهد الله وميثاقه أنك توفي لهم بكل ما أعطيهم فعلت ذلك . فقال عثمان : نعم يا أبا الحسن ، اضمن لهم عني جميع ما يريدون . قال : فأخذ الامام علي « عليه السلام » عليه عهداً غليظاً ، وميثاقاً مؤكداً ، ثم خرج من عنده فأقبل نحو القوم ، فلما دنا منهم قالوا : ما وراءك يا أبا الحسن فإننا نجلك . فقال : إنكم تعطون ما تريدون ، وتعافون من كل ما أسخطكم ، ويولى عليكم من تحبون ، ويعزل عنكم من تكرهون . فقالوا : ومن يضمن لنا ذلك ؟ ! قال علي « عليه السلام » : أنا أضمن لكم ذلك . فقالوا : رضينا . قال : فأقبل علي « عليه السلام » إلى الخليفة عثمان ، ومعه وجوه القوم وأشرافهم ، فلما دخلوا عاتبوه ، فأعتبهم من كل ما كرهوا ، فقالوا : اكتب لنا بذلك كتاباً ، وأدخل لنا في هذا الضمان علياً بالوفاء لنا بما في كتابنا . فقال الخليفة : اكتبوا ما أحببتم ، وأدخلوا في هذا الضمان من أردتم . قال : فكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله ، عثمان بن عفان أمير المؤمنين لجميع من نقم عليه من أهل البصرة ، والكوفة ، وأهل مصر ، أن لكم عليَّ أن أعمل فيكم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد « صلى الله عليه وآله » ، وأن المحروم يعطى ، والخائف يؤمن ، والمنفي يرد ، وأن المال يرد على أهل الحقوق ، وأن يعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أهل مصر ، ويولى عليهم من يرضون .

قال : فقال أهل مصر : نريد أن تولي علينا محمد بن أبي بكر . فقال عثمان : لكم ذلك . ثم أثبتوا في الكتاب : وأن علي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين بالوفاء لهم بما في هذا الكتاب . شهد على ذلك الزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، وأبو أيوب خالد بن زيد . وكتب في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين . قال : فأخذ أهل مصر كتابهم وانصرفوا ، ومعهم محمد بن أبي بكر أميراً عليهم ، حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة ، وإذا هم بغلام أسود على بعير له ، يخبط خبطاً عنيفاً ، فقالوا : يا هذا ! اربع قليلاً ما شأنك ؟ ! كأنك هارب ، أو طالب ، من أنت ؟ ! فقال : أنا غلام أمير المؤمنين عثمان ، وجهني إلى عامل مصر . فقال له رجل منهم : يا هذا ! فإن عامل مصر معنا . فقال : ليس هذا الذي أريد . فقال محمد بن أبي بكر : أنزلوه عن البعير ، فحطوه ، فقال له محمد بن أبي بكر : أصدقني غلام من أنت ؟ ! قال : أنا غلام أمير المؤمنين . قال : فإلى من أرسلت ؟ ! قال : إلى عبد الله بن سعد عامل مصر . قال : وبماذا أرسلت ؟ ! قال : برسالة . قال محمد بن أبي بكر : أفمعك كتاب ؟ ! قال : لا . قال : فقال أهل مصر : لو فتشناه أيها الأمير ، فإننا نخاف أن يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ، ففتشوا رحله ، ومتاعه ، ونزعوا ثيابه حتى عروه ، فلم يجدوا معه شيئاً ، وكانت على راحلته إداوة فيها ماء ، فحركوها فإذا فيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرج فلم يخرج .

فقال كنانة بن بشر التجيبي : والله ! إن نفسي لتحدثني : أن في هذه الإداوة كتاباً . فقال أصحابه : ويحك ! ويكون كتاب في ماء ؟ قال : إن الناس لهم حيل ، فشقوا الإداوة ، فإذا فيها قارورة مختومة بشمع ، وفي جوف القارورة كتاب ، فكسروا القارورة ، وأخرجوا الكتاب ، فقرأه محمد بن أبي بكر ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين ، إلى عبد الله بن سعد . أما بعد . . فإذا قدم عليك عمرو بن يزيد بن ورقاء ، فاضرب عنقه صبراً . وأما علقمة بن عديس البلوي ، وكنانة بن بشر التجيبي ، وعروة بن سهم الليثي ، فاقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ودعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا ، فإذا ماتوا فأصلبهم على جذوع النخل . وأما محمد بن أبي بكر فلا يقبل منه كتابه ، وشد يدك به ، واحتل في قتله ، وقر على عملك حتى يأتيك أمري إن شاء الله تعالى . . قال : فلما قرأ محمد بن أبي بكر الكتاب رجع إلى المدينة هو ومن معه ، ثم جمع أصحاب النبي « صلى الله عليه وآله » وقرأ عليهم الكتاب ، وأخبرهم بقصة الكتاب . قال : فلم يبق بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان ، واشتد حنق بني هذيل خاصة عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود ، وهاجت بنو مخزوم لأجل صاحبهم عمار بن ياسر ، وكذلك غفار لأجل صاحبهم أبي ذر .

ثم إن علياً « عليه السلام » أخذ الكتاب وأقبل حتى دخل على عثمان ، فقال له : ويحك لا أدري على ماذا أنزل ! استعتبك القوم فأعتبتهم بزعمك ، وضمنتني ، ثم أخفرتني وكتبت فيهم هذا الكتاب ! قال : فنظر عثمان في الكتاب ، ثم قال : ما أعرف شيئاً من هذا . فقال علي « عليه السلام » : الغلام غلامك أم لا ؟ ! قال عثمان : بل هو والله غلامي ، والبعير بعيري ، وهذا الخاتم خاتمي ، والخط خط كاتبي . قال علي « عليه السلام » : فيخرج غلامك على بعيرك بكتاب وأنت لا تعلم به ؟ ! فقال عثمان : حيرتك يا أبا الحسن ! وقد يشبه الخط الخط ، وقد تختم على الخاتم ، ولا والله ما كتبت هذا الكتاب ، ولا أمرت به ، ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر . فقال علي « عليه السلام » : لا عليك فمن نتهم ؟ ! قال : أتهمك ، وأتهم كاتبي . قال علي « عليه السلام » : بل هو فعلك وأمرك ، ثم خرج من عنده مغضباً . قال : وعرف الناس الخط أنه خط مروان ، وإنما كتبه عن غير علم عثمان ، ومروان كان كاتب عثمان ، وخاتم عثمان في إصبع مروان .

وشك الناس في مروان . قال : ثم خرج الخليفة عثمان بن عفان إلى المسجد ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! لا تتهموني في هذا الكتاب ، ولا تظنوا أني كتبته ، فإنكم إن قلتم ذلك أثمتم ، فوالله ما كتبته ، ولا أمرت به ، والآن فإنكم تعطون الحق ، ويعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه محمد « صلى الله عليه وآله » ، حتى ترضوا وتعتبوا .

فوثب إليه كنانة بن بشر التجيبي ، فقال : يا عثمان ! إننا لا نرضى بالصفة دون العمل ، قد عاتبناك فأعتبتنا بزعمك ، فكتبت لنا بالوفاء إلى ذلك كتاباً ، وأشهدت شهوداً ، وأعطيتنا عهد الله وميثاقه ، ثم إنك كتبت فينا ما كتبت !

فقال الخليفة عثمان : إني لم أكتب ، وقد حلفت لكم ، وليس يجب علي شيء هو أكبر من اليمين . فقال كنانة بن بشر : إننا لا نصدقك على يمينك .

ثم وثب كثير بن عبد الله الحارثي ، فقال : يا عثمان ! أتظن أنك تنجو منا وقد فعلت ما فعلت ؟ فقال الخليفةعثمان : يا سبحان الله ! أما لهذا أحد يكفينيه ؟

فقام إليه موالي الخليفة عثمان فأثخنوهم ضرباً ، ثم إنهم حصبوا عثمان من كل جانب حتى نزل عن المنبر ، وقد كاد أن يغشى عليه ، فحملوه حملاً حتى أدخلوه إلى منزله .

ودخل عليه نفر من الصحابة يتوجعون له لما نزل به .فلما كان من غد جلس الخليفة عثمان وكتب إليهم كتاباً ، نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين المسلمين ، سلام عليكم . . أما بعد . . فإني أذكركم الله الذي أنعم عليكم بالإسلام ، وهداكم من الضلال ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم اليسار ، وأوسع عليكم في الرزق ، وبصركم من العمى ، ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) ، ( وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ) ، فاتقوا الله ! ( وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ) ، ( وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ) ( وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ) ( إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . ألا ! وقد علمتم أن الله تعالى رضي لكم السمع والطاعة ، وحذركم المعصية والفرقة ، وتقدم إليكم في ذلك لتكون له الحجة عليكم إن عصيتموه ، فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عذابه ، فإنكم لم تجدوا أمة هلكت من قبلكم إلا من بعد ما اختلفت ، ولم يكن لها رأس يجمعها ، ومتى تفعلون بي ما قد أزمعتم عليه فإنكم لا تقيمون صلاة جميعاً ، ولا تخرجون زكاة جميعاً ، ويسلط عليكم عدوكم ، ويستحل بعضكم حرمات بعض ، ثم تكونوا شيعاً ، كما قال الله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ) .

ألا وإني أوصيكم بما أوصاكم الله به ، وأحذركم بما حذركم الله به من عذابه ، فقد علمتم أن شعيباً « عليه السلام » لما نسبه قومه إلى الشقاق قال الله تعالى : ( لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ) . واعلموا أيها الناس ! أني قد أنصفتكم وأعطيتكم من نفسي الرضا ، على أن أعمل فيكم بالكتاب والسنة ، وأسير فيكم بالسيرة ، وأعزل عن أمصاركم من كرهتم ، وأولي عليكم من أحببتم ، وأنا أضمن لكم من نفسي أن أعمل فيكم بما كانا يعملان الخليفتان من قبلي جهدي وطاقتي ، فقد علمتم أن من تولى أمر الرعية يصيب ويخطئ ، وكتابي هذا معذرة إلى الله وإليكم ، ويتصل إليكم مما كرهتم \* ( وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) . فاكتفوا مني بهذا العهد \* ( إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ) ، وإني أتوب إلى الله من كل شيء كرهتموه ، وأستغفره من ذلك ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله ، وقد تبت إلى الله من كل ما كرهتموه ، فإن رحمته وسعت كل شيء . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فلما جاءهم كتاب الخليفة عثمان ، وقرأوا لم يقبلوا شيئاً مما وعظهم به ، ثم نادوا من كل ناحية ، وأحاطوا بداره وخاصموه ، وعزموا على قتله وخلعه . وخشي أن يعالجه القوم فيقتل ، فكتب إلى عبد الله بن عامر بن كريز ، وهو الأمير بالبصرة ، وإلى معاوية بن أبي سفيان ، وهو أمير الشام بأجمعها ، فكتب إليهم عثمان نسخة واحدة : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد . . فإن أهل البغي ، والسفه ، والجهل ، والعدوان من أهل الكوفة ، وأهل مصر ، وأهل المدينة قد أحاطوا بداري ، ولم يرضهم شيء دون قتلي أو خلعي سربالاً سربلنيه ربي . ألا ! وإني ملاق ربي فأعني برجال ذوي نجدة ورأي ، فلعل ربي يدفع بهم عني بغي هؤلاء الظالمين الباغين علي ، والسلام .

وأما معاوية ، فإنه أتاه بالكتاب المسور بن مخرمة ، فقرأ لما أتاه ثم قال : يا معاوية ! إن عثمان مقتول ، فانظر فيما كتبت به إليه . فقال معاوية : يا مسور ! إني مصرح أن عثمان بدأ فعمل بما يحب الله ويرضاه ، ثم غير فغير الله عليه ، أفيتهيأ لي أن أرد ما غير الله عز وجل . وأما عبد الله بن عامر فإنه لما ورد عليه كتاب عثمان نادى في أهل البصرة ، فجمعهم ثم قال : أيها الناس ! إن أمير المؤمنين كتب إلي يخبرني أن شرذمة من أهل الكوفة ، وأهل المدينة ، وأهل مصر نزلوا بساحته ، فأعطاهم من نفسه النصفة ، ودعاهم إلى الحق ، فلم يقبلوا ذلك منه . وإنه كتب إلي يسألني أن أبعث إليه منكم نفراً من أهل الدين والصلاح ، فلعل الله أن يدفع بكم عنه ظلم الظالمين ، وعدوان المعتدين .

فأمسك الناس عنه ولم يجبه أحد منهم بشيء . وعلم أهل المدينة ، وأهل الكوفة ، وأهل مصر : أن الخليفة عثمان قد كتب إلى أهل الشام وأهل البصرة يستنجدهم ، فكبس عليهم ، فلجوا في حصاره ، ومنعوه من الماء ، فأشرف عليهم من جدار داره . ثم قال : أيها الناس ! هل فيكم علي بن أبي طالب ؟ ! قالوا : لا ، فسكت ونزل . وبلغ ذلك علياً « عليه السلام » وهو في منزله ، فأرسل إليه بغلامه قنبر ، فقال : انطلق إلى عثمان فسله ماذا يريد . فجاء قنبر إلى الخليفة عثمان ، فدخل وسلم ثم قال : إن مولاي أرسلني إليك يقول لك : ما الذي تريد ؟ فقال الخليفةعثمان : أردته أن يوجه إلي بشيء من الماء فإني قد منعته ، وقد أضر بي العطش ، وبمن معي في هذه الدار ! فرجع قنبر إلى علي فأخبره بذلك ، فأرسل إليه الامام علي"عليه السلام" ثلاث قرب من الماء مع نفر من بني هاشم ، فلم يتعرض لهم أحد حتى دخلوا على الخليفة عثمان ، فأوصلوا إليه الماء ، فشرب وشرب من كان معه في الدار .

ودخل عمرو بن العاص على الخليفةعثمان مسلماً ، فقال له الخليفةعثمان : يا بن العاص ! وأنت أيضاً ممن توليت على الناس فيما بلغني ، وتسعى في الساعين علي حتى قد أضرمتها وأسعرتها ثم تدخل مسلماً علي ! فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ! إنه لا خير لي في جوارك بعد هذا ، ثم خرج عمرو من ساعته ، ومضى حتى قد صار إلى الشام ، ونزل بأرض فلسطين ، وكان بها مقيماً .

ثم أقبل الخليفة عثمان حتى أشرف على الناس ثانية فسلم عليهم ، فردوا عليه سلاماً ضعيفاً ، فقال الخليفة : أفيكم طلحة ؟ قال : نعم ها أنا ذا .

فقال عثمان : سبحان الله ! ما كنت أظن أن أسلم على جماعة أنت فيهم ، ولا ترد علي السلام . فقال طلحة : إني قد رددت عليك .

فقال الخليفة عثمان : لا والله ما ذلك لك يا أبا محمد ! إني أسمعتك السلام ، ولم تسمعني الرد . قال : وسمع الخليفة بعضهم يقول : لا نقتله ولكنا نعزله .

فقال الخليفة عثمان : أما عزلي فلا يكون ، وأما قتلي فعسى ، وأنا أرجو أن ألقى الله وبأسكم بينكم . قال : وتكلم رجل من الأنصار يقال له : مجمع بن جارية ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أخاف والله أن يقتل هذا الرجل . فقال له رجل من الصحابة : وإن قتل ، فماذا والله نبي مرسل ، ولا ملك مقرب !

والخليفة عثمان مشرف من جدار داره يسمع ذلك . فقال أههنا سعد بن أبي وقاص ؟ أههنا الزبير بن العوام ؟ فقالا : نعم ، نحن ههنا فقل ما تشاء ! فقال : ناشدتكم الله تعالى جميعاً بالذي لا إله إلا هو ، هل تعلمون أن النبي « صلى الله عليه وآله » قال يوماً : « من يبتاع لي مربد بني فلان غفر الله له » . فابتعته ثم أتيت النبي « صلى الله عليه وآله » ، فقلت : يا رسول الله ! إني قد ابتعت لك مربد فلان . فقال : « اجعله في المسجد وأجره لك » ، ففعلت ذلك ؟ ! فقالوا : قد كان ذلك .

قال الخليفة عثمان : اللهم اشهد ! ثم قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، هل تعلمون أن النبي « صلى الله عليه وآله » قال يوماً : « من يبتاع بئر رومة غفر الله له » ، فابتعتها ، فقال النبي « صلى الله عليه وآله » : « اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك » ، ففعلت ذلك ؟ ! فقالوا : قد كان ذلك .

قال الخليفة عثمان : اللهم اشهد ! ثم قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو . هل تعلمون أن النبي « صلى الله عليه وآله » نظر ذات يوم في وجوه أصحابه وذلك في يوم جيش العسرة ، فقال : « من جهز هؤلاء غفر الله له » ، فجهزتهم حتى ما فقدوا خطاماً ولا عقالاً ؟ ! فقالوا : قد كان كل الذي ذكرت ، ولكنك غيرت وبدلت .

فقال الخليفة عثمان : يا سبحان الله ! ألستم تعلمون أنكم دعوتم الله ربكم يوم توفي عمر بن الخطاب أن يختارني لكم ؟ قالوا : بلى . قال عثمان : فما ظنكم بالله تبارك وتعالى ، أتقولون : إنه لم يستجب لكم وهنتم عليه ؟ أم تقولون : إنه هان عليه هذا الدين فلم يبال من ولاه أمره ؟ ! أم تقولون : إن الله لم يعلم ما في عاقبة أمري ، حين كنت في بعض أمري محسناً ، ثم إني أحدثت من ذلك ما أسخط الله عز وجل ؟ فهل لا عافاكم الله ؟ فقد تعلمون ما لي من الفضائل الشريفة ، والسوابق الجميلة مع رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، فارتدعوا عما قد أزمعتم عليه من قتلي ، فإنكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ، ثم لم يرفعه الله عز وجل عنكم أبداً إلى يوم القيامة . فاتقوا الله ، فإني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد « صلى الله عليه وآله » ، وهذه مفاتيح بيوت أموالكم ادفعوها إلى من شئتم ، وأمروا على أمصاركم من أحببتم ، وأنتم معتبون من كل ما ساءكم . وأما ما ادعيتم علي أني كتبت فيكم فهاتوا بينتكم ، وإلا فأنا أحلف لكم بالله العظيم أني ما كتبت هذا الكتاب ، ولا أمرت به .

فنادته قوم من المصريين : يا هذا ، إننا قد اتهمناك ، فاعتزلنا وإلا قتلناك . فسكت الخليفة عثمان ، وتكلم زيد بن ثابت ، وكان إلى جانب الخليفة عثمان ، فقال : ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ).

فصاح به الناس : يا زيد ! إن عثمان قد أشبعك من أموال الأرامل ، ولا بد لك من نصره . فنزل الخليفة عثمان من موضعه ذلك إلى داره ، واقبل إليه عبد الله بن سلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إن حقك اليوم على كل مسلم كحق الوالد على الولد ، فأمرني بأمرك ! فقال له الخليفة عثمان : تخرج إلى هؤلاء القوم تكلمهم ، فعسى الله تبارك وتعالى أن يجري على يديك خيراً ، أو يدفع بك شراً . فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس ، فلما نظروا إليه ظنوا أنه إنما جاء ليكون معهم ، فرحبوا به وأوسعوا له في المجلس ، فلما جلس حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد « صلى الله عليه وآله » ، ثم وعظهم وذكرهم وقال : أيها الناس ! إن الله تبارك وتعالى اختار من الأديان كلها دين الاسلام ، ثم اختار لدينه رسولاً جعله بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، ثم اختار له من البقاع المدينة ، فجعلها دار الهجرة ودار الإسلام ، فلم تزل الملائكة تحف بها مذ سكنها رسوله محمد « صلى الله عليه وآله » إلى يومكم هذا ، وما زال سيف الله مغموداً عنكم . فأنشدكم الله أن لا تطردوا جيرانكم من الملائكة ، وأن لا تسلوا سيف الله المغمود ، فإن لله عز وجل سيفاً لم يسله قط على قوم حتى يسلوه على أنفسهم ، فإذا سلوه لم يغمده عنهم إلى يوم القيامة . فإياكم وقتل هذا الشيخ ! فإنه خليفة ، ووالله ! ما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفاً من أمته عقوبة لهم ، ولا قتل خليفة من بعده إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً ، فاتقوا الله ربكم في هذا الشيخ .

فنادوه من كل جانب : كذبت يا يهودي ! فقال عبد الله بن سلام : بل كذبتم أنتم ، لست بيهودي ، ولكني تركت اليهودية وتبرأت منها ، واخترت الله ورسوله ، و دار الهجرة والسلام ، وقد سماني الله تبارك وتعالى بذلك مؤمناً ، فقال عز وجل فيما أنزل على نبيه محمد « صلى الله عليه وآله » (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ). ولقد أنزل الله تعالى آية أخرى إذ يقول الله عز وجل : ( قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ).

ثم وثب عبد الله بن سلام من عند القوم ، فصار إلى لخليفة عثمان ، فأخبره بذلك ، فبقي عثمان لا يدري ما يصنع . وعزمت السيدة عائشة على الحج ، وكان بينها وبين عثمان قبل ذلك كلام ، وذلك أنه أخر عنها بعض أرزاقها إلى وقت من الأوقات فغضبت ، ثم قالت : يا عثمان ! أكلت أمانتك وضيقت رعيتك ، وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك ، لا سقاك الله الماء من فوقك ، وحرمك البركة من تحتك ! أما والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك قوم ذو ثياب وبصائر يذبحوك كما يذبح الجمل . فقال لها الخليفة عثمان : ( ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ).

وكانت السيدة عائشة تحرض على قتل الخليفة عثمان وتقول : أيها الناس ! هذا قميص رسول الله « صلى الله عليه وآله » لم يبل وبليت سنته ، اقتلوا نعثلاً ، قتل الله نعثلاً . فلما نظرت عائشة إلى ما قد نزل بعثمان من إحصار القوم له قربت راحلتها ، وعزمت على الحج . فقال لها مروان بن الحكم : يا أم المؤمنين ! لو أنك أقمت لكان أعظم لأجرك ، فإن هذا الرجل قد حوصر فعسى الله تبارك وتعالى أن يدفع بك عن دمه !

فقالت : الآن تقول هذا وقد أوجبت الحج على نفسي ، لا والله لا أقمت .

وأقبل سعيد بن العاص على الخليفة عثمان فقال : يا أمير المؤمنين ! أرى لك من الرأي أن تخرج على القوم ، وأنت ملب كأنك تريد الحج ، فإني أرجو أن لا يتعرضوا لك إذا نظروا إليك ملبياً ، ثم تأتي مكة ، فإذا أتيتها لم يقدم عليك أحد بما تكرهه . فقال عثمان : لا والله ، لا أختار على هذه المدينة التي أختارها الله تعالى لرسوله محمد « صلى الله عليه وآله » .

فقال له سعيد بن العاص الثقفي : يا أمير المؤمنين ! فإني أخيرك بثلاث خصال فاختر واحدة . قال الخليفة عثمان : وما ذلك ؟ قال : إما أن تقاتل القوم وتجاهدهم ، فنقاتل معك حتى نفني أرواحنا . قال عثمان : ما أريد ذلك . قال : فتركب نجائبك حتى تأتي الشام ، فإن بها معاوية ، وهو ابن عمك ، وبها شيعتك وأنصارك . قال عثمان : والله لا أريد ذلك ! قال : فأقلك على نجائبي حتى أقدم بك البصرة ، فإن بها قوماً من الأزد ، وفيهم معروف لي ، وهم لي شاكرون ، فتنزل بين أظهرهم فيمنعوك . فقال عثمان : لا والله لا خرجت من المدينة كائناً في ذلك ما كان.

ودعا علي بابنه الحسن (عليهم السلام) وقال : انطلق يا ابني إلى عثمان ، فقل له : يقول لك أبي : أفتحب أن أنصرك ! فأقبل الحسن "عليه السلام" إلى الخليفة عثمان برسالة أبيه ،الا انه رفض .

وقد كان طلحة بن عبيد الله قد استولى على حصار الخليفة عثمان مع نفر من بني تيم ، وبلغ ذلك الخليفة عثمان فأرسل إلى الامام علي"عليه السلام" بهذا البيت : فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمزق أترضى أن يقتل ابن عمك وابن عمتك ، ويسلب نعمتك وأمرك ؟ فقال علي « عليه السلام » : صدق والله عثمان !

ثم خرج الامام علي"عليه السلام" إلى الناس ، فصلى بهم الظهر والعصر ، وتفرق الناس عن طلحة ، ومالوا إلى علي"عليه السلام" ، فلما رأى طلحة ذلك أقبل حتى دخل على الخليفة عثمان فاعتذر إليه مما كان منه . فقال له الخليفة عثمان : يا بن الحضرمية ! وليت على الناس ودعوتهم إلى قتلي ، حتى إذا فاتك ما كنت ترجو وعلاك علي « عليه السلام » على الأمر جئتني معتذراً ، لا قبل الله ممن قبل منك .

فخرج طلحة من عنده ، وأشرف الخليفة عثمان على الناس ، فقال : أيها الناس ! إن لي من رسول الله « صلى الله عليه وآله » نصيباً جليلاً وسابقة في الإسلام ، وأنا وال مجتهد ، وإن أخطأت في الإجتهاد أو تعمدت فأقبلوا مني ، فإني أتوب إلى الله تعالى وأستغفره مما كان مني .

فشتمه المصريون خاصة شتماً قبيحاً . فتكلم زيد بن ثابت ، وقال : يا معشر الأنصار ! إنكم قد نصرتم النبي « صلى الله عليه وآله » ، فكنتم أنصار الله ، فانصروا خليفته اليوم لتكونوا أنصار الله مرتين ، فتستحقوا الأجرين .

فناداه جبلة بن عمرو الساعدي وقال : كلا والله يا زيد ! لا يقبل ذلك منك ، ولا نحب أن نكون عند الله غداً من أولئك الذين قالوا : ( إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ) ، والله يا زيد ! إذا لم يبق من عمره إلا من بين العصر إلى الليل ، لتقربنا إلى الله بدمه .

وبادر رجل من القوم إلى شيء من الحطب ، فأضرم فيه النار ، وجاء به حتى وضعه في إحدى البابين ، فاحترق الباب وسقط . ودفع الناس الباب الثاني فسقط أيضاً . فلما نظر الخليفة عثمان إلى الباب وقد احترق ، قال لمن عنده في الدار : ما أحرق الباب إلا لأمر هو أعظم من إحراقه . ثم اقتحم الناس الدار على عثمان وهو صائم ، وذلك لثماني عشرة أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً خلت من مقتل الخليفة عمر بن الخطاب .

والتفت الخليفة عثمان إلى الحسن بن علي"عليهم السلام" وهو جالس عنده ، فقال : سألتك بالله يا بن الأخ إلا ما خرجت ! فإني أعلم ما في قلب أبيك من الشفقة عليك . فخرج الامام الحسن بن علي « عليه السلام » ، وخرج معه عبد الله بن عمر.

**إصرار الخليفة عثمان على عدم القبول بالخلع .**

لقد شحذ مروان عزيمة الخليفة على هذا الإصرار . فلم يسمح له بأن يتراجع عن شيء مما طلب منه التراجع عنه . . وعدم إنجاد معاوية له بالجيوش حتى قتل - إن ذلك كله - لم يأت من فراغ ، بل الظاهر أنهم فكروا في الأمر ، فظهر لهم : إن عزل الخليفة عثمان معناه : أن لا يبقى أمل للأمويين بالخلافة ، لأن الناس سوف يستهينون بهم ، ويذلونهم ، ولا يبقى لهم قيمة ولا شأن . و إن ذلك قد يمهد الطريق لملاحقة كل ذلك الفريق بالجرائم التي ارتكبوها ، والمآثم التي مارسوها . وستسترد الأموال التي استولوا عليها ، وسيعزلون من مناصبهم . بل قد تنال العقوبة الخليفة المخلوع نفسه ، وكان هو أعرف الناس بما صدر منه ، وبما يأخذونه عليه ، أو يطالبونه به . إن قتل الخليفة عثمان سيكون هو الأكثر نفعاً لمعاوية ومروان وسواهما من بني أمية ، لأنه يفسح المجال لإثارة الشبهة في الناس ، وادعاء مظلوميته ، ورفع شعار المطالبة بدمه ، ويمكِّنهم من تخيُّر النخبة الإيمانية في سياساتهم الإنتقامية .

ومن نبل الامام علي (عليه السلام) في محاصرة المسلمين لعثمان ، قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسية : ( أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلا ونهارا ، وطلحة يحرض الفريقين جميعا على عثمان . ثم إن طلحة قال لهم : إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه ، وهو يدخل إليه الطعام والشراب ، فامنعوه الماء أن يدخل عليه ) ! وفي شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي (عن الزبير أنه قيل له ( أي لطلحة ) إن عثمان محصور وإنه قد منع الماء ! فقال : وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ) .وعلى اية حال قيل للامام علي (عليه السلام): إن عثمان قد منع الماء ، فأمر بالماء اليه ، وجاء للناس (عليه السلام) فصاح بهم صيحة فانفرجوا ، فدخل الماء ، فلما رأى علي اجتماع الناس ووجوههم ، دخل على طلحة بن عبيد الله وهو متكئ على وسائد ، فقال : إن هذا الرجل مقتول فامنعوه . فقال : أما والله ، دون أن تعطي بنو أمية الحق من أنفسها ) !

ولايخفى ان الخليفة عثمان أرسل وهو محاصر رسالة مع عبد الله بن عباس إلى علي (عليه السلام) ، يسأله فيها الخروج إلى أرضه بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال عليه السلام : يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملا ناضحا بالغرب ، أقبل وأدبر ! بعث إلي أن أخرج ، ثم بعث إلي أن أقدم ، ثم هو الآن يبعث إلي أن أخرج ! والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما.

كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين للخلافة ، أي ينادون به وعثمان محصور ، فأرسل إليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع ، وكان فيها رزق لأمير المؤمنين فخرج ، ثم استدعاه لينصره فحضر ، ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية ) .

وقد نصح أمير المؤمنين (عليه السلام ) الخليفة عثمان مرات ، نصيحة مشفق على المسلمين وعليه ، كما توسط مرات بينه وبين الصحابة والتابعين الشاكين ، وكان عليه السلام يعطي الرأي الشرعي في حل المشكلة ، ولكن حاشية عثمان خاصة مروان بن الحكم ، كانوا يخربون ما يصلحه علي عليه السلام ! وكانت آخر وساطات علي (عليه السلام) بين عثمان والوفد المصري الواسع- كما تم توضيحه

وقد قتل الخليفة عثمان و الامام علي(عليه السلام) بأرض له يقال لها البغيبغة ، فوق المدينة بأربعة فراسخ ، فأقبل علي (عليه السلام) ودخل إلى المدينة ساعة قتل عثمان بن عفان فمال إلى حديقة بني النجار ، وعلم الناس بمكانه فجاؤوا إليه ركضا وقد كانوا عازمين على أن يبايعوا طلحة بن عبيد الله ، فلما نظروا إليه ارفضوا إليه ارفضاض الغنم يشد عليها السبع ، فبايعه طلحة ثم الزبير ، ثم بايع المهاجرون والأنصار .

**اما عن الصلاة بالناس في اللحظات الأخيرة وقتل الخليفة:**

تقول بعض الرويات : أن المؤذن جاء إلى علي « عليه السلام » في اليوم الذي منع فيه الخليفة عثمان الصلاة ، فقال من يصلي بالناس ؟ فقال : ادع أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد . فدعاه ، فصلى بالناس . فصلى أياماً ، ثم صلى الامام علي"عليه السلام" بعد ذلك بالناس.

والذي صلى بالناس الجمعة والعيد حتى قتل أبي أيوب الأنصاري عثمان هو علي « عليه السلام » كما صرحت به بعض النصوص. وثمة نص آخر يقول : إنه « عليه السلام » أمر سهل بن حنيف ، فصلى اليوم الذي حصر فيه عثمان الحصر الآخر بالناس ، وهو ليلة أول ذي الحجة إلى يوم العيد . ثم صلى علي"عليه السلام" بالناس العيد .

**مقتل الخليفة عثمان : -**

لما مضت أيام التشريق ، أطافوا بدارالخليفة عثمان ، وأبى إلا الإقامة على أمره . وأرسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم . فقام رجل من أصحاب النبي ( صلى الله عليه وآله ) يقال له : نيار بن عياض - وكان شيخا كبيرا فنادى : يا عثمان فأشرف عليه من أعلى داره ، فناشده الله ، وذكره الله لما اعتزلهم . فبينا هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم ، وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي . فقالوا لعثمان عند ذلك : ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض ؛ فلنقتله به .

الا انه رفض . فلما رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه ، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار الخليفةعثمان في جماعة ، وخرج سعيد بن العاص في جماعة ، وخرج المغيرة بن الأخنس ابن شريق الثقفي - حليف بني زهرة - في جماعة ، فاقتتلوا قتالا شديدا . وكان الذي حداهم على القتال أنه بلغهم أن مددا من أهل البصرة قد نزلوا صرارا - وهي من المدينة على ليلة ، وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين ، فقاتلوهم قتالا شديدا على باب الدار .

وألقى الناس النيران في أبواب دار عثمان ، فاحترق بعضها . وذكر : أن أحد الرجلين - كنانة بن بشر التجيبي - ضربه بعمود على جبهته ، والآخر منهما - سعد بن حمران المرادي ضربه بالسيف على حبل عاتقه ، فحله . وهناك من طعنه بسهام تسع طعنات . وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمي التميمي بسيفه في بطنه .

مع العلم ان مدة ما حوصر الخليفة عثمان في داره كانت تسعة وأربعين يوما ، وقيل : أكثر من ذلك . وقتل في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة .

وحمل جثمان الخليفة عثمان الذي كان مطروحاً ثلاثة أيام ، فقال رجل من المصريين لا ندفنه إلا في مقابر اليهود ! قال حكيم بن حزام : كذبت أيها المتكلم ! لا يكون ذلك أبداً ما بقي رجل من ولد قصي . قال : فحُمل عثمان على باب صغير ، قد جازت رجلاه من الباب ، وأتي به إلى حفرته ، فتقدم حكيم بن حزام فصلى عليه .

وقد دفن عثمان في حش كوكب - بستان بظاهر المدينة خارج البقيع ، لرجل اسمه كوكب-

ولم يحرك حكيم بن حزام ولا غيره من بني أمية ساكناً ، ولم يقتل أحد من ولد قصي في سبيل المنع من ذلك بل هم لم يحضروا لتشييع جنازته ، ولا شهدوا دفنه .

فلما ظهر معاوية على الأمرة ، أمر بذلك الحائط ، فهدم وأدخل في البقيع ، وأمر الناس فدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل بمقابر المسلمين بالبقيع.

**خلافة امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب( عليه السلام)(35هـ- 40هـ)**

**تاريخ بيعة الإمام(عليه السلام):**

اختلف المؤرّخون وكتّاب السيرة في تعيين التاريخ الدقيق لبيعة الناس للإمام ( عليه السلام) ، فقال البعض : إنّها حصلت في اليوم الذي قُتل فيه الخليفة عثمان . وقال آخرون : إنّها وقعت بعد قتل عثمان بفترة ؛ واختلفوا في تحديدها بين اليوم الواحد والخمسة أيّام .

فورد في بعض المصادر التاريخيّة : انه" بويع عليّ يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجّة والناس يحسبون من يوم قتل عثمان " . وجاء ايضا أنّ بيعة الناس كانت يوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة ( 35 هـ ) .

ويبدو أنّ القول الثاني أقرب إلى الواقع ؛ حيث أنّه يلائم القول باتّحاد تاريخ قتل الخليفة عثمان - الذي هو 18 ذي الحجّة على أصحّ الأقوال - مع تاريخ بيعة الإمام (عليه السلام)، مضافاً إلى تصريح العديد من المصادر. ومن جهة أُخرى إذا لاحظنا الشرائط السياسيّة الحاكمة على المجتمع الإسلامي آنذاك ، ولاحظنا شخصيّة الإمام العديمة النظير ، فإنّه يبعد - غاية البُعد - وقوع فاصل زماني بين قتل الخليفة عثمان وتعيين القائد الجديد للأُمّة .

**مبدأ الحرّية في انتخاب الإمام (عليه السلام):**

من الواضح ان عملية اختيار الامام لمنصب الخلافة جاء بطريقة اختيارية .ولعل في كتاب الإمام عليّ ( عليه السلام ) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة اشارة واضحة الى ذلك اذ قال:

بايعني الناس غير مستكرهين ، ولا مجبرين ، بل طائعين مخيّرين .

وفي الفتوح : ان عمّار بن ياسر أقبل إلى عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الناس قد بايعوك طائعين غير كارهين ، فلو بعثت إلى أُسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمّد بن مسلمة وحسّان بن ثابت وكعب بن مالك فدعوتَهم ؛ ليدخلوا فيما دخل فيه الناس من المهاجرين والأنصار ! فقال عليّ ( رضي الله عنه ): إنّه لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا .

**كراهة الإمام (عليه السلام) لتولي منصب الخلافة:**

لقد اشار ا الإمام عليّ ( عليه السلام ) - في خطبته بعد البيعة – الى كراهيته لتولي منصب الخلافة بقوله :

أمّا بعد ، فإنّي قد كنتُ كارهاً لهذه الولاية - يعلم الله في سماواته وفوق عرشه - على أُمّة محمّد ( صلى الله عليه وآله ) ، حتى اجتمعتم على ذلك ، فدخلتُ فيه .

فقداجتمع المهاجرون والأنصار - فيهم طلحة والزبير - وأتوا للامام ، قائلين : يا أبا حسن ، هلمّ نبايعك !

فقال : لا حاجة لي في أمركم ، أنا معكم ؛ فمن اخترتم فقد رضيتُ به ، فاختاروا والله !

فقالوا : ما نختار غيرك .

وقد اختلفوا إليه بعدما قُتل الخليفة عثمان مراراً ، ثمّ أتوه في آخر ذلك ، فقالوا له : إنّه لا يصلح الناس إلاّ بإمرة ، وقد طال الأمر !

فقال لهم : إنّكم قد اختلفتم إليَّ وأتيتم ، وإنّي قائلٌ لكم قولاً إن قبلتموه قبلتُ أمركم ، وإلاّ فلا حاجة لي فيه .

قالوا : ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله . فجاء فصعد المنبر ، فاجتمع الناس إليه ، فقال : إنّي قد كنتُ كارهاً لأمركم ، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم ، ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم ، إلاّ أنّ مفاتيح مالكم معي ، ألا وإنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم ، رضيتم ؟ قالوا : نعم . قال : اللهمّ اشهَد عليهم . ثمّ بايعهم على ذلك

وفي محاولة منه (عليه السلام)لدفع الامر عنه انه قال:

دَعُوني والتمسوا غيري ؛ فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول . وإنّ الآفاق قد أغامت ، والمحجّة قد تنكّرت ، واعلموا أنّي إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم ، ولم أُصغِ إلى قول القائل ، وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلّي أسمعكم وأطوَعكم لمن ولّيتموه أمرَكم ، وأنا لكم وزيراً ، خير لكم منّي أميراً .

وما قوله " فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً ".الا اشارة واضحة عن سياسة الامام (عليه السلام)الصريحة بتقديم يد العون والمساعدة الممكنة لمن سيولونه خليفة عليهم .

الا ان القوم قالوا : لا ، والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك . عندها طلب منهم (عليه السلام)بان لا تكون بيعته خفيّاً وانما في المسجد ؛ فإنّ ، ولا تكون إلاّ عن رضا المسلمين .

**ماهي الأسباب التي دفعت بالامام (عليه السلام) لكراهة قبول منصب الخلافة؟**

كانت الثورة على عثمان - بسبب ممارساته في الحكم - عامّة شاملة ، وقد أفضى شمول الثورة وتطلّع الناس إلى شخصيّة بارزة للخلافة إلى أن تكون مقدّرات الخلافة خارجة من قبضة التيّارات المتباينة ؛ أي أنّ الناس أنفسهم كانوا أصحاب القرار في اختيار القائد السياسي . وكانت القلوب بأسرها يومئذ تتشوّف إلى الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وحده بلا أدنى تردّد ، فقد كان أكفَأ إنسان لخلافة النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) ، وها هو اسمه تردّده الألسن وإن زُوي مدّةً دامت خمساً وعشرين سنةً . وكان الإقبال الشعبي العامّ إليه بنحو لم يتَسَنَّ لأحد أن يخالفه فيه قطّ . من هنا شعر مدّعو الخلافة - الذين كانوا يزعمون أنّهم نظائره ( عليه السلام ) ، وكانوا معه في الشورى السداسيّة - أنّ الحنكة السياسيّة تتطلّب المبادرة إلى بيعته والسبق إليها . وكانت الأمواج البشريّة العارمة تنثال عليه من كلّ جانب لبيعته ، بَيْد أنّه ( عليه السلام ) وقف بحزم وصرامة ورفضَ البيعة ، وطلب من الناس أن يَدَعوه ويلتمسوا غيره ، وقال لهم : " أنا لكم وزيراً خيرٌ لكم منّي أميراً " .

ومن العجيب أنّ الرجل الذي كان يرى نفسه الخليفة المباشر للنبيّ ( صلى الله عليه وآله ) ، وما برح يعرض ظلامته ويتحدّث عن أهليّته وجدارته للخلافة خلال المدّة الطويلة لإزوائه كلّما اقتضى المقام منه ذلك ، وكان يصرخ من وحي الحرقة والألم ومن أعماق قلبه متأوّهاً لاستلاب حقّه ، وزحزحة الحقّ عن مكانه . . . ها هو الآن يرفض البيعة ، وقد انثال عليه الناس انثيالاً عجيباً مدهشاً ، مقبلين عليه بقلوبهم وأرواحهم وبكلّ وجودهم ، راضين به خليفةً لهم ، مؤكّدين تصدّيه لحكومتهم في انتخاب حرٍّ مباشر ! فما له يكره ذلك ، ويرغب عن قبول هذه المهمّة ؛ معلناً ذلك بصراحة ؟ !

ولماذا وقف الإمام ( عليه السلام ) هذا الموقف ؟

هل رغب عنها حقّاً لنفسه ورجّح لها شخصاً آخر أم أنّه أراد بموقفه هذا أن يعبّر مثلاً عن شيء من المجاملة السياسيّة - ومثله لا يجامل - من أجل أن يسترعي انتباه الناس أكثر فأكثر ، أو كان لموقفه الثُّنائي هذا مسوِّغ أو مسوِّغات أُخرى لا نعرفها ؟ !

والواقع أنّ معرفة - ولو يسيرة - بسيرته وأُسلوبه وبصيرته ونهجه ( عليه السلام ) لا تدَع مجالاً للشكّ في أنّه كان بعيداً عن المجاملات السياسيّة ، نافراً من نفس الحكومة بما هي حكومة . فهو لم يكن طالبَ حكم وتسلّط على الناس ؛ إذ الخلافة عنده أداة لإحقاق الحقّ ، وبسط العدل ، وإقامة القسط ، فهل كانت الظروف السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة آنذاك مهيّأة لتحقيق الأهداف المذكورة ؟ كلاّ ، إنّ مثل هذه الظروف لم تكن مهيّأة ؛

* فالتقلّبات السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة ، والتغيّرات الروحيّة والفكريّة التي حدثت بعد خمس وعشرين سنةً قد استتبعت تغيّر الصحابة ورفاق الدرب أيضاً بأفكار مغايرة ، ومعايير مباينة ، ومقاييس أُخرى للحياة . . .
* إنّ الجيل الجديد - والذين يقفون على رأس المواقع السياسيّة في هذه الفترة المتأخّرة - إنّما يعيشون في ظروف يجهلون فيها معايير الدين وموازينه الراسخة ، ولا يَعُون طبيعة عصر الرسالة والسيرة النبويّة ، ولا يعرفون عليّاً ( عليه السلام ) ومنزلته الرفيعة في الدين ودوره وشأنه العظيمين معرفةً صحيحةً .
* رأى المجتمع الإسلامي يتردى في هوة عميقة من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية ، بسبب سياسة ولاة عثمان خلال مدة خلافته.
* فما مرّ على الدين خلال ربع قرن ، وما ابتُدع من تفسيرات وتأويلات للنصوص الدينيّة ، وما ظهر من تغييرات في الأحكام ، خاصّة في عهد الخليفة الثالث ، كلّ ذلك جعل مبادئ الدين ومقاييسه الصحيحة وأحكامه السديدةَ غريبةً على الناس ، وهو الذي سوّغ للأُمّة ثورتها على عثمان ؛ فقد كان الثوّار يقولون في عثمان : " أحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب " . وحيث كان يُشتكى من مقتله وسرّ الثورة عليه ، يقولون : لأحداثه.

هذه كلّها رسمت صورةً في الأذهان وأجرت على الألسن صعوبة العمل على أساس الكتاب والسنّة بعيداً عن المجاملات والمداهنات .

* رأى أن التوجيهات الإسلامية ومفاهيمها العظيمة التي عمل لها النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) طيلة حياته فقدت الكثير من فاعليتها في توجيه الناس ، وأخذت تتضاءل بعد وفاته ( صلى الله عليه وآله وسلم ) . وإنما صار الناس إلى واقعهم هذا لأنهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة التي تهيمن عليهم ، فراحوا يسعون إلى إقرار حقوقهم وصيانتها بأنفسهم ، وهكذا انقطعت الصلة بينهم وبين الرموز المعنوية التي يجب أن تقود حياتهم ، والسبيل إلى تلافي هذا الفساد هو إشعار الناس أن حكما صحيحا يهيمن عليهم ، لتعود إلى الناس ثقتهم الزائلة بحكامهم ، ولكن هذا لم يكن سهلا قريب المنال ، فثمة طبقات مستغلة منتفعة ناشئة لا تسيغ مثل هذا ، ولذلك فهي حرية بأن تقف في وجه كل منهج إصلاحي ومحاولة تطهيره . إذن فقد كان الإمام ( عليه السلام ) يدرك نتيجة لوعيه العميق للظروف الاجتماعية والنفسية التي كانت تجتاح المجتمع الإسلامي في ذلك الحين ، ولأن المد الثوري الذي انتهى بالأمور إلى ما انتهت إليه بالنسبة إلى عثمان يقتضي عملا ثوريا يتناول دعائم المجتمع الإسلامي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ومن هنا كان رفض الإمام ( عليه السلام ) وامتناعه عن الاستجابة الفورية لضغط الجماهير والصحابة عليه بقبوله الخلافة ، فقد أراد أن يضعهم أمام اختبار يكتشف به مدى استعدادهم لتحمل أسلوب الثورة في العمل ، لئلا يروا فيما بعد أنه استغفلهم واستغل اندفاعهم الثوري حين يكتشفون صعوبة الشروط التي يجب أن يناضلوا لاستئصال الفساد الذي ثاروا عليه في ظلها.
* وكان الإمام ( عليه السلام ) يعلم علم اليقين أنّ إرجاع المياه إلى مجاريها يُثير عليه الفتن ، وأنّ تطبيق الحقّ يُنهض أصحاب الباطل المعاندين للحقّ.

من هنا كان ( عليه السلام ) يرفض البيعة ، ويؤكّد رفضه ؛ كي تتمّ الحجّة على المخالفين في المستقبل . و لذا قال ( عليه السلام ) : " دَعُوني ، والتمِسوا غيري ؛ فإنّا مستقبلونَ أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول . وإنّ الآفاق قد أغامت ، والمحجّة قد تنكّرت . واعلموا أنّي إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم ، ولم أُصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ، ولَعلّي أسمَعُكم وأطوَعُكم لمن ولّيتموه أمرَكم ، وأنا لكم وزيراً خيرٌ لكم منّي أميراً ".

إنّه لكلامٌ بليغ ، كلام معبّر ، وذو مغزى . إنّ ما نستقبله أمر ذو ألوان شتّى ، وله وجوه وأشكال متباينة . . . نستقبل أمواجاً تبدأ بعدها العواصف والأعاصير ، والعدل الذي أُصِرّ عليه يستتبع صيحات تعلو ، وصرخات تتصاعد هنا وهناك . وكان ( عليه السلام ) يريد أن تتمهّد الأرضيّة ، ويضع للناس معايير التعامل ومقاييسه ، ويعيد الكلام حول الخطوط الأصليّة للحكومة ، ويستبين المستقبل ليختار الناسُ سبيلهم بوعي ، ويتّخذوا موقفهم عن بصيرة .

**ماهي ابرز الامور التي يمكن لنا ان نؤكد عليها من خلال كلامه ( عليه السلام ) ، بعد امتناعه ورفضه لمنصب الخلافة ؟**

1 - تأكيد على أنّه غير عاشق للرئاسة وليس من طلاّبها ؛ فإذا تحدّث عن نفسه ، وتأوّه ممّا حدث بعد رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وأكّد زعامته وإمامته ، فذلك كلّه لتوضيح الحقائق ، وتأكيد المصالح . وإذا تسلّم زمام الأُمور ، ورضي بالخلافة ، فلإقامة الحقّ ، وبناء حكومة على النهج الذي يعرفه هو ويرتضيه ؛ كي لا يرى أحد أو جماعة أو قبيلة أنّ الإمام ( عليه السلام ) مَدين لهم بسبب تعالي صيحاتهم لبيعته ، فيفرضوا عليه أهواءهم وطلباتهم .

2 - تأكيد على أنّ تغييرات قد لحقت بتعاليم الدين ، وأنّ الرسالة الإلهيّة بعد نبيّها أُصيبت بداء التبدّلات والتقلّبات . فإذا أخذ بزمام الأُمور فإنّه يكافح التحريفات ويقارعها ، ويزيح الستار عن الوجه الحقيقي للدين ، وينفض عنه غبار التحريف . وهذا كلّه يستتبع توتّرات سياسيّة واجتماعيّة.

3 - دليل على معرفة الإمام ( عليه السلام ) الدقيقة بالمجتمع وبالنفس الإنسانيّة وخبرته بزمانه . ويدلّ هذا الكلام على أنّه ( عليه السلام ) لم ينخدع بانثيال الناس عليه لبيعته في ذلك الجوّ السياسيّ السائد يومئذ . وكان يرى مستقبل حكومته بوضوح ، وكان يعلم جيّداً أنّ الأرضيّة غير ممهَّدة للإصلاحات العلويّة ، ولإعادة الأُمّة إلى نهج نبيّها ( صلى الله عليه وآله ) وسيرته وسُنّته ، وكان أدرى من غيره بأنّ سبب الثورة العامّة على عثمان لم يكن من أجل العودة إلى القيم الإسلاميّة الأصيلة ، وأنّ بعض الثائرين لا سيما مَن ركب الموجة منهم - كطلحة ، والزبير.....الخ - قاموا بما قاموا به لأسباب سياسيّة واقتصاديّة معيّنة ، فالباعث لهم على بيعة الإمام ( عليه السلام ) لا ينسجم مع هدفه من قبول الحكومة . وإذا ما بلغوا النتيجة الحتميّة وأدركوا أنّ عليّاً لا يسايرهم ولا يماشيهم ولا يمنح أحداً امتيازاً خلاف الحقّ والعدل ، فسيناهضون إصلاحاته ، ويجرّون المجتمع الإسلاميّ إلى التفرقة والتشتّت.

4 - مبايعته مبايعة للأهداف العلويّة ؛ فمن صافحه وعاهده فعليه أن يكون متأهّباً لمرافقته ، وملازمته من أجل إزالة التحريفات ، وإعادة بناء المجتمع معنويّاً ، وتحكيم الدين تحكيماً حقيقيّاً ، وإحياء ما نَسيَته الأذهان ، وكشف الحقائق التي مُنيت بالتغيير والتبديل . . . وأراد ( عليه السلام ) أن يلقي الحجّة على الأمواج البشريّة العارمة التي كانت تنادي باسمه للخلافة ، وأراد أن يُعلمها أنّه لا يستهدف من قبول الخلافة إلاّ بسط العدل ، وإقامة الحقّ ، وإحياء دين الله ، وهذا هو السبيل لا غيره .

**دوافع الإمام (عليه السلام) لقبول الخلافة:**

وضح الإمام عليّ ( عليه السلام ) الدوافع بقوله: أما والذي فلق الحبّة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظّة ظالم ، ولا سغب مظلوم ، لألقيتُ حبلَها على غارِبها ، ولسَقيتُ آخرَها بكأس أوّلها

فقبوله (عليه السلام) كان

\* لنَرِدَ المعالم من الدين

\* وليُظهر الإصلاح في بلاد

\* فيأمن المظلومون من العباد ، وتُقام المعطّلة من الحدود .

\* وضع الأُمور في مواضعها ، وتوفير الحقوق على أهلها ،

\*والمضيَّ على منهاج النبيّ ، وإرشاد الضالّ إلى أنوار هداية الله.

**المتخلفون عن بيعته ( عليه السلام ):**

كانت بيعة الإمام ( عليه السلام ) عامّة شاملة ، وقد اشترك فيها جميع المهاجرين والأنصار ، وتمام من كان في المدينة . وقد بايع الجميع عن اختيار كامل ، وحرّية تامّة . ثمّ بايعه أهالي مكّة والحجاز والكوفة. وقد صرّح الإمام ( عليه السلام ) بأنّ بيعته عامّة شاملة ، كما صرّحت المصادر التاريخيّة الكثيرة باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعة الإمام ( عليه السلام ) . لكن ذكرت بعض المصادر أخباراً تدلّ على تخلّف أمثال :

عبد الله بن عمر ، وسعد بن أبي وقّاص ، ومحمّد بن مسلمة ، وأُسامة بن زيد ، وحسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن سلام ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، عن البيعة.

**وفي تخلّف هؤلاء عن البيعة نظريّتان :**

**الأُولى :** إنّ هؤلاء تخلّفوا عن بيعة الإمام ، بل كانوا مخالفين لبيعته واقعاً .

**الثانية :** إنّهم لم يخالفوا أصل البيعة ، وأنّ ما ورد في النصوص مشعراً بذلك فهو بمعنى عدم مُسايرتهم للإمام في حروبه الداخليّة .

قال الحاكم النيسابوري - بعد ذكر الأخبار الواردة في بيعة الناس للإمام - : " أمّا قول من زعم أنّ عبد الله بن عمر وأبا مسعود الأنصاري وسعد بن أبي وقّاص وأبا موسى الأشعري ومحمّد بن مسلمة الأنصاري وأُسامة بن زيد قعدوا عن بيعته ، فإنّ هذا قول مَن يجحد حقيقة تلك الأحوال " ، ثمّ ذكر أنّ هؤلاء بايعوا الإمام لكن لم يسايروه في حروبه الداخليّة ؛ لأسباب دَعَتهم إلى ذلك ، ممّا أوقع البعض في اعتقاد أنّهم مخالفين لبيعة الإمام ( عليه السلام ).

وقد ارتضى هذا الرأي ابن أبي الحديد ، ونسبه إلى المعتزلة في كتابه شرح نهج البلاغة. وإذا تأمّلنا نجد أنّ أكثر من عُرف بالتخلّف عن البيعة قد بايع الإمام ( عليه السلام ) ، لكنّ بيعة بعضهم - نظير : عبد الله بن عمر ، وسعد بن أبي وقّاص - لم تكن بمعنى الوفاء لقيادة الإمام ؛ حيث أعلنوا صراحة عدم مرافقتهم للإمام في حروبه . كما أنّ بيعة بعض آخر منهم - نظير : مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة - كانت بدوافع سياسيّة.

ومن هنا يمكن عدّ هؤلاء في المتخلّفين عن البيعة ؛ لأنّ بيعتهم لم تكن حقيقيّة وكاملة ، كما يكن عدّهم في المبايعين ؛ لاشتراكهم من المراسم الرسميّة للبيعة . وبهذا يمكن الجمع بين النظريّتين .

وهنا **احتمال ثالث** ، وهو : أنّهم تخلّفوا عن البيعة العامّة الشاملة والتي كانت في المسجد ، وقد اختلقوا أعذاراً لتوجيه ذلك ، لكن لمّا تمّت البيعة واستحكمت خلافة الإمام ( عليه السلام ) رغبوا في البيعة . ويؤيّد ذلك أنّ مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص جاؤوا إلى الإمام - بعد انتهاء البيعة العامّة - فبايعوه بعد نقاش . كما يشهد له اعتراف عبد الله بن عمر وأُسامة بن زيد وسعد بن أبي وقّاص ببيعة الإمام علي ( عليه السلام ) ، كما ورد في بعض النصوص.

**برنامج الامام (عليه السلام) اليومي :**

لما كان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم فإذا يفرغ من ذلك اشتغل في حائط له يعمل فيه بيده وهو مع ذلك ذاكر لله جل جلاله

وكان علي ( عليه السلام ) إذا صلى الفجر لم يزل معقبا إلى أن تطلع الشمس فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك .

**من اعماله (عليه السلام) بعد توليه منصب الخلافة:**

* **عزل عمّال الخليفة عثمان :**

عزل الامام عليّ(عليه السلام) عمّال الخليفة عثمان عن البلدان خلا أبي موسى الأشعري ، الذي كان قد كلّمه فيه الأشتر فأقرّه. وقد اجتمع الناس عليه جميعاً ، فقالوا له : اكتب يا أمير المؤمنين إلى من خالفك بولايته ثمّ اعزله ، فقال : المكر والخديعة والغدر في النار وبلغه( عليه السلام ) أنّ معاوية قد توقّف عن إظهار البيعة له ، وقال : إن أقرّني على الشام وأعمالي التي ولاّنيها عثمان بايعته ، فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ معاوية من قد عرفت ، وقد ولاّه الشام من قد كان قبلك ، فولّه أنت كيما تتّسق عرى الأُمور ، ثمّ اعزله إن بدا لك .

فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه ؟ قال : لا .

قال : لا يسألني الله عزّ وجلّ عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً ( وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ) لكن أبعث إليه وادعوه إلى ما في يدي من الحقّ ، فإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، وإن أبى حاكمته إلى الله .

وكانت أول مهامه ( عليه السلام ) إزالة صور الانحراف المختلفة التي طرأت على الحياة الإسلامية ، وأن يعود بالأمة إلى أصالة المنهج الإلهي ، غير أن أطماع الطامعين ، وحسد الحاسدين ، وضغن الحاقدين حال دون ذلك ، وخلقت للإمام ( عليه السلام ) المشاكل والحروب الثلاثة ، الناكثين ، القاسطين ، والمارقين ، كما أخبره بذلك الرسول الأمين.

* **استرداد أموال بيت المال:**

إن هذا كان القرار الأول الذي اتخذه « عليه السلام » وهو قرار طبيعي جداً من رجل عرفه الناس كلهم بالدين والإخلاص ، ووصفه لهم نبيهم الذي لا ينطق عن الهوى : بأنه مع الحق ، ومع القرآن ، والقرآن والحق معه . . ولكنه في نفس الوقت كان قراراً مثيراً جداً ومخيفاً إلى أقصى الحدود لأولئك الذين رضوا بأن يسفك دم خليفتهم . وتجري عليه تلك الأمور المذلة ، من أجل أن يحتفظوا بتلك المكتسبات المحرمة التي حصلوا عليها في ظل حكمه ، ولكي لا يُمسَّ سلطانهم الظالم ، وحكمهم الغاشم .

لقد أعلن « عليه السلام » في نفس ساعة البيعة ، وفي أول خطبة له : أن « كل قطيعة أقطعها عثمان ، أو مال أخذه من بيت مال المسلمين ، فهو مردود عليهم في بيت مالهم . ولو وجد قد تزوج به النساء ، وفرق في البلدان ، فإنه إن لم يسعه الحق ، فالباطل أضيق عليه » . وقد أفهمت هذه المبادرة كل من يعنيه الأمر ، أموراً عديدة ، وهي :

**أولاً :** إنه لا مجال للمساومة في هذا الأمر ، فلا يطمعن أحد بالتراجع عنه ، فقد أصبح هذا القرار برسم الأمة كلها ، ولم يعد لأحد خيار فيه .

**ثانياً :** ظهر من هذا الإعلان أن التصرف بأموال الغير ، لا يقطع صلة ذلك الغير بها ، ولا يفقده حقه فيها ما دام أنه صاحبها الشرعي . . بل هو يلاحقها ، ويستولي عليها أينما وجدت . ولن يكون للمستفيد الثاني والثالث ، وهلم جرا ، أي حق يمكنه أن يطالب به صاحب ذلك المال . بل هو يلحق الغاصب الذي دلس عليه ، إن لم يكن متواطئاً معه أو عالماً بمصادر المال الذي هو مورد المعاملة بينهما .

**ثالثاً :** إن تصرفات الحاكم إذا كانت مخالفة للشرع ، فإنها لا تحلل الحرام ، ولا تحرم الحلال ، ولا تزيل آثار التصرفات غير المأذون بها شرعاً . فإذا كان عثمان قد أقطع أحداً أرضا لا يصح اقطاعها له ، أو أعطاه مالاً من بيت المال ، فلا يصح لأحد أن يدعي : أنه صار يحل التصرف به للآخذ ، لا مباشرة ، ولا لغيره بإجراء معاملات معه .

**رابعاً :** إن هذا يعطي أن ما يسمى بغسيل الأموال - بإعطائها صفة الشرعية عبر تداولات معينة - لا يفيد إعطاء تلك الأموال صفة الشرعية .

ثم أمر « عليه السلام » بكل سلاح وجد لعثمان في داره مما تقوى به على المسلمين فقبض .

* وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت .
* وأمر بقبض سيفه ودرعه .
* وأمر ألا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمون .
* وأمر بالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وفي غير داره .
* وأمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيبت ، أو أصيب أصحابها . فبلغ ذلك عمرو بن العاص ، وكان بأيلة من أرض الشام ، أتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزلها ، فكتب إلى معاوية : ما كنت صانعاً فاصنع ، إذ قشرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها .
* تقسيم بيت مال المسلمين بالسوية :

من الخطوات التي تقدم بها الإمام ( عليه السلام ) إلى العدالة هو تقسيم بيت المال بين المسلمين بالسوية ، وذلك في اليوم الثاني من بيعته ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وكان مما قال : " أما بعد ، لما قبض رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) استخلف الناس أبا بكر ، ثم استخلف أبو بكر عمر ، فعمل بطريقته ، ثم جعلها شورى بين ستة ، فأفضى الأمر إلى عثمان ، فعمل ما أنكرتم وعرفتم ، ثم حصر ، ثم قتل ، ثم جئتموني فطلبتم إلي ، وإنما أنا رجل منكم ، لي ما لكم ، وعلي ما عليكم . . . " إلى آخر خطبته المعروفة . ثم التفت يمينا وشمالا فقال : " ألا لا يقولن رجل منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار ، وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عارا وشنارا إذ منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ، يقولون : حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا . وأيما رجل استجاب لله ورسوله ، فصدق ملتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل لأحد على أحد وللمتقين غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب . وإذا كان غدا - إن شاء الله - فاغدوا علينا ، فإن عندنا مالا نقسمه فيكم ، ولا يتخلفن أحد منكم ، عربي ولا عجمي ، كان من أهل العطاء أو لم يكن ، إذا كان مسلما حرا إلا حضر ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم " . وعن عمار وابن عباس قالا : إنه ( عليه السلام ) لما صعد المنبر قال لنا : " قوموا فتخللوا الصفوف ، ونادوا : هل من كاره ؟ " . فتصارخ الناس من كل جانب : اللهم قد رضينا وسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمه . فقال ( عليه السلام ) : قم يا عمار إلى بيت المال فاعط الناس ، ثلاثة دنانير لكل إنسان ، وادفع لي ثلاث دنانير .

**لماذا يقسم المال بالسوية ؟**

من الواضح : أن الحاجة للمال ، والاستحقاق له ، لا تحدده الميزات الفردية للأشخاص ، فلا يعطى المال للطويل لأنه طويل ، ولا للأسود ، أو الأبيض ، أو العالم أو الجاهل ، أو ما إلى ذلك لأجل خصوص هذه الصفات . بل يحدد الحاجة ، أو الاستحقاق للمال الجهد الذي يبذل ، أو السلعة يتخلى عنها صاحبها لغيره ، أو الخدمة التي يقدمها . وحيث لا يبذل - بأداء جهدٍ أو خدمة ، أو سلعة يعرضها - فلا مبرر لإعطاء المال من بيت مال المسلمين ، إلا بالمقدار الذي يحتاج إليه لحفظ ما يجب حفظه ، وهو نفسه التي بين جنبيه . وهذا مما يتساوى فيه الناس عادةً ، فلا بد من بذله لهم من بيت المال ، إن لم يكن سبيل إلى ذلك سواه ، ولا ينظر إلى مقاديره ، فقد يكون ما يحتاج إليه إنسان عادي لحفظ الوجود والسلامة والكرامة يفوق ما يحتاج إليه صاحب المقام ، وقد ينعكس الأمر . من هنا نلاحظ : أن ما يتوهمه الناس من مبررات استحقاق التمييز ، أو الحصول على المال كتقدمهم في سنهم ، أو جاههم أو علمهم ، أو سبقهم في مقامات الجهاد ، أو في نسبهم ، أو كونهم من العشيرة الفلانية وما إلى ذلك . . - إن ذلك كله - لا يصلح مبرراً ، ولا يعطي استحقاقاً . وإنما يستحق الناس الاستفادة في بيت المال لمجرد إسلامهم ومجرد استجابتهم للرسول « صلى الله عليه وآله » ودخولهم في دين الله . ولا يستحقونه بكثرة عبادتهم ، ولا بصدقاتهم وزكاة أموالهم ، وغير ذلك مما تقدم آنفاً . أما الفضل بالتقوى ، فإنما يوجب نيل مقامات القرب عند الله ، ولا أثر له في زيادة العطاء ولا في نقيصته . ولذلك يضيف « عليه السلام » إلى قراره بقطع العطاء عمن لا حق له به قوله : « أما من كان له فضل وسابقة منكم ، فإنما أجره فيه على الله ، فمن استجاب لله ورسوله ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده . فأنتم أيها الناس عباد الله المسلمين ، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية . وليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى . وللمتقين عند الله خير الجزاء ، وأفضل الثواب . لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاءاً ، وما عند الله خير للأبرار » .

**الى ماذا يشير التطبيق العملي لقرار التسوية في العطاء ؟**

تستوقفنا الأمور التالية :

1 - إنه « عليه السلام » لم يتحمل وجود مال مجتمع في بيت المال ، مع وجود محتاجين له . فإن المال مال الله ، وهو للمسلمين الذين هم عباد الله ، فلماذا يحبس عنهم حقهم .

2 - إنه « عليه السلام » طلب - مع التأكيد - أن لا يتخلف أحد من الناس عن الحضور . . حتى لو لم يكن من أهل العطاء المدونين في الدواوين . . ربما لأنه لا يريد اعتماد تلك الدواوين ، التي خالف فيها عمر بن الخطاب ما كان على عهد رسول الله « صلى الله عليه وآله » ، ثم في خلافة أبي بكر ، وفي شطر من خلافة عمر نفسه ، حتى غيره عمر حسبما أوضحناه في فصل سابق من هذا الكتاب .

3 - لا أدري إن كان تعميم أمره « عليه السلام » للناس كلهم بالحضور ، وتصريحه بلزوم حضور الأعاجم أيضاً يدل على أن الناس كانوا قد فرقوا في أيام العطاء ، أو في أوقاته وساعاته بين العرب والعجم . فأراد « عليه السلام » إلغاء هذا التفريق ، الذي يكرس التمييز العنصري ، المرفوض من الناحية الدينية .

4 - إن من آثار حضور جميع الناس ، أن يعطى حتى غير أهل العطاء - وهم الجند بالدرجة الأولى - من باب أنهم من أهل الحاجة .

* **السياسة الإداريّة :**

**الصدق في السياسة :**

قال الإمام عليّ ( عليه السلام ): يا أيّها الناس ! لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس ، ألا إنّ لكلّ غدرة فجرة ، ولكلّ فجرة كفرة . ألا وإنّ الغدر والفجور والخيانة في النار و عنه ( عليه السلام ) : والله ما معاوية بأدهى منّي ، ولكنّه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ، ولكن كلّ غدرة فجرة ، وكلّ فجرة كفرة ، ولكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة . والله ما أُستَغفَلُ بالمكيدة ، ولا أُستَغمَزُ بالشديدة

و عنه ( عليه السلام ) - في عهده إلى مالك الأشتر - : وإن عقدتَ بينك وبين عدوّك عقدة ، أو ألبسته منك ذمّة ، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمّتك بالأمانة ، واجعل نفسك جُنّة دون ما أعطيتَ ، فإنّه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً ، مع تفرّق أهوائهم ، وتشتّت آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لِمَا استَوبَلُوا من عواقب الغدر ، فلا تغدرنّ بذمّتك ، ولا تخيسنّ بعهدك ، ولا تختلنّ عدوّك.

**الالتزام بالحقّ :**

وعنه ( عليه السلام ) : إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه وإن نقصه وكرثه من الباطل وإن جرّ إليه فائدة وزاده .

وذكر الإمام عليّ ( عليه السلام ) : لا تمنعنّكم رعاية الحقّ لأحد عن إقامة الحقّ عليه .و لمّا توجّه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) إلى البصرة ، نزل الربذة فلقيه بها آخر الحاجّ ، فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه . قال ابن عبّاس : فأتيته فوجدته يخصف نعلاً ، فقلت له : نحن إلى أن تُصلح أمرنا أحوج منّا إلى ما تصنع ، فلم يكلّمني حتى فرغ من نعله ، ثمّ ضمّها إلى صاحبتها ، ثمّ قال لي : قوّمها ، فقلت : ليس لها قيمة ، قال : على ذاك ، قلت : كسرُ درهم . قال : والله لهما أحبّ إليَّ من أمركم هذا ، إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً

وعنه ( عليه السلام ) - في حرب صفّين - : فوالله ما دفعتُ الحربَ يوماً إلاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة ، فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي ، وذلك أحبّ إليَّ من أن أقتُلَها على ضلالها ، وإن كانت تبوء بآثامها و عنه ( عليه السلام ) - في الشكوى ممّن يميل إلى معاوية من أصحابه - : يا ويحهم ، مع من يميلون ويدَعونني ! فوالله ما أردتُهم إلاّ على إقامة حقّ ، ولا يريدهم غيري إلاّ على باطل .

وعن الإمام عليّ ( عليه السلام ) - من كتابه إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر - : أمّا بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله ، لا ينام أيّام الخوف ولا ينكل عن الأعداء ساعات الرَّوع ، أشدّ على الفجّار من حريق النار وهو مالك بن الحارث أخو مذحج ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ كما قال ( عليه السلام ) - في عهده إلى مالك الأشتر - : ألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإنّ مغبّة ذلك محمودة .

**الالتزام بالقانون**

عن الإمام الباقر ( عليه السلام ) : أخذ [ عليّ ( عليه السلام ) ] رجلاً من بني أسد في حدّ ، فاجتمع قومه ليكلّموا فيه ، وطلبوا إلى الحسن أن يصحبهم ، فقال : ائتوه فهو أعلى بكم عيناً ، فدخلوا عليه وسألوه ، فقال : لا تسألوني شيئاً أملك إلاّ أعطيتكم ، فخرجوا يرون أنّهم قد أنجحوا ، فسألهم الحسن ، فقالوا : أتينا خير مأتيّ . وحكوا له قوله ، فقال : ما كنتم فاعلين إذا جلد صاحبكم فاصنعوه ، فأخرجه عليّ فحدّه ، ثمّ قال : هذا والله لست أملكه وعنه ( عليه السلام ) : لا أُداهن في ديني ، ولا أُعطي الدنيّة في أمري .

**تنظيم الأُمور :**

لقد ذكر الإمام عليّ ( عليه السلام ) - في عهده إلى مالك الأشتر - : وأمضِ لكلّ يوم عمله ؛ فإنّ لكلّ يوم ما فيه . . . إيّاك والعجلةَ بالأُمور قبل أوانها ، أو التسقّط فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تنكّرت ، أو الوهن عنها إذا استَوضحت . فضع كلّ أمر موضعه ، وأوقِع كلّ أمر موقعه .وعنه ( عليه السلام ) - من كتابه إلى أُمراء الخراج : إيّاكم وتأخير العمل ودفع الخير ؛ فإنّ في ذلك الندم وعنه ( عليه السلام ) : مجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه .

* **انتخاب العمّال الصالحين :**

لقد اكد الإمام عليّ ( عليه السلام ) - في عهده إلى مالك الأشتر - : لكلٍّ على الوالي حقّ بقدر ما يصلحه ، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحقّ ، والصبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل .

**فولِّ** من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ، ممّن يبطئ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الأقوياء ، وممّن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف . ثمّ الصَق بذوي المروءات والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة ؛ ثمّ أهل النجدة والشجاعة ، والسخاء والسماحة ؛ فإنّهم جِماع من الكرم ، وشُعَب من العُرْف . ثمّ تفقّد من أُمورهم ما يتفقّده الوالدان من ولدهما . . . ثمّ انظر في أُمور عمّالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولّهم محاباة وأثَرَة ، فإنّهما جِماع من شُعَب الجور والخيانة ، وتَوَخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة،والقدم في الإسلام المتقدّمة ؛ فإنّهم أكرم أخلاقاً .

ولهذا كله نلاحظ بان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " عندما تولي عزل عبد الله بن عـامر عن **البصرة** وعين بدله عثمان بن حنيف ، ولعثمان معرفة وخبرة في هذه الولاية ، واتجه عبد الله بن عامر إلى مكة ، علماً أن عثمان بن حنيف سبق أن عينه الخليفة عمر بن الخطاب على مسح السواد وتقدير الخراج فيه. ومن الملاحظ على عثمان بن حنيف ، أنه لم يبقَ مدة طويلة والياً على البصرة ، إذ قدم جيش طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة إلى البصرة وكانوا قد دخلوها قبل معركة الجمل . تطورت الأحداث وتم للمتمردين من السيطرة على البصرة ، وهذا مما أدى بواليها عثمان بن حنيف بالخروج من البصرة متجهاً إلى المدينة المنورة لملاقاة الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " ، وقد التقى عثمان بالخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " في الطريق ، والخليفة متجهٌ إلى البصرة قبل حدوث معركة الجمل ، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف . وبعد انتهاء معركة الجمل عيَّن الخليفة والياً على البصـرة عبد الله بن عباس .

اما **الكوفة** فقد وليهاأبو موسى الأشعري في نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان وبعد أن تمت بيعة الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " أقره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام ".

اما **مكة المكرمة** من المدن المهمة والمقدسة عند المسلمين ، كان واليها خالد بن سعيد بن العاص حين توفي الخليفة عثمان بن عفان وعند تولي الخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " أصدر أمراً بعزل خالد بن سعيد عن ولاية مكة المكرمة ، وعين بدله أبا قتادة الأنصاري ، على أن أبا قتادة لم يستمر في ولايته على مكة طويلاً إذ أن الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " عزله عن ولايته وعين بدلاً عنه قثم بن العباس ، وحدث ذلك عندما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " التوجه إلى العراق ، وعليه فأن ولاية أبي قتادة الأنصاري على مكة كانت قرابة الشهرين . وان ولاية قثم لم تكن فقط على مكة وإنما أضاف إليه الطائف أيضاً ، وعليه فإن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب " عليه السلام " يكون قد ولي قثم بن عباس على مكة والطائف في وقت واحد .

وعين على **المدينة المنورة** سهيل بن حنيف الأنصاري، والياً عليها. وعزل الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " سهيلاً بن حنيف الأنصاريّ عن ولاية المدينة ، وعين عليها تمام بن العباس. وقام الخليفة علي بن أبي طالب "عليه السلام" بعزل تمّام بن العباس ، وعيّن أبا أيوب الأنصاريّ .

اما**اليمن** فهي من الأقاليم الإدارية المهمة في الدولة العربية الإسلامية ، عندما بويع بالخلافة الإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام " عين على اليمن عبيد الله بن عباس والياً عليها  .

اما **الشام** فقد كان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام خلال عهدي الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعندما تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " الخلافة في سنة 35هـ ، أراد الخليفة ان يعزل معاوية بن أبي سفيان ، ويولي بدله عبد الله بن عمر بن الخطاب ، إلا إن عبد الله امتنع في قبول هذا الأمر واعتذر في ذلك بسبب المصاهرة والقرابة بينه وبين معاوية بن أبي سفيان.

لم يمارس الخليفة علي بن ابي طالب " عليه السلام " أي ضغط لإجبار واقناع عبد الله بن عمر حول هذا الأمر . بل قبل منه اعتذاره .

اما **الجزيرة** كانتعندمبايعة الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " بالخلافة ، أصبح الشام مسيطراً عليه من قبل معاوية بن أبي سفيان ، والعراق تحت سيطرة الخلافة ، وكانت الجزيرة تابعة للشام ، وهذا ما أدى إلى إشتداد الصراع بين الخلافة ومعاوية بن أبي سفيان ، من أجل السيطرة على الجزيرة ، وذلك لأهمية موقعها الجغرافيّ ، فضلاً عن اتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهةً أخرى  .

شهدت ولاية الجزيرة الكثير من المعارك بين جيش الخلافة وبين جيش معاوية بن أبي سفيان ، وكان كل من الطرفين يحاول السيطرة ونتيجة هذه المعارك تمكن جيش الخلافة من السيطرة عليها ،لمدّة من الوقت ، إذ عيّن عليها مالكاً الأشـتر ، وهو من أشهر الولاة الذين عيّنهم الخليفة علي "عليه السلام " على الجزيرة. ويبدو أن أمير المؤمنين علي "عليه السلام " عيّن مالكاً الأشتر على الجزيرة أكثر من مرّة ، وأبدى قابلية رائعة في تنظيم أمور الولاية ، إذ أضطرّ الخليفة أن يعيّن مالكاً والياً على مصر وكان ذلك في سنة 38هـ.

وقعت عدة إضطرابات في الجزيرة نتيجة نقل مالك الأشتر عنها ، ويبدو أن مالكاً الأشتر إداري كبير ضبط أمور الولاية من جميع الجوانب ، وهذا الأمر سهل الأمر لمعاوية بن أبي سفيان من محاولة السيطرة عليها ، فحدثت عدة معارك بين الطرفين . تمكن معاوية بن أبي سفيان السيطرة على ولاية الجزيرة في أواخر سنة ( 39 هـ) إلى حد ما . وأصبحت ولاية الجزيرة مكاناً يلجأ إليه بعض من الصحابة أو المسلمين الذين اعتزلوا القتال الدائر بين الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " وبين معاوية بن أبي سفيان. والسبب في ذلك وقوع الجزيرة بين منتصف الطريق بين العراق والشام .

ومن الولاة الذين عيّنهم الخليفة علي بن أبي طالب " عليه السلام " والياً على الجزيرة هو شبيب بن عامر ، وكذلك كميل بن زياد ، وكان لهما أثرٌ كبيرٌ في صدّ ومقاومة جيش معاوية بن أبي سفيان الذي هاجم الجزيرة ، إلا أنّهم لم يتصدّوا لهذا الجيش فحسب وإنما قاموا بالهجوم على الشام من جهة الجزيرة

اما**مصر**فهي من الولايات المهمة في الدولة العربية الإسلامية ، وكان واليها محمد بن أبي حذيفة ، حينما استشهد الخليفة عثمان بن عفان وهو مسيطر على مصر بالقوة ، ويعدّ مغتصباً لها ، حتى ان الخليفة عثمان بن عفان لم يقرّه على ولاية مصر ، وبعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان بقي محمد بن أبي حذيفة والياً على مصر ، من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام " لمدة وجيزة ، إذ إنّ معاوية بن أبي سفيان وجّه جيشاً إلى نواحي مصر ، إذ تمكن هذا الجيش من إلقاء القبض على محمد بن أبي حذيفة ، وأرسل به إلى الشام فسجنه معاوية وأخيراً قتله. عنـــدها أمــــر(عليه السلام) بتعيين قيس بن سعد الأنصاري واليـاً على مصر.

وفي سنة 36هـ، عزل الخليفة قيس بن سعد عن مصر وةعين بدله محمد بن أبي بكر .

وعين على **فارس** سهيل بن حنيف الانصاري .**.** وعين عبد الرحمن بن أبزي والياً على خراسان ، ثم عزله الخليفة وعين بدلاً عنه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب سنة (37هـ) ولم يستمر طويلاً حيث عزله الخليفة بعد أن ارتد اهل خراسان فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد إلا انه لم ينجح ، وبعث بدلاً عنه أحد قواده إلى خراسان إذ تمكن من ضبط الأمور وأخماد التمرد .

**المعارك والحروب في خلافة الامام علي (عليه السلام):**

**واقعة** **الجمل:**

من الوقائع التي حدثت لأمير المؤمنين ( عليه السلام ) في الفترة التي تلت قتل الخليفة الثالث ، واستلامه ( عليه السلام ) مقاليد الخلافة نكث الناكثين وتمردهم وإشعال فتنة الحرب المعروفة بمعركة الجمل

فعندما نقم الناس على الخليفة عثمان أشياء كثيرة أحدثها وابتدعها في مدة خلافته البالغة إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا ، فضاقوا بها ذرعا ، وثاروا عليه بعد أحداث ومجادلات كثيرة – سبق وان طرحناها - أدت إلى مقتله ، ولعل من أهم تلك الأسباب سوء تصرفه في إدارة أمور البلاد الإسلامية ، وتوليته أعداء الإسلام من المنبوذين والمنفيين من أبناء عشيرته وتسليطهم على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم بصورة مستهترة مفجعة .

ويظهر أن تفكير طلحة والزبير بنكث بيعتهم قد بدأ في يوم البيعة أو في اليوم التالي . فإن القسم الذي قسمه فيهم بعد البيعة مباشرة قد أثار حفيظتهم ، « فلذا نكث طلحة والزبير في اليوم التالي من بيعته ، وقالوا : آسيت بيننا وبين الأعاجم ، وكذلك عبد الله بن عمر ، وسعيد بن العاص ، ومروان وأضرابهم ، ولم يقبلوا ما قسم لهم ».

ولعلهما تدرجا في إظهار السخط . فبدأ ذلك من حين قسم المال بينهم ، ثم تصاعد حتى بلغ الذروة واشتهر بين الناس قبل إتمام الشهر . فقد قال الامام علي « عليه السلام » : وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل بيت النبوة ، ولا من ذرية الرسول حين رأيا أن الله قد رد علينا حقنا بعد أعصر ، فلم يصبرا حولاً كاملاً ، ولا شهراً كاملاً حتى وثبا على دأب الماضين قبلهما ..

غير أن علينا أن نشير إلى أن هذين الذين سعيا هذا السعي الحثيث لقتل الخليفة عثمان ، ثم نكثا بيعة علي « عليه السلام » بهذه السرعة لا بد أن يكونا قد بيتا نية الغدر، منذ اللحظة الأولى . فإنه حتى ولو سوّى الامام علي « عليه السلام » بين الناس في العطاء ، فهو لا يستحق إظهار النكث بهذه السرعة ، وهذا يدل على أن البيعة لعلي « عليه السلام » كانت مجرد انحناء منهما أمام العاصفة . حيث وجدا أن أحداً لا يقبل بهما مع وجود علي « عليه السلام » فاضطرا لمجاراة الناس ، انتظاراً لسنوح الفرصة . ثم كانت مبادرتهما إلى بيعته مكراً منهما به . أو أنهما أرادا أن يجعلا من هذه المبادرة يداً عنده ليبادلهما بتوليتهما الكوفة والبصرة ، حتى إذا أصبحت بأيديهما البلاد ورقاب العباد ، وثبوا وثبتهم الأخرى لإزاحة علي « عليه السلام » ، واستلاب ما تبقى من البلاد من يده .

**مطامع طلحة والزبير وموقف الامام من اعاءاتهم.**

روى البلاذري : أنه لما بلغ علياً قول طلحة والزبير : ما بايعناه إلا مكرهين تحت السيف ؛ قال : أبعدهما الله أقصى دار ، وأحر نار .

وروى الجاحظ : أن طلحة والزبير اعترفا لعلي بخلاف قولهما هذا ، فقد أرسلا إليه قبل خروجهما إلى مكة محمد بن طلحة ، وقالا له : لا تقل : يا أمير المؤمنين ، وقل له : يا أبا الحسن: لقد فال فيك رأينا ، وخاب ظننا : أصلحنا لك الأمر ، ووطدنا لك الإمرة ، وأجلبنا على عثمان حتى قتل ، فلما طلبك الناس لأمرهم جئناك ، وأسرعنا إليك ، وبايعناك ، وقدنا إليك أعناق العرب ، ووطأ المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك ، حتى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنا ، ورفضتنا رفض التريكة ، وملكت أمرك الأشتر ، وحكيم بن جبلة ، وغيره من الأعراب ، ونزاع الأمصار ، فكنا فيما رجونا منك.

فلما جاء محمد بن طلحة ، وأبلغه ذلك قال « عليه السلام » : إذهب إليهما فقل لهما : فما الذي يرضيكما ؟

فذهب ، وجاء وقال : إنهما قالا : ولِّ أحدنا البصرة ، والآخر الكوفة .

فقال : والله ، لا آمنهما وهما عندي بالمدينة ، فكيف آمنهما وقد وليتهما العراقين ؟ اذهب إليهما فقل لهما : أيها الشيخان ، احذرا من الله ونبيه وأمته ، ولا تبغيا المسلمين غائلة وكيداً ، وقد سمعتما قول الله : \* ( تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ).

فقام محمد بن طلحة فأتاهما ، ولم يعد إليه . وتأخرا عنه أياماً ، ثم جاءاه فاستأذناه في الخروج إلى مكة للعمرة ، فأذن لهما بعد أن أحلفهما أن لا ينقضا بيعته ، ولا يغدرا به ، ولا يشقا عصا المسلمين ، ولا يوقعا الفرقة بينهم ، وأن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة . فحلفا على ذلك كله ، ثم خرجا ، ولما خرجا قال علي « عليه السلام » لأصحابه : والله ، ما يريدان العمرة ، وإنما يريدان الغدرة . \* ( فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً ) . ففعلا ما فعلا

**ماذا يستفاد من النص الذي قدم للامام عليه السلام على يد محمد بن طلحة ؟**

1 - إن ما ذكره طلحة عن إصلاحهما الأمور لعلي « عليه السلام » غير دقيق ، ولا يعدو كونه مغالطات مفضوحة ، بل هما قد أفسداها ، إذ لو لم يقتل عثمان ، ومات بصورة طبيعية لم يجدا ولم يجد معاوية ذريعة للتمرد عليه ، ولم تثر الحروب الطاحنة في الجمل ، وصفين والنهروان ، ولم يجدوا سبيلاً إلى بث هذا القدر من الشبهات والأباطيل ، التي موهوا بها على الناس ، وأوقعوهم في المحذور العظيم بسببها.

2 - إنهما يعترفان بأنهما قد أجلبا على عثمان حتى قتل ، فما معنى اتهامهما علياً « عليه السلام » بقتل عثمان ، ولماذا لا يسلمان أنفسهما للقضاء في هذه القضية ؟

3 - إنهما يعترفان بأن الناس هم الذين طلبوا علياً لأمر الخلافة ، ثم يزعمان : أنهما هما اللذان قادا إليه أعناق العرب . ولو أجيب عن هذا بأن مجيء الناس إليه ، إنما هو بسبب الجهد الذي بذلاه في هذا السبيل . . لرددنا ذلك بأن بيعتهما لعلي « عليه السلام » ، وانحيازهما إليه إنما كان لأنهما لم يجدا مناصاً من ذلك ، إذ لا أحد يرضى بهما مع وجود علي « عليه السلام » .

4 - لاحظنا : أن علياً « عليه السلام » لم يَعِد محمد بن طلحة بشيء ، بل أرسل معه إليهما يطرح عليهما سؤالاً واحداً ، يثير لديهما شهية الإجابة ، وهو : ما الذي يرضيكما ؟ ! وكأنهما شعرا بأن ما يتمنيانه يكاد يقع في أيديهما ، فكشفا عن مطامعهما ، وأنهما يريدان البصرة لأحدهما ، والكوفة للآخر .

5 - يلاحظ : أنهما لم يطلبا أن يكونا عوناً له على إقامة الدين ، وإشاعة الأمن ، وإنصاف المظلومين . . بل طلبا أمراً دنوياً ونفعاً شخصياً ، لا يمت لمصلحة الأمة بصلة ، إذ ليس في إدارته « عليه السلام » للأمور أي قصور أو تقصير ، ليصح القول بأنهما أرادا بطلبهما هذا أن يرفعا الحيف عن الناس ، ونحو ذلك . فكان هذا السؤال الاستدراجي كافياً لفضح نواياهما ، والتعريف بسوء سريرتهما .

6 - وقد جاءت إجابة أمير المؤمنين لهما ، وفضح أمرهما ، وإعلان أنهما لا يؤتمنان على شيء ، من قبيل القضايا التي قياساتها معها . أو فقل : إنه « عليه السلام » قد ساق الدعوى مع دليلها ، حيث إن من يفكر بهذه الطريقة لا يمكن أن يؤتمن على مصير العباد ، ولا يصح تسليطه على الناس ، وعلى دمائهم ، وأموالهم وأعراضهم ، وكراماتهم ، ودينهم ، لأنه من يريد ذلك إنما يريده ذريعة لنيل مآربه ، والوصول إلى منافعه ، وأهوائه ولو بقيمة سفك الدماء ، والعدوان على الأموال ، والعبث بالكرامات .

**مطالب طلحة والزبير :**

و بعد أن مضت ثلاثة أيام من خلافة علي « عليه السلام » ، ( وربما أكثر من ذلك ) ، قال طلحة : دعني فلآت البصرة ، فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل .

فقال : حتى أنظر في ذلك .

وقال الزبير : دعني آت الكوفة ، فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل . فقال : حتى أنظر في ذلك .

**ويلاحظ هنا الامور التالية:**

1 - إذا كان طلحة والزبير قد عرضا هذا على أمير المؤمنين « عليه السلام » في أوائل أيام توليه الخلافة . . فإن هذا العرض يحمل معه موجبات الريب في نوايا هذين الرجلين ، إذ إن الأمور لم يتضح مسارها بعد ، ولم تتبلور المواقف . . ولم يظهر أنه « عليه السلام » بحاجة إلى خيل من الكوفة ، أو من البصرة ، وليس ثمة من يمكن اعتباره عدواً يحتاج إلى جمع الرجال لحربه .

2 - من الذي قال : إن علياً « عليه السلام » يريد للحرب أن تجري في المدينة لو كان هناك حرب ؟ ومن قال : إن المدينة تصلح لهذا الأمر ؟ ومن هو العدو الذي سيحاربه في المدينة ؟ ولماذا ؟ ! وهل ظهر لهم : أن ثمة خطراً يتهدد خلافته من الداخل ؟ ! وكيف ظهر لهم ذلك ، وقد بايعه الناس كلهم طوعاً واختياراً ، وبإصرار منهم ؟

3 - كيف يتوقع طلحة والزبير أن يرضى منهما بإتيان البصرة والكوفة ، ليأتيا إليه بالخيل ، بعد أن بايعاه ، ثم سخطا مساواته بين الناس بالعطاء . . كما أن طلحة لم يرض بتسليمه مفاتيح بيت المال إليه حتى أمر « عليه السلام » بكسره لتفريق ما فيه عليهم وعلى سائر المسلمين ؟ ألا يشير هذا العرض منهما إلى أنهما أرادا خديعة علي « عليه السلام » ؟ !

4 - واللافت هنا : أنه « عليه السلام » لم يرفض عرضهما بصورة قاطعة ، بل أبقاهما بين اليأس والرجاء ، حيث قال لهما : حتى أنظر في ذلك . . فأبقى القرار بيده ، وبقيا هما في حيرتهما ، حيث لم تتضح لهما نواياه . هكذا أظهروا عداوتهم له: وحين خطبهم « عليه السلام » بعد البيعة ، وذكر العديد من الأمور ، التفت يميناً وشمالاً ، فقال : « ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا ، فاتخذوا العقار ، وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عاراً ، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون ، فينقمون ذلك ، ويستنكرون ، ويقولون : حرمنا ابن أبي طالب حقنا . ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وآله » يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته ، فإن الفضل النير غداً عند الله ، وثوابه وأجره على الله . وأيما رجل استجاب لله وللرسول ، فصدق ملتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله ، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل فيه لأحد على أحد ، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء ، وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً ، وما عند الله خير للأبرار . وإذا كان غداً إن شاء الله ، فاغدوا علينا ، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم ، ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا أعجمي ، كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر ، إذا كان مسلماً حراً . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » . ثم نزل .

وكان هذا أول ما أنكروه من كلامه « عليه السلام » ، وأورثهم الضغن عليه ، وكرهوا إعطاءه وقسمه بالسوية . فلما كان من الغد ، غدا ، وغدا الناس لقبض المال ، فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه : إبدأ بالمهاجرين ، فنادهم ، وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير .

ثم ثن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك ، ومن يحضر الناس كلهم ، الأحمر والأسود ، فاصنع به مثل ذلك . فقال سهل بن حنيف : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم . فقال : نعطيه كما نعطيك ، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير.

ولم يفضل أحداً على أحد . وتخلف عن هذا القسم يومئذٍ : طلحة ، والزبير ، وعبد الله بن عمر ، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، ورجال من قريش وغيرها .

وسمع عبيد الله بن أبي رافع - وهو كاتب علي « عليه السلام » - عبد الله بن الزبير يقول لأبيه ، وطلحة ، ومروان ، وسعيد : ما خفي علينا أمس من كلام علي ما يريد . فقال سعيد بن العاص ، والتفت إلى زيد بن ثابت : إياك أعني واسمعي يا جارة . فقال عبيد الله بن أبي رافع لسعيد وعبد الله بن الزبير : إن الله يقول في كتابه ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ).

ثم إن عبيد الله بن أبي رافع أخبر علياً « عليه السلام » بذلك فقال : والله إن بقيت وسلمت لهم لأقيمنهم على المحجة البيضاء ، والطريق الواضح . قاتل الله ابن العاص ، لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أني أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك .

**تاريخ معركة الجمل :**

ذكر بعض المؤرّخين أنّها وقعت في جمادى الأُولى عام ( 36 هـ ) ، بينما أكّد بعض آخر أنّها وقعت في جمادى الثانية من العام نفسه ، ولم تدُم أكثر من يوم واحد . وتاريخ الرسالتين اللتين بعثهما الإمام إلى أهالي المدينة والكوفة بعد انتهاء الحرب يؤيّد الرأي الأوّل .

فقد جاء في ختام هاتين الرسالتين : " وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى الأُولى من سنة ستّ وثلاثين من الهجرة ".

النقطة الجديرة بالاهتمام فيما يخصّ تاريخ وقوع أوّل حرب داخليّة في عهد حكومة الإمام ( عليه السلام ) هي أنّ هذه الحرب وقعت بعد خمسة أشهر فقط من مبايعة الناس إيّاه ، وأنّه بقي مشغولا بإخماد الفتن الداخليّة طوال عهد حكومته الذي استمرّ لأقلّ من خمس سنوات .

وهذا يعني أنّه لم تسنح له الفرصة للبناء ولتنفيذ سياساته وخططه . ولكنّه في الوقت ذاته لم يفرّط بأيّة فرصة ، وقدّم في عهد حكومته أفضل وأبدع أساليب الحكم ، وخلّف أكبر رقم في ميدان البناء والإعمار والاصلاح- كما مر سابقا- .

**مكان المعركة:**

البصرة التي كانت مركزاً عسكريّاً تنطلق منه الجيوش الإسلاميّة لدى فتحها بلاد الشرق .هي المدينة التي قامت بها هذه المعركة.

فعندما عزم الناكثون على محاربة أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، صاروا يبحثون عن مدينة عسكريّة . ولم تكن هناك مدينة تحمل هذه الخصوصيّة غير البصرة والكوفة . ونظراً لطبيعة علاقة أهالي الكوفة بالإمام عليّ ( عليه السلام ) ، وتنفُّذ بعض رؤوس الناكثين بين أهالي البصرة ، فقد وقع اختيارهم على البصرة .

وقعت معركة الجمل في **الزابوقة**  التي هي في ضواحي البصرة ، أو في **الزاوية**  ؛ التي كانت واحدة من أحياء البصرة أو في **الخريبة** .

واختارت هذه الشرذمة البصرة بعد مداولات كثيرة ، ذلك أنّهم من جهة لم يثقوا بمعاوية ؛ فيذهبوا إلى الشام ، ومن جهة أخرى إنّهم كانوا يبتغون مدينة هي في الوقت نفسه قاعدة عسكرية ولم تكن مدينة غير الكوفة والبصرة لها هذه الخصوصيّة ، فاختاروا البصرة لميل أهل الكوفة للإمام عليّ ( عليه السلام ) – كما ذكرنا- ، وميل أهل البصرة إلى عثمان ، مضافاً إلى نفوذ ابن عامر في البصرة لأنّه كان حاكماً عليها ، وهذا ما يساعدهم في استقطاب الناس والحصول على معلومات ضروريّة تخدم موقف الحرب .

قال الزبير : الشام بها الرجال والأموال ، وعليها معاوية ، وهو ابن عمّ الرجل ، ومتى نجتمع يولِّنا عليه .

وقال عبد الله بن عامر : البصرة ؛ فإن غلبتم عليّاً فلكم الشام ، وإن غلبكم عليٌّ كان معاوية لكم جُنّة ، وهذه كتب أهل البصرة إليّ .

فقال يعلى بن منية - وكان داهياً - : أيّها الشيخان ! قدِّرا قبل أن ترحلا أنّ معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة ، وأنتم تقدمون عليه غداً في فرقة ، وهو ابن عمّ عثمان دونكم ؛ أرأيتم إن دفعكم عن الشام ، أو قال : أجعلها شورى ، ما أنتم صانعون ؟ أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا منها ؟ وأقبح من ذلك أن تأتيا رجلاً في يديه أمر قد سبقكما إليه ، وتريدا أن تخرجاه منه . فقال القوم : فإلى أين ؟ قال : إلى البصرة

**عدد المشاركين في المعركة :**

بلغ قوام الجيشين في معركة الجمل خمسين ألفاً ، اذ شكّل جيش الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام ) عشرين ألفاً منهم ، وشكّل جيش الناكثين ثلاثين ألفاً.

ومن اللافت للنظر في جيش الإمام ( عليه السلام ) أنّ بين أُمرائه عدداً من وجوه الصحابة المعروفين بطهرهم ، وجلالتهم ، والتزامهم ، وتعبّدهم .

**قادة جيش الإمام (عليه السلام):** من بين ابرز القادة كان

عمّار بن ياسرالذي كان **قائد الخيّالة** ،و **قائد الرجّالة** : محمّد بن أبي بكر ،و **قائد المقدّمة** : عبد الله بن عبّاس ،**و قائد الميمنة** : الإمام الحسن ( عليه السلام ) ،و **قائد الميسرة** : الإمام الحسين ( عليه السلام ) ،و **صاحب الراية** : محمّد ابن الحنفيّة .

فقد شارك الكثير من أكابر أصحاب الرسول ( صلى الله عليه وآله ) في معركة الجمل إلى جانب الإمام عليّ ( عليه السلام ) ، إلاّ أنّ الروايات تختلف في ذكر عددهم ؛ فبعض المصادر يصرّح بأنّ عددهم كان ثمانون من أهل بدر ، وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) . ويذكر آخر أنّ عدد المشاركين في هذه المعركة من أصحاب الرسول كان ثمانمائة من الأنصار ، وأربعمائة ممّن شهدوا بيعة الرضوان .

ومن بين الشخصيّات البارزة التي شاركت في جيش الإمام عليّ ( عليه السلام ) يمكن الإشارة إلى كلّ من : أبي أيّوب الأنصاري ، أبي الهيثم بن التيّهان ، خزيمة بن ثابت ، عبد الله بن بديل ، عبد الله بن عبّاس ، عثمان بن حنيف ، عديّ بن حاتم ، عمّار بن ياسر ، عمرو بن الحمق ، عمر بن أبي سلمة ، هاشم بن عتبة . وشخصيّات كبيرة أُخرى مثل : أُويس القرني ، جارية بن قدامة ، حجر بن عديّ ، زيد بن صوحان ، سيحان بن صوحان ، صعصعة بن صوحان ، مالك الأشتر ، شريح بن هاني ، محمّد بن أبى بكر ، محمّد ابن الحنفيّة .

وكان بين أُولئك الذين وقفوا إلى جانب الإمام ( عليه السلام ) شخصيّتان مؤثّرتان جدّاً : الأُولى : عمّار بن ياسر ، فبالنظر إلى اشتهار ما تنبّأ به الرسول ( صلى الله عليه وآله ) حول مصيره ، كان وجوده في جيش الإمام عليّ ( عليه السلام ) كفيلا بعدم وقوف كلّ من يؤمن بالرسول ( صلى الله عليه وآله ) ضدّ جيش الإمام . ولهذا يُروى أنّ الزبير لمّا بلغه أنّ عمّاراً مع عليّ ( عليه السلام ) " ارتاب بما كان فيه " .

والثانية : أُمّ سلمة ، وكان وجودها دليلا على تأييد زوجة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) لجبهة الإمام .

**اما قادة جيش الناكثين فمنهم:** الزبير بن العوّام **قائد الحرب** ،و **قائد الخيّالة** : طلحة بن عبيد الله ،و **قائد خيّالة الميمنة** : مروان بن الحكم ،و **قائد خيّالة الميسرة** : هلال بن وكيع الدارمي ، **قائد الرجّالة :** عبد الله بن الزبير،و **قائد رجّالة الميمنة** : عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ،و **قائد رجّالة الميسرة :** عبد الرحمن بن الحارث ،و **صاحب الراية :** عبد الله بن حكيم . وكان فيهم عائشة زوج الرسول ( صلى الله عليه وآله ).

**نبذة عن بعض رجالات الجمل:**

**طلحة بن عبيد الله :**

أحد السابقين إلى الإسلام ، ومن كبار الصحابة . آخى الزبيرَ قبل الهجرة. كان تاجراً ، وعندما وقعت معركة بدر كان قد ذهب في تجارة إلى الشام. كان الخلفاء يحترمونه بعد وفاة النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) . اختاره عمر في الشورى السداسيّة ، لكنّه اعتزل لمصلحة عثمان. كان في غاية الدهاء والسياسة . حصل على ثروة طائلة في عصر الخليفة عثمان ؛ بسبب الأموال التي كان قد أعطاها إيّاه بلا حساب .

حتى ان الخليفة عثمان كان قد وَهَبه مرّةً دَيْناً كان عليه بلغ خمسين ألف درهم ، وقال له : معونةً على مروءتك . كان من ملاّكي الأرض الكبار ، حتى كان يُغِلّ بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف ، ويُغلّ بالسَّراة عشرة آلاف دينار. خلّف بعد موته ثروةً قدِّرت بثلاثين مليون درهم .

لم يُولِّه الخليفة عثمان على مصر من الأمصار مع أنّه كان يعظّمه ، ويعود ذلك إلى أنّه كان يهتمّ كثيراً بأقاربه وبِطانته ، ومن هنا توتّرت العلاقة بينهما ، كما أعرض الخليفة عثمان أيضاً عن أهمّ سند له في الماضي وهو عبد الرحمن بن عوف. كان طلحة يطمح إلى الخلافة ؛ فكتب إلى البصرة ، والكوفة ، وغيرهما من الأمصار محرّضاً أهلها على قتل عثمان . وكان بيت المال بيده في جريان قتل عثمان ، بَيْدَ أنّه لم يستطع أن يطالب بالخلافة ؛ لاتّهامه بالمشاركة في قتله ؛ فبايع أميرَ المؤمنين ( عليه السلام ) ، والعجيب أنّه أوّل شخص يبايع .

لم يظفر طلحة بالخلافة ، ويضاف إلى ذلك أنّه حُرِمَ من الامتيازات التي كانت له في عهد عثمان . ممّا حدا به إلى إعلان معارضته للإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، فأوقد نار الحرب مع الزبير ، وعائشة ، وغيرهما . وكان يقول : إنّا داهَنّا في أمر عثمان ، فلا نجد اليوم شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه قُتل طلحة في معركة الجمل سنة 36 هـ ، بسهم رماه به مروان بن الحكم مِن خلفه .

كان طلحة بن عبيد الله يغلّ بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف ، ويغلّ بالسراة عشرة آلاف دينار أو أقلّ أو أكثر ، ولقد كان يُدْخِل قُوتَ أهله بالمدينة سَنَتَهم من مزرعة بقناة كان يزرع على عشرين ناضحاً ، وأوّل من زرع القمح بقناة هو . فقال معاوية : عاش حميداً سخيّاً شريفاً ، وقتل فقيراً ، كانت قيمة ما ترك طلحة بن عبيد الله من العقار والأموال وما ترك من الناضّ ثلاثين ألف ألف درهم ، ترك من العين ألفَي ألف ومائتي ألف درهم ، ومائتي ألف دينار ، والباقي عُروض .

وفي خلافة عثمان ابتنى داره بالكوفة ، المشهورة والمعروفة - بالكناسة - بدار الطلحيّين ، وشيّد داره بالمدينة وبناها بالآجُرّ والجصّ والساج .

الزبير بن العوّام :

هو ابن عمّة النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) وأمير المؤمنين عليّ ( عليه السلام ) ، وكان من الصحابة الشجعان المشهورين ، وشهد مشاهد النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) كلّها ، وجُرح عدّة مرّات. امتنع من بيعة الخليفة أبي بكر ، وكان من خاصّة أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، وأصحابه الأُوَل ، قيل : إنّه حضر دفن السيّدة فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) ، ممّا يدلّ على قربه من الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) . كان أحد الستّة الذين رشّحهم عمر للشورى ، واعتزل نصرةً للإمام عليّ ( عليه السلام ) . وكان صهر أبي بكر ، بيد أنّه أمضى سنوات من عمره إلى جانب أمير المؤمنين ( عليه السلام ) . وقال ( عليه السلام ) فيه : ما زال الزبير رجلاً منّا أهلَ البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله .

وهذا يدلّ على أنّ عبد الله بن الزبير كان مثيراً للفتنة ، وهو ما سنشير إليه لاحقاً . كَنَز الزبير ثروة طائلة في عهد الخليفة عثمان بلغت عند موته خمسين ألف دينار ، وألف فرس ، وألف عبد وأمَة . لكنّه لم يتولَّ منصباً . وكان يساعد الثوّار الذين نهضوا ضدّ الخليفة عثمان ، بل طالب بقتله ؛ علّه يتقلّد أمر الخلافة .

وبايع الامام عليّ ( عليه السلام ) بعد قتل الخليفة عثمان ، ولكنّه لمّا حُرم من الإمارة ، ومن الامتيازات التي كانت له في عصر الخليفة عثمان ، رفع لواء المعارضة بوجه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) يحرّضه على ذلك ولدُه عبد الله . توجّه إلى مكّة مع طلحة متظاهرَين أنّهما يريدان العمرة، وهناك نسّقا مع السيدة عائشة وغيرها ، ثمّ اتّفقوا على إشعال فتيل " الجمل " ، واعتزل الزبير الحرب بعد كلام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) معه ، لكنّه اغتيل على يد ابن جرموز.

وفي خلافة عثمان بنى داره بالبصرة وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والإسكندريّة ، وما ذكرنا من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول إلى هذه الغاية .

**عبد الله بن الزبير :**

ولد في السنة الأُولى من الهجرة بالمدينة ، وهو أوّل مولود من أولاد المهاجرين. وكان حفيد الخليفة أبي بكر. وله دور مهمّ في إيقاد حرب الجمل .

وقال فيه أمير المؤمنين عليّ ( عليه السلام ) : ما زال الزبير رجلاً منّا أهلَ البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله .

وبذل قصارى جهده في تولية أبيه الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان ، إلاّ أنّه لم يُفلح في ذلك ، وكان حلقة الوصل بين السيدة عائشة من جهة ، والزبير وطلحة من جهة أُخرى .

وعندما عزم الزبير على اعتزال القتال حاول أن يُثنيه عمّا هو بسبيله مستخدماً ضروب الحيل الأخلاقيّة والعاطفيّة . ولمّا لم يبق أحد حول جمل السيدة عائشة ، أخذ بزمامه ، وجُرح جرحاً بليغاً في اصطراعه مع مالك الأشتر . وكان يرغب في قتل مالك حتى لو كلّفه ذلك نفسَه ، لذا كان يقول وهما مصطرعان : اقتُلوني ومالِكاً \* وقوله اقتُلوا مالكاً معي !

عفا عنه الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) بعد الحرب ، بطلب من السيدة عائشة. وكان مغروراً منبوذاً حتى أنّ معاوية لم يحترمه ولم يُبالِ به .

ولم يبايع يزيدَ بعد هلاك معاوية . وتوطّن مكّة حفظاً لنفسه ثمّ تسلّط عليها فهاجمها جيش يزيد لدحره ، واحترقت الكعبة ، ودُمّرت في ذلك الهجوم . لكنّ عبد الله نجا عندما بلغ مكّة خبرُ هلاك يزيد. ثمّ ادّعى الخلافة سنة 64 هـ ، واستولى على الحجاز واليمن والعراق وخراسان . وطلب البيعة من عبد الله بن عبّاس ، ومحمّد ابن الحنفيّة ، فلم يستجيبا له ، فعزم على إحراقهما ، بَيْدَ أنّهما نجَوَا بعد حملة المختار . قُتل ابن الزبير ، ثمّ صُلب في عهد عبد الملك بن مروان سنة 73 ه‍ ، بعدما أغار الحجّاج على مكّة والمسجد الحرام .

**مروان بن الحكم :**

كان مروان بن الحكم شخصاً مشبوهاً ، ورجلا انتهازيّاً يميل إلى إثارة الفتن والاضطرابات ، ويمثّل تجسيداً للشخص المرسوس في أوساط حركة لا ينسجم مع مسارها ولا يعتقد بقيمها ولا يتماشى مع مُثُلها.وأمثال هؤلاء الأشخاص يُلحقون أضراراً فادحة بالتيّار الفكري أو السياسي الذي ينتمون إليه .

إنّ التأثير العميق الذي كان لمروان على الخليفة عثمان من جهة ، والرغبة الجامحة في إيجاد حكومة مجرّدة من القيم من جهة أُخرى ، فضلا عن عدم اعتقاده بالثقافة الإسلاميّة ، جعل له دوراً مهمّاً في التطوّرات التي عصفت بالمجتمع الإسلامي آنذاك . لقد كان له دور جدير بالتأمّل في تأجيج نار الغضب من جديد في نفوس الثائرين على الخليفة عثمان ، وتعجيل اضطرام المناحرات حول دار الخلافة . والمترجَم له هو ابن عمّ عثمان . وُلدَ في مكّة أو في الطائف ، ولكن لمّا كان النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) قد نفى أباه الحكم بن أبي العاص إلى الطائف ، فقد ذهب معه إليها ؛ لذلك لم يَرَ رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

وفرّ بعد مقتل الخليفة عثمان إلى مكّة ، ولحق بالمتمرّدين ؛ أي أصحاب الجمل . وكان على الميمنة في حرب الجمل ، وله فيها دور ماكر . وقَتل في مَعْمعتها طلحةَ ؛ لأنّه كان يحسبهُ قاتلَ الخليفة عثمان ، وجُرح في الحرب ، بيد أنّ الإمام ( عليه السلام ) عفا عنه ، ثمّ التحق بمعاوية ، واشترك معه في حرب صفّين .

تولّى حكم المدينة سنة 42 هـ ، وهو الذي حال دون دفن الإمام الحسن ( عليه السلام ) عند جدّه المصطفى ( صلى الله عليه وآله ). تأمّر مروان على المسلمين بعد يزيد بن معاوية ، لكنّه لم يحكم أكثر من تسعة أو عشرة أشهر ، فتحقّق فيه كلام الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه ؛ إذ كان قد شبّه قِصَرَ إمارته ب‍ " لَعْقَة الكَلْبِ أنفَه " ، ثمّ تسلّط أبناؤه من بعده . هلك مروان سنة 65 هـ‍ .

**يَعلى بن مُنْيَة :**

صهر الزبير ، وعامل الخليفة أبو بكروعمر وعثمان على اليمن، عزله أمير المؤمنين ( عليه السلام ) بعد مقتل الخليفة عثمان ، فنهب بيت مال اليمن ولجأ إلى مكّة ومعه ستّمائة ألف درهم وستّمائة بعير، فالتحق فيها بعائشة وطلحة والزبير ، وتعهّد بنفقات الحرب ، فدفع أربعمائة ألف درهم للمحاربين ، وجعل الإبل تحت تصرّفهم .

وهو الذي اشترى الجمل الذي كانت عليه السيدة عائشة. وله ثروة طائلة أيضاً ، وكان أحد الصحابة الذين سَطَوا على بيت المال ، فملؤوا جيوبهم منه . فلمّا كان يوم الجمل وانكشف الناس هرب يعلى بن منية .

**دوافع البغاة في قتال الإمام .**

كان الزبير لا يشكّ في ولاية العراق ، وطلحة في اليمن ، فلمّا استبان لهما أنّ عليّاً غير مولّيهما شيئاً ، أظهرا الشكاة ؛ فتكلّم الزبير في ملأ من قريش ، فقال : هذا جزاؤنا من عليّ ! قمنا له في أمر عثمان ، حتى أثبتنا عليه الذنب ، وسبّبنا له القتل ، وهو جالس في بيته وكفي الأمر . فلمّا نال بنا ما أراد ، جعل دوننا غيرنا .

فقال طلحة : ما اللوم إلاّ أنّا كنّا ثلاثة من أهل الشورى ، كرهه أحدنا وبايعناه ، وأعطيناه ما في أيدينا ، ومنعَنا ما في يده ؛ فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا .

فانتهى قولهما إلى عليّ(عليه السلام)، فدعا عبد الله بن عبّاس وكان استوزره ، فقال له : بلغك قول هذين الرجلين ؟ قال : نعم ، بلغني قولهما . قال : فما ترى ؟ قال : أرى أنّهما أحبّا الولاية ؛ فولِّ البصرة الزبير، وولِّ طلحة الكوفة ؛ فإنّهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان .

فضحك عليّ (عليه السلام)، ثمّ قال : ويحك ، إنّ العراقَين بهما الرجال والأموال ، ومتى تملّكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ، ويضربا الضعيف بالبلاء ، ويقوَيا على القويّ بالسلطان ، ولو كنت مستعملاً أحداً لِضُرّهِ ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ، ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية ، لكان لي فيهما رأي .

خروج طلحة والزبير إلى مكّة في أعقاب عدّة أيّام من المداولات التي أجراها طلحة والزبير مع الإمام في سبيل الحصول على بعض المناصب الحكوميّة ، وكسب الامتيازات الاقتصاديّة ، ولم تتمخّض هذه المباحثات إلاّ عن رفضه الانصياع لمطاليبهم ، تناهى إليهم خبر إعلان السيدة عائشة في مكّة عن معارضتها للإمام(عليه السلام) ، والبراءة من قتلة الخليفة عثمان . ومن جهة أُخرى فقد فرّ بعض عمّال الخليفة عثمان برفقة الأموال التي نهبوها من بيت المال إلى مكّة خوفاً من حساب الإمام(عليه السلام) لهم . وهكذا فقد عزم كلّ من طلحة والزبير على الذهاب إلى مكّة ، والإعلان عن معارضتهما لحكومة الإمام من هناك . فجاءاه وهما يضمران هذه النيّة .

ومروان رجل ماكر ، مريب ، بعيد عن الدين ، وعبد الله بن عامر شخص موتور فَقَدَ سلطته بعد أن ملأ جيوبه بدنانير بيت المال ودراهمه ، وهكذا كان يعلى بن منية ؛ فامتزج حبّ السلطة ، ونزعة الترف ، وبلبلة الهوَس بفتنة عمياء تمخّضت عنها معركة الجمل .

**دعوة طلحة والزبير السيدة عائشة إلى الخروج :**

قدم طلحة والزبير على السيدة عائشة ، فدعوها إلى الخروج ، فقالت : أتأمراني أن أُقاتل ؟ فقالا : لا ، ولكن تُعلمين الناس أنّ عثمان قُتل مظلوماً ، وتدعيهم إلى أن يجعلوا الأمر شورى بين المسلمين ؛ فيكونوا على الحالة التي تركهم عليها عمر بن الخطّاب ، وتُصلحين بينهم .

**رسائل السيدة عائشة إلى وجوه البلاد :**

جاء في تاريخ الطبري : كتبت عائشة إلى رجال من أهل البصرة ، ومنهم الأحنف بن قيس ، وصبرة بن شيمان ، وأمثالهم من الوجوه ، ومضت حتى إذا كانت بالحُفَير انتظرت الجواب بالخبر.

وفي الكامل في التاريخ جاء : كتبت عائشة إلى أهل الكوفة بما كان منهم ، وتأمرهم أن يثبّطوا الناس عن عليّ ، وتحثّهم على طلب قتلة عثمان .

وكتبت إلى أهل اليمامة وإلى أهل المدينة بما كان منهم أيضاً .

**تأهّب السيدة عائشة للخروج :**

لمّا رأت السيدة عائشة اجتماع من اجتمع إليها بمكّة على مخالفة أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، والمباينة له والطاعة لها في حربه تأهّبت للخروج . وكانت في كلّ يوم تقيم مناديها ينادي بالتأهّب للمسير ، وكان المنادي ينادي ويقول : من كان يريد المسير فليسِر ؛ فإنّ أُمّ المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب بدم عثمان بن عفّان المظلوم .

**تأهّب الإمام(عليه السلام) لمواجهة الناكثين:**

استشارالإمام أصحابه فيما كان معاوية قد أخضع الشام لسلطته عدّة سنين ، بيد مبسوطة وهيمنة قيصريّة ، ولم يردعه أحد من الخلفاء الماضين عن أعماله قطّ . وكان يعرف أميرَ المؤمنين (عليه السلام ) حقّ معرفته ، ويعلم علم اليقين أنّه لا يتساهل معه أبداً . فامتنع عن بيعته ، ورفع قميص عثمان ، ونادى بالثأر له مستغلاًّ جهل الشاميّين ، وتأهّب للحرب .

فتجهّز الإمام ( عليه السلام ) لقمع هذا الباغي ، وعيّن الأُمراء على الجيش ، وكتب إلى عمّاله في مصر ، والكوفة ، والبصرة يستظهرهم بإرسال القوّات اللازمة . وبينا كان يعدّ العدّة لذلك بلغه تواطؤ طلحة والزبير وعائشة في مكّة ، وإثارتهم للفتنة ، وتحرّكهم صوب البصرة ، فرأى ( عليه السلام ) أنّ إخماد هذه الفتنة أولى ، لذلك دعا وجهاء أصحابه واستطلع آراءهم .

ويستوقفنا حقّاً أُسلوب هذا الحوار ، وآراء أصحابه ، وموقفه الحاسم ( عليه السلام ) من قمع البغاة ، وقد اشترك في الحوار المذكور : عبد الله بن عبّاس ، ومحمّد بن أبي بكر ، وعمّار بن ياسر ، وسهل بن حُنيف ، واقترح عبد الله بن عبّاس عليه أن يأخذ معه أُمّ سلمة أيضاً ، فرفض صلوات الله عليه ذلك ، وقال : " فإنّي لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة " . ولِمَ ذاك ؟ ذاك لأنّه ( عليه السلام ) لم يفكّر إلاّ بالحقّ لا بالنصر كيفما كان .

وكتب ( عليه السلام ) إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام ، وإلى عثمان بن حُنيف ، وإلى أبي موسى مثل ذلك ، وأقبَل على التهيّؤ والتجهّز ، وخطبَ أهلَ المدينة ، فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة وقال : . . . انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرّقون جماعتكم ؛ لعلّ الله يُصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق ، وتقضون الذي عليكم . فبينا هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكّة بنحو آخر وتمام على خلاف فقام فيهم بذلك.

فقال : ألا وإنّ طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين قد تمالؤوا على سخط إمارتي ، ودَعَوا الناس إلى الإصلاح ، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم ، وأكفّ إن كفّوا ، وأقتصر على ما بلغني عنهم.

ولمّا اجتمع القوم على ما ذكرناه من شقاق أمير المؤمنين ( عليه السلام ) والتأهّب للمسير إلى البصرة ، واتّصل الخبر إليه ، وجاءه كتاب بخبر القوم ، دعا ابن عبّاس ، ومحمّد بن أبي بكر ، وعمّار بن ياسر ، وسهل بن حنيف ، وأخبرهم بالكتاب وبما عليه القوم من المسير . فقال محمّد بن أبي بكر : ما يريدون يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم ( عليه السلام ) وقال : يطلبون بدم عثمان ! فقال محمّد : والله ، ما قتل عثمانَ غيرُهم ، ثمّ قال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : أشيروا عليَّ بما أسمع منكم القول فيه . فقال عمّار بن ياسر : الرأي المسير إلى الكوفة ؛ فإنّ أهلها لنا شيعة ، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة .

وقال ابن عبّاس : الرأي عندي يا أمير المؤمنين أن تُقدِّم رجلاً إلى الكوفة فيبايعون لك ، وتكتب إلى الأشعري أن يبايع لك ، ثمّ بعده المسير حتى نلحق بالكوفة ، وتعاجل القوم قبل أن يدخلوا البصرة ، وتكتب إلى أُمّ سلمة فتخرج معك ؛ فإنّها لك قوّة .

فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : بل أسير بنفسي ومن معي في اتّباع الطريق وراء القوم ، فإن أدركتهم في الطريق أخذتهم ، وإن فاتوني كتبت إلى الكوفة واستمددت الجنود من الأمصار وسرت إليهم . وأمّا أُمّ سلمة فإنّي لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة .- كما ذكرنا سابقا-

فبينما هم في ذلك إذ دخل عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة وقال لأمير المؤمنين ( عليه السلام ) : فداك أبي وأُمّي ! لا تسِر سيراً واحداً ، وانطلق إلى يَنْبُع ، وخلِّف على المدينة رجلاً ، وأقِم بما لَكَ ؛ فإنّ العرب لهم جولة ثمّ يصيرون إليك .

فقال له ابن عبّاس : إنّ هذا القول منك يا أُسامة إن كان على غير غِلٍّ في صدرك فقد أخطأت وجه الرأي فيه ، ليس هذا برأي بصير ، يكون والله كهيئة الضبع في مغارتها .

فقال أُسامة : فما الرأي ؟ قال : ما أشرتُ به ، أو ما رآه أمير المؤمنين لنفسه . ثمّ نادى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) في الناس : تجهّزوا للمسير ؛ فإنّ طلحة والزبير قد نكثا البيعة ، ونقضا العهد ، وأخرجا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة ، وسفك دماء أهل القبلة .

**خروج الإمام (عليه السلام) من المدينة : -**

خرج الامام عليّ (عليه السلام) يبادرهم في تعبيته التي كان تعبّى بها إلى الشام ، وخرج معه من نشط من الكوفيّين والبصريّين متخفّفين في سبعمائة رجل ، وهو يرجو أن يدركهم ، فيحول بينهم وبين الخروج ، فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال : يا أمير المؤمنين لا تخرج منها ؛ فوَالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ، ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فقال : دعوا الرجل ؛ فنعم الرجل من أصحاب محمّد ( صلى الله عليه وآله ) .

وسار حتى انتهى إلى الرَّبَذة فبلغه ممرّهم ، فأقام حين فاتوه يأتمر بالربَذة فقد خرج في سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار ، واستخلف على المدينة تمّام بن العبّاس ، وبعث قُثَم بن العبّاس إلى مكّة ، ولمّا رأى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) التوجّهَ إلى المسير طالباً للقوم رَكب جملا أحمر وقاد كُميتاً وسار وهو يقول :

**سيروا أبابيل وحثّوا السيرا كي نلحق التَّيميَّ والزبيرا**

**إذ جلبا الشرّ وعافا الخيرا يا ربّ أدخلهم غداً سعيرا**

وسار مُجدّاً في السير حتى بلغ الربذة ، فوجد القوم قد فاتوا ، فنزل بها قليلا ثمّ توجّه نحو البصرة ، والمهاجرون والأنصار عن يمينه وشماله ، محدقون به مع من سمع بمسيرهم ، فاتّبعهم حتى نزل بذي قار فأقام بها .

وعندما توجّه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) إلى البصرة ونزل الرَّبَذة ، لقيه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه ، قال ابن عبّاس : فأتيته فوجدته يخصف نعلا ، فقلت له : نحن إلى أن تُصلح أمرنا أحوج منّا إلى ما تصنع ، فلم يكلّمني حتى فرغ من نعله ، ثمّ ضمّها إلى صاحبتها ثمّ قال لي : قومّها ؟

فقلت : ليس لها قيمة .

قال : على ذاك ! قلت : كسر درهم ، قال : والله لهما أحبّ إليّ من أمركم هذا إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلا .

قلت : إنّ الحاجّ قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك ، فتأذن لي أن أتكلّم ؛ فإن كان حسناً كان منك ، وإن كان غير ذلك كان منّي ؟ قال : لا ، أنا أتكلّم .

ثمّ قام فأخذت بثوبه فقلت : نشدتك الله والرحم ؟ قال : لا تنشدني . ثمّ خرج فاجتمعوا عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ الله تعالى بعث محمّداً ( صلى الله عليه وآله ) وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة ، فساق الناس إلى منجاتهم ، أمَ والله ما زلت في ساقتها ؛ ما غيّرت ولا خُنتُ حتى تولّت بحذافيرها . مالي ولقريش ؟ أمَ والله لقد قاتلتهم كافرين ، ولأُقاتلنّهم مفتونين ، وإنّ مسيري هذا عن عهد إليّ فيه ، أمَ والله : لأبقرنّ الباطل حتى يخرج الحقّ من خاصرته . ما تنقم منّا قريش إلاّ أنّ الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيِّزنا

ولمّا قدم الامام عليّ عليه السلام الربذة أقام بها ، سرّح منها إلى الكوفة محمّد بن أبي بكر ، ومحمّد بن جعفر وكتب إليهم : إنّي اخترتكم على الأمصار ، وفزعت إليكم لما حدث ؛ فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وأيِّدونا وانهضوا إلينا ؛ فالإصلاح ما نريد ؛ لتعود الأُمّة إخواناً ، ومن أحبّ ذلك وآثره فقد أحبّ الحقّ وآثره ، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ وغَمِصه. فمضى الرجلان وبقي عليّ بالربذة يتهيّأ .

ويلاحظ وجود اختلافات شاسعة في عدد المبعوثين الى الكوفة من قبل الامام (عليه السلام ) وترتيبهم . ويبدو أنّ ترتيبهم الصحيح كان على النحو التالي :

أ : هاشم بن عتبة بعث الإمام علي ( عليه السلام ) وهو في الربذة - قرب المدينة - هاشم بن عتبة بكتاب إلى أبي موسى الأشعري - والي الكوفة - لاستنفار الناس ودعوتهم لمحاربة جيش أصحاب الجمل . وسبب اختياره لهاشم بن عتبة واضح ؛ فهو كان من قادة جيش المسلمين ، وكانت له وجاهة عند أهل الكوفة .

سار هاشم بن عتبة إلى الكوفة وأبلغ كتاب الإمام ( عليه السلام ) ، لكنّه واجه معارضة من قِبل أبي موسى الأشعري ، فبعث هاشم رسالة من الكوفة إلى الإمام ( عليه السلام ) بيّن له فيها طبيعة الأوضاع هناك . وفي أعقاب ذلك سار بنفسه إلى الإمام وشرح له مجريات الأُمور بالتفصيل .

ب : محمّد بن أبي بكر المبعوث الثاني للإمام هو محمّد بن أبي بكر الذي كانت له وجاهة عند جميع المسلمين ، وخاصّة عند الثوّار المناهضين لعثمان . وتتّفق المصادر التاريخيّة على وجود محمّد بن أبي بكر بين المبعوثين ، إلاّ أنّها تختلف في ترتيب إيفاده ؛ فبعضها يُفيد أنّه أُوفد قبل هاشم بن عتبة ، بينما يرى البعض الآخر منها أنّه أُوفد إلى الكوفة بعد رجوع هاشم بن عتبة منها. وهناك مصادر أُخرى لم تذكر زمناً معيّناً لأيّ منهما. كما يوجد ثَمّة اختلاف آخر حول أعضاء الوفد المرافق لمحمّد بن أبي بكر ، فبعض المصادر ذكرت اسم محمّد بن عون ، وذكرت مصادر أُخرى محمّد بن جعفر ، وبعضها ذكرت محمّد ابن الحنفيّة ، وذكر غيرها عبد الله بن عبّاس .

ج : الإمام الحسن وعمّار بن ياسر يمكن الجزم بأنّ الإمام الحسن ( عليه السلام ) وعمّار بن ياسر كانا من جملة المندوبين الذين أرسلهم أمير المؤمنين ( عليه السلام ) إلى الكوفة . فبعدما عجز الموفَدون الآخرون عن إقناع أبي موسى الأشعري وأهالي الكوفة بالنهوض والالتحاق بالإمام ( عليه السلام ) بعث هذين الرجلين إلى هناك . وقد أوردت كتب التاريخ والحديث نصوص خطبهما في الكوفة واحتجاجاتهما مع أبي موسى الأشعري . وفى نهاية المطاف سارا برفقة جيش الكوفة والتحقوا بجيش الإمام عليّ ( عليه السلام ) . وقد عزت بعض المصادر التاريخيّة إرسال جيش الكوفة إلى دور هذين الرجلين . بينما تحدّثت مصادر أُخرى عن مسير مالك الأشتر إلى هناك وطرده لأبي موسى الأشعري من قصر الإمارة .

د : مالك الأشتر ورد اسم مالك الأشتر بصفته مبعوثاً للإمام ( عليه السلام ) إلى الكوفة ، واعتبرته معظم المصادر هو آخر المبعوثين ، وقالت : إنّ جهوده قد أثمرت في استنفار أهالي الكوفة وإرسال جيش منهم لمؤازرة الإمام. وذكرت مصادر أُخرى بأنّ الأشتر قد أُوفد إلى الكوفة في مستهلّ الأمر ، ولكنّ جهوده باءت بالفشل .

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأشتر كانت له وجاهة لا نظير لها بين أهالي الكوفة . وقد استطاع في عهد الخليفة عثمان ، وفي ذروة هيمنة الخليفة أن يسيطر على الكوفة ويُثير أهلها ضدّ الخليفة عثمان . وفي ضوء ذلك يكون الاحتمال الأقوى هو أنّ الأشتر كان الموفد الأخير ، وأنّه سار إلى هناك لحسم الأُمور . أمّا الرواية التي أشارت إلى أنّه كان أوّل المبعوثين ، وأنّه قد فشل في مهمّته فهي رواية سيف بن عمر الذي يلاحظ بوضوح عداؤه الصريح للأشتر في مواضع لاحصر لها من كتاب تاريخ الطبري . وذكرت مصادر أُخرى أنّ الأشتر نفسه أعرب عن رغبته في المسير إلى الكوفة. لأنّ أبا موسى كان والياً لعثمان على الكوفة ، وأنّ الإمام قد رام عزله ولكنّه أبقاه في منصبه هذا نزولاً عند رغبة مالك الأشتر . وقد يُفهم أنّ عمله هذا قد جاء رغبة منه في التكفير عن خطئه الأوّل.

**وصول الناكثين الى البصرة :**

لمّا قربت السيدة عائشة ومن معها من البصرة بعث إليهم عثمانُ بن حُنيف عمرانَ بن الحصين الخزاعي أبا نجيد ، وأبا الأسود الدئلي ، فلقياهم بحفر أبي موسى فقالا لهم : فيما قدِمتم ؟

فقالوا : نطلب بدم عثمان ، وأن نجعل الأمر شورى ؛ فإنّا غضبنا لكم من سوطه وعصاه ؛ أفلا نغضب له من السيف ؟ ! ! وقالا لعائشة : أمركِ الله أن تقرّي في بيتك ؛ فإنّك حبيس رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وحليلته وحرمته .

فقالت لأبي الأسود : قد بلغني عنك يا أبا الأسود ما تقول فيَّ ! فانصرف عمران وأبو الأسود إلى ابن حنيف ، وجعل أبو الأسود يقول : يا بن حنيف قد أُتيتَ فانفرِ وطاعن القوم وضارب واصبرِ وابرز لهم مستلئماً وشمّرِ

فقال عثمان : إي وربّ الحرمين لأفعلنّ

**جهود الإمام لمنع القتال:**

عندما تحرّك الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) مع قوّاته من ذي قار ، بعث صَعْصَعة بن صُوحان إلى طلحة والزبير وعائشة ، ومعه كتاب تحدّث فيه عن إثارتهم للفتنة ، وذكر فيه موقفهم الحاقد الماكر من عثمان بن حُنيف ، وحذّرهم من مغبّة عملهم ، وعاد صعصعة فأخبره قائلاً : " رأيتُ قوماً ما يريدون إلاّ قتالك " .

وتأهّبت قوّات الطرفين للحرب ، بيد أنّ الإمام سلام الله عليه منع أصحابه من أن يبدؤوهم بقتال ، وحاول في بادئ أمره أن يردع أُولي الفتنة عن الحرب . وإنّ حديثه ( عليه السلام ) مع قادة جيش الجمل ، ومع الجيش نفسه يجلب الانتباه . وبذل قصارى جهده في سبيل المحافظة على الهدوء ، والحؤول دون اشتعال نار الحرب ، فبعث إلى قادة الجيش رسائل يحثّهم فيها على عدم الاصطدام ، ثمّ أوفد مبعوثيه للتفاوض معهم. ولمّا لم تثمر جهوده شيئاً ، ذهب بنفسه إليهم .

ونلاحظ أنّ الإمام ( عليه السلام ) قد ترجم لنا في تلك الرسائل والمحاورات شخصيّته وأبان عظيم قدره ، وأماط اللثام عن الموقف السابق الذي كان عليه مساعير الحرب ، وتحدّث مرّة أُخرى عن قتل عثمان وكيفيّته بدقّة تامّة ، وكشف أبعاد ذلك الحادث ، وأغلق على مثيري الفتنة تشبّثهم بالمعاذير الواهية . ولمّا وجد ذلك عقيماً وتأهّب الفريقان للقتال ، أوصى ( عليه السلام ) أصحابه بمَلْك أنفسهم والمحافظة على الهدوء ثم بعث ابن عبّاس ثانية من أجل التفاوض الأخير ؛ لعلّه يردعهم عن الحرب ؛ ، لئلاّ تُسفك دماء المسلمين هدراً ، بيد أنّ القوم خُتم على سمعهم ، فلم يصغوا إلى رسول الإمام ، كما لم يصغوا إلى الإمام ( عليه السلام ) من قبل .

وأقام عليّ ( عليه السلام ) ثلاثة أيّام يبعث رسله إلى أهل البصرة ، فيدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة ، فلم يجد عند القوم إجابة .

**التحذيرمن الحرب:**

لمّا تصافّ الناس يوم الجمل صاح صائح من أصحاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) : يا معاشر شباب قريش ! أراكم قد لججتم وغلبتم على أمركم هذا ، وإنّي أنشدكم الله أن تحقنوا دماءكم ولا تقتلوا أنفسكم ، اتّقوا الأشتر النخعي وجندب بن زهير العامري ، فإنّ الأشتر نشر درعه حتى يعفو أثره ، وإنّ جندباً يخرم درعه حتى يشمّر عنه ، وفي رايته علامة حمراء ، فلمّا التقى الناس أقبل الأشتر وجندب قبال الجمل يرفلان في السلاح حتى قتلا عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ومعبد بن زهير بن خلف بن أُميّة ، وعمد جندب لابن الزبير فلمّا عرفه قال : أتركك لعائشة .

قال ابن الزبير : إنّي لواقف في يمين رجل من قريش إذ صاح صائح : يا معشر قريش ! أُحذّركم الرجلين : جندباً العامري والأشتر النخعي .

وعمّاراً يقول : ما تريدون وما تطلبون ؟

فناديناه : نطلب بدم عثمان ، فإن خلّيتم بيننا وبين قتلته رجعنا عنكم .

وخرج الامام عليّ (عليه السلام)بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) لا سلاح عليه ، فنادى : يا زبير ، اخرج إليّ ، فخرج إليه الزبير شاكّاً في سلاحه ، فقيل ذلك لعائشة ، فقالت : واثكلك يا أسماء ، فقيل لها : إنّ عليّاً حاسر ، فاطمأنّت .

واعتنق كلّ واحد منهما صاحبه . فقال له عليّ (عليه السلام): ويحك يا زبير ! ما الذي أخرجك ؟ قال : دم عثمان ، قال : قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما تذكر يوم لقيت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في بني بياضة وهو راكب حماره ، فضحك إليّ رسول الله ، وضحكت إليه ، وأنت معه ، فقلت أنت : يا رسول الله ، ما يدع عليّ زهوه .

فقال لك : ليس به زهو ، أتحبّه يا زبير ؟ فقلت : إنّي والله لأحبّه . فقال لك : إنّك والله ستقاتله وأنت له ظالم .

فقال الزبير : أستغفر الله ، والله لو ذكرتها ما خرجت .

فقال له ( عليه السلام ) : يا زبير ، ارجع ، فقال : وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان ؟ هذا والله العار الذي لا يغسل .

فقال ( عليه السلام ) : يا زبير ، ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار . فرجع الزبير.

فقال ابنه عبد الله : أين تذهب وتدعنا ؟ فقال : يا بنيّ ، أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته ، فقال : لا والله ، ولكنّك فررت من سيوف بني عبد المطّلب ؛ فإنّها طوال حداد ، تحملها فتية أنجاد ، قال : لا والله ، ولكنّي ذكرت ما أنسانيه الدهر ، فاخترت العار على النار ، أبالجبن تعيّرني لا أبا لك ؟ ثمّ أمال سنانه وشدّ في الميمنة .

فقال عليّ : أفرجوا له فقد هاجوه . ثمّ رجع فشدّ في الميسرة ، ثمّ رجع فشدّ في القلب ، ثمّ عاد إلى ابنه ، فقال : أيفعل هذا جبان ؟ ثمّ مضى منصرفاً .

**عاقبة الزبير:**

هرب الزبير فارّاً إلى المدينة حتى أتى وادي السباع ، فرفع الأحنف صوته وقال : ما أصنع بالزبير ! قد لفّ بين غارين من الناس حتى قتل بعضهم بعضاً ، ثمّ هو يريد اللحاق بأهله . فسمع ذلك ابن جرموز ، فخرج في طلبه واتّبعه رجل من مجاشع حتى لحقاه ، فلمّا رآهما الزبير حذّرهما .

فقالا : أنت في ذمّتنا لا يصل إليك أحد ، وسايره ابن جرموز ، فبينا هو يسايره ويستأخر ، والزبير يفارقه ، قال : يا أبا عبد الله ، انزع درعك فاجعلها على فرسك فإنّها تثقلك وتُعييك ، فنزعها الزبير وجعل عمرو بن جرموز ينكص ويتأخّر ، والزبير يناديه أن يلحقه وهو يجري بفرسه ، ثمّ ينحاز عنه حتى اطمأنّ إليه ولم ينكر تأخّره عنه ، فحمل عليه وطعنه بين كتفيه ، ونزل فاحتزّ رأسه وجاء به إلى الأحنف ، فأنفذه إلى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) . فلمّا رأى رأس الزبير وسيفه قال : ناولني السيف ، فناوله ، فهزّه وقال : سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ولكنّ الحين ومصارع السوء ! ثمّ تفرّس في وجه الزبير وقال : لقد كان لك برسول الله ( صلى الله عليه وآله ) صحبة ومنه قرابة ، ولكنّ الشيطان دخل منخريك ، فأوردك هذا المورد.

**الإمام علي (عليه السلام )وطلحة:**

نادى عليّ ( عليه السلام ) طلحة حين رجع الزبير : يا أبا محمّد ، ما الذي أخرجك ؟

قال : الطلب بدم عثمان .

قال عليّ ( عليه السلام ): قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) يقول : " اللهمّ ! والِ من والاه ، وعادِ من عاداه " ؟ وأنت أوّل من بايعني ثمّ نكثت ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ( فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ).

أولم تبايعني يا أبا محمّد طائعاً غير مكره ؟ فما كنت لأترك بيعتي .

قال طلحة : بايعتك والسيف في عنقي .

قال : ألم تعلم أنّي ما أكرهت أحداً على البيعة ؟ ولو كنتُ مكرهاً أحداً لأكرهت سعداً ، وابن عمر ، ومحمّد بن مسلمة ، أبوا البيعة واعتزلوا ، فتركتهم .

قال طلحة : كنّا في الشورى ستّة ، فمات اثنان وقد كرهناك ، ونحن ثلاثة .

قال عليّ : إنّما كان لكما ألاّ ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة ، وأمّا الآن فليس لكما غير ما رضيتما به ، إلاّ أن تخرجا ممّا بويعت عليه بحدث ، فإن كنت أحدثت حدثاً فسمّوه لي . وأخرجتم أُمّكم عائشة ، وتركتم نساءكم ، فهذا أعظم الحدث منكم ، أرضى هذا لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أن تهتكوا ستراً ضربه عليها ، وتخرجوها منه ؟ !

فقال طلحة : إنّما جاءت للإصلاح .

قال عليّ ( عليه السلام ) : هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج . أيّها الشيخ اقبل النصح وارضَ بالتوبة مع العار ، قبل أن يكون العار والنار .

لكن كل هذه المحاولات انتهت بدون جدوى

**حدوث الاشتباكات:**

لمّا تقابل العسكران : عسكر أمير المؤمنين عليّ ( عليه السلام ) وعسكر أصحاب الجمل ، جعل أهل البصرة يرمون أصحاب عليّ ( عليه السلام ) بالنبل حتى عقروا منهم جماعة ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، إنّه قد عقرنا نبلهم فما انتظارك بالقوم ؟

فقال عليّ : اللهمّ إنّي أُشهدك أنّي قد أعذرت وأنذرت ، فكن لي عليهم من الشاهدين . ثمّ دعا عليّ بالدرع ، فأفرغها عليه ، وتقلّد بسيفه واعتجر بعمامته واستوى على بغلة النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) ، ثمّ دعا بالمصحف فأخذه بيده ، وقال : يا أيّها الناس ، من يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلى ما فيه ؟ فوثب غلام من مجاشع يقال له : مسلم ، عليه قباء أبيض ، فقال له : أنا آخذه يا أمير المؤمنين ، فقال له عليّ ( عليه السلام ): يا فتى إنّ يدك اليمنى تقطع ، فتأخذه باليسرى فتقطع ، ثمّ تضرب عليه بالسيف حتى تقتل . فقال الفتى : لا صبر لي على ذلك يا أمير المؤمنين . فنادى عليّ ( عليه السلام ) ثانية والمصحف في يده ، فقام إليه ذلك الفتى وقال : أنا آخذه يا أمير المؤمنين . فأعاد عليه عليّ مقالته الأُولى ، فقال الفتى : لا عليك يا أمير المؤمنين ، فهذا قليل في ذات الله ، ثمّ أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم ، فقال : يا هؤلاء ، هذا كتاب الله بيننا وبينكم . فضرب رجل من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها ، فأخذ المصحف بشماله فقطعت شماله ، فاحتضن المصحف بصدره فضرب عليه حتى قتل- رحمة الله عليه - .

ويبدو إنّ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) أنظرهم [ أصحاب الجمل ] ثلاثة أيّام ؛ ليكفّوا ويرعَوا ، فلمّا علم إصرارهم على الخلاف قام في أصحابه فقال : عباد الله ! انهدّوا إلى هؤلاء القوم منشرحةً صدورُكم ، فإنّهم نكثوا بيعتي ، وقتلوا شيعتي ، ونكّلوا بعاملي ، وأخرجوه من البصرة بعد أن آلموه بالضرب المبرّح ، والعقوبة الشديدة ، وهو شيخ من وجوه الأنصار والفضلاء ، ولم يرعَوا له حرمة ، وقتلوا السبابجة رجالاً صالحين ، وقتلوا حكيم بن جبلة ظلماً وعدواناً ؛ لغضبه لله ، ثمّ تتبّعوا شيعتي بعد أن هربوا منهم وأخذوهم في كلّ غائطة ، وتحت كلّ رابية ، يضربون أعناقهم صبراً ، ما لهم ( قَتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ) فانهدّوا إليهم عبادَ الله ، وكونوا أُسوداً عليهم ؛ فإنّهم شِرار ، ومساعدوهم على الباطل شِرار ، فالقوهم صابرين محتسبين موطّنين أنفسكم ، إنّكم مُنازِلون ومقاتلون ، قد وطّنتم أنفسكم على الضرب والطعن ومنازلة الأقران . فأيّ امرئ أحسّ من نفسه رباطة جأش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلاً ووهناً ، فليذبّ عنه كما يذبّ عن نفسه ؛ فلو شاء الله لَجعلَه مثله .

وأصحاب الجمل يصيحون : يا ثارات عثمان . وشقّ الامام عليّ (عليه السلام)في عسكر يقاتلهم.و اقتتل القوم قتالاً شديداً ،

حتى ان عبد الله بن الزبير لاذ بالجمل وتناول خطامه بيده ، فقالت عائشة : من هذا الذي أخذ بخطام جملي ؟ قال : أنا عبد الله ابن أُختك . فقالت : واثكلَ أسماء ! ثمّ برز الأشتر إليه ، فخلّى الخطام من يده وأقبل نحوه ، فقام مقامه في الخطام عبد أسود ، واصطرع عبد الله والأشتر ، فسقطا إلى الأرض ، فجعل ابن الزبير يقول - وقد أخذ الأشتر بعنقه - : اقتلوني ومالكاً ، واقتلوا مالكاً معي !

قال الأشتر :والله لقد عجبت من حمق عبد الله ؛ إذ ينادي بقتله وقتلي ، وما كان ينفعه الموت إن قتلتُ وقتل معي ، ولم تلِد امرأة من النخع غيري ! ! فأفرجتُ عنه ، فانهزم وبه ضربة مثخنة في جانب وجهه .

**مصرع طلحة بيد مروان :**

وجاء في الفتوح : جعل طلحة ينادي بأعلى صوته : عباد الله ! الصبر الصبر ! إنّ بعد الصبر النصر والأجر .

فنظر إليه مروان بن الحكم ، فقال لغلام له : ويلك يا غلام ! والله إنّي لأعلم أنّه ما حرّض على قتل عثمان يوم الدار أحد كتحريض طلحة ولا قتله سواه ! ولكن استرني فأنت حرّ ؛ فستره الغلام . ورمى مروان بسهم مسموم لطلحة بن عبيد الله ، فأصابه به ، فسقط طلحة لما به وقد غُمي عليه . ثمّ أفاق ، فنظر إلى الدم يسيل منه فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أظنّ والله أنّنا عُنينا بهذه الآية من كتاب الله عزّ وجلّ إذ يقول : ( وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )

**استمرار الحرب بقيادة السيدة عائشة :**

كان القتال الأوّل يستحرّ إلى انتصاف النهار ، وأُصيب فيه طلحة ، وذهب فيه الزبير ، فلمّا أووا إلى السيدة عائشة وأبى أهل الكوفة إلاّ القتال ولم يريدوا إلاّ عائشة ، ذَمَرتهم السيدة عائشة . فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا ، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة ، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير ، وفي وسطه مع السيدة عائشة .

وحملت ميمنة أمير المؤمنين (عليه السلام)على ميسرة أهل البصرة فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة. وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ، ويقال : إلى أن زالت الشمس ، ثمّ انهزموا.

**و**لمّا رأى الامام عليّ(عليه السلام) لوث أهل البصرة بالجمل ، وأنّهم كلّما كشفوا عنه عادوا فلاثوا به ، قال لعمّار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر وابن بديل ومحمّد بن أبي بكر وأشباههم من حماة أصحابه : إنّ هؤلاء لا يزالون يقاتلون ما دام هذا الجمل نصب أعينهم ، ولو قد عُقر فسقط لم تثبت له ثابتة . فقصدوا بذوي الجدّ من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا أهل البصرة عنه ، وأفضى إليه رجل من مراد الكوفة يقال له : أعين بن ضبيعة ، فكشف عرقوبه بالسيف ، فسقط وله رغاء ، فغرق في القتلى .

**مدّة الحرب :**

كانت الحرب من الظهر إلى غروب الشمس .اما في تاريخ الطبري فذكر عن عوانة : اقتتلوا يوم الجمل يوماً إلى الليل .

**عدد القتلى :**

قُتل في معركة الجمل من جيش الإمام عليّ ( عليه السلام ) خمسة آلاف. وتُجمع النصوص التاريخيّة كلّها على هذا العدد بدون أدنى اختلاف . ولكن هناك اختلاف كبير بين هذه النصوص حول عدد قتلى جيش الجمل بحيث لا يمكن التعويل كثيراً على أيّ منها . فقد ذكرت بعض الأخبار التاريخيّة أنّ عدد من قُتل منهم عشرون ألفاً ، بينما جاء في أخبار أُخرى أنّه قُتل منهم ثلاثة عشر ألفاً ، وعلى خبر آخر عشرة آلاف ، أو خمسة آلاف.

وما ذُكر من أنّ عدد قتلى أصحاب الجمل كان عشرة آلاف ، وإن لم يأتِ في مصادر تاريخيّة كثيرة ، إلاّ أنّ نبوءة الإمام عليّ ( عليه السلام ) في عدد قتلاهم تؤيّد هذا المعنى . فقد قال لمّا بلغه خروج عائشة .......و يُقتل ثلثهم ، ويهرب ثلثهم ، ويرجع ثلثهم. وبما أنّ عدد أصحاب الجمل كان ثلاثين ألفاً فيجب أن يكون عدد قتلاهم عشرة آلاف .

**أحداث ما بعد الجمل - :**

* قال عليّ ( عليه السلام ) لمحمّد بن أبي بكر : سِر مع أُختك حتى توصلها إلى المدينة ، وعجّل اللحوق بي بالكوفة . فقال : أعفِني من ذلك يا أمير المؤمنين .

فقال عليّ : لا أعفيك منه ، وما لك بُدُّ . فسار بها حتى أوردها المدينة

وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهنّ العمائم والقلانس ، وقلّدهنّ السيوف ، وأمرهنّ أن يحفظنها ، ويكنَّ عن يمينها وشمالها ومن ورائها . فجعلت عائشة تقول في الطريق : اللهمّ افعل بعليّ بن أبي طالب بما فعل بي ! بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله ( صلى الله عليه وآله) . فلمّا قدمنَ المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلنَ معها ، فلمّا رأتهنّ ندمت على ما فرّطت بذمّ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وسبّه . وقالت : جزى الله ابن أبي طالب خيراً ، فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

* **استخلاف ابن عبّاس على البصرة**

لمّا أراد أمير المؤمنين ( عليه السلام ) الخروج من البصرة استخلف عليها عبد الله بن العبّاس وأوصاه ، فكان في وصيّته له يا ابن عبّاس ، عليك بتقوى الله والعدل بمن وُلّيت عليه ، وأن تبسط للناس وجهك ، وتوسّع عليهم مجلسك وتسعهم بحلمك . وإيّاك والغضب ؛ فإنّه طيرة من الشيطان ، وإيّاك والهوى ؛ فإنّه يصدّك عن سبيل الله . واعلم أنّ ما قرّبك من الله فهو مباعدك من النار ، وما باعدك من الله فهو مقرّبك من النار . واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين .

* **قدوم الإمام إلى الكوفة**

لمّا قدم عليّ بن أبي طالب (عليه اتسلام)من البصرة إلى الكوفة لثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ستّ وثلاثين ، وقد أعزّ الله نصره ، وأظهره على عدوّه ، ومعه أشراف الناس وأهل البصرة ، استقبله أهل الكوفة وفيهم قرّاؤهم وأشرافهم ، فدعوا له بالبركة .

**الحرب الثانية**

**وقعة صفين (فتنة القاسطين ):**

**تاريخها :** بعد مضي حوالي أربعة أشهر على إخماد فتنة الناكثين بقيادة وطلحة والزبير السيدة عائشة وفي وقت لم تكن جراحها قد اندملت ودماؤها قد جفّت ، واجهت الدولة فتنة القاسطين بقيادة معاوية بن ابي سفيان .

خرج الإمام عليّ ( عليه السلام ) في الخامس من شوّال عام 36 هـ من الكوفة لإخماد هذه الفتنة. وفي أواخر ذي القعدة وأثناء حطّ الرحال في صفّين وقعت معركة خاطفة للسيطرة على شريعة الفرات التي سيطر عليها جيش معاوية قبل وصول الإمام وجيشه ، وقد انتهت هذه المعركة بانتصار جيش الإمام عليّ ( عليه السلام ) – كما سنرى- . وفي شهر ذي الحجّة وقعت مناوشات بين الجيشين ، إلى أن أُعلنت الهدنة بين الفريقين في محرّم من عام 37 ، وما إن انتهت حتى وقعت الحرب الحقيقيّة بينهما في بداية صفر عام 37 وحمى وطيسها في الثامن من صفر . وفي العاشر منه حينما كان جيش الإمام على وشك إحراز الانتصار الحاسم ، إلاّ أنّها انفضّت بحيلة من عمرو بن العاص ، وعاد الإمام إلى الكوفة .

**مكانها :** صِفّين - بكسرتين وتشديد الفاء - موضع بقرب الرقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقّة وبالس. وتبلغ المسافة بين دمشق والرقّة - وهي بقرب صفّين - 550 كيلو متراً تقريباً.

**عدد المشاركين فيها:**

ذكرت أعداد متضاربة عن عدد جيشي الإمام عليّ ( عليه السلام ) ومعاوية . ولعلّ سبب ذلك يعود إلى أنّ بعضهم ذكر عدد المقاتلين فقط ، بينما أضاف بعضٌ آخر الخدم والغلمان . وزاد عليهم آخرون كلَّ مَن يرافق الجيوش عادةً من جماعات الميرة ، والنساء والأطفال .

ومع أنّ النصوص التاريخيّة أشارت إلى أنّ جيش الإمام عليّ ( عليه السلام ) بلغ قوامه50 ألفاً او 95 ألفاً او أكثر من 100 ألف او 120 ألفاً أو 150 ألفاً .على اختلاف بينها ، إلاّ أنّ المشهور هو أنّ عدد جيش الإمام كان 90 ألف .

وتضاربت الروايات أيضاً بخصوص عدد جيش معاوية ما بين 60 ألفاً و 70 ألفاً و 83 ألفاً و 90 ألفاً و100 ألف ومائة وعشرين ألفاً و 130 ألفاً ، إلاّ أنّ الروايات التي تصرّح بأن عددهم كان 85 ألف هي الأشهر .

**قادة جيش الإمام(عليه السلام):**

قائد خيّالة الكوفة : مالك الأشتر. وقائد خيّالة البصرة : سهل بن حنيف . وقائد رجّالة الكوفة : عمّار بن ياسر . وقائد قرّاء أهل البصرة : مسعر بن فدكي التميمي. وقائد قرّاء أهل الكوفة : عبد الله بن بُدَيل وعمّار بن ياسر. وصاحب اللواء : هاشم بن عتبة. وآمر الميمنة : الأشعث بن قيس . وآمر الميسرة : عبد الله بن عبّاس . وآمر رجّالة الميمنة : سليمان بن صُرَد الخزاعي . وآمر رجّالة الميسرة : الحارث بن مُرّة العبدي . وقلب الجيش : قبيلة مُضَر. وميمنة الجيش : أهل اليمن. وميسرة الجيش : قبيلة ربيعة .

**اما أكابر أصحاب الإمام في حرب صفّين ( عليه السلام ):**

الكثير من أكابر صحابة الرسول ( صلى الله عليه وآله ) وال بيته (عليهم السلام) وغيرهم ممّن بذل كلّ غال ونفيس في سبيل إرساء دعائم الإسلام . وتختلف الروايات في ذكر عددهم ؛ فمنها ما يشير إلى أنّ عددهم كان بين 70 و 80 من البدريّين ، و 800 ممّن شهدوا بيعة الرضوان ، و 400 من سائر الصحابة .

ومنهم الإمام الحسن ( عليه السلام ) ، والإمام الحسين ( عليه السلام ) ، وعمّار بن ياسر ، سهل بن حنيف ، قيس بن سعد ، عديّ بن حاتم ، هاشم بن عتبة ، عبد الله بن بديل ، عبد الله بن عبّاس ، أُويس القرني ، أبو الهيثم مالك بن التيّهان ، عبد الله بن جعفر ، خزيمة بن ثابت ، سليمان بن صرد الخزاعي ، عمرو بن حمق الخزاعي .

ومن الأعلام الآخرين الذين لم يدركوا عهد الرسول ( صلى الله عليه وآله ) وكانوا في جيش الإمام ( عليه السلام ) في معركة صفّين : محمّد ابن الحنفيّة ، مالك الأشتر ، الأحنف بن قيس ، سعيد بن قيس الهمداني ، حجر بن عديّ ، أصبغ بن نباتة ، صعصعة بن صوحان ، شريح بن هانئ ، عبد الله بن هاشم بن عتبة ، جعدة بن هبيرة ، زياد بن النضر .

**قادة جيش القاسطين:**

قائد الميمنة : ابن ذي الكلاع الحميري. وقائد الميسرة : حبيب بن مسلمة الفهري .و قائد خيّالة الشام : عمرو بن العاص وقائد رجّالة الشام : الضحّاك بن قيس. وقائد الخيّالة : عبيد الله بن عمر بن الخطّاب وقلب الجيش : أهل دمشق ، وعليهم الضحّاك بن قيس الفهري.و ميمنة الجيش : أهل حمص وقِنّسرين .وميسرة الجيش : أهل الأُردنّ وفلسطين.و صاحب اللواء : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .

**وجوه أصحاب معاوية:**

أمثال : عمرو بن العاص ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، عبيد الله بن عمر ، حبيب بن مسلمة ، ذو الكلاع الحميري ، الضحّاك بن قيس ، الوليد بن عقبة ، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، بُسر بن أرطاة ، عبد الله بن عامر ، مروان بن الحكم ، عتبة بن أبي سفيان .

**عدد القتلى في صفين :**

المشهور أنّ القتلى من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً وفي رواية اخرى خمسون ألفاً من أهل الشام ، وعشرون ألفاً من أهل العراق ورواية ثالثة تذكر ان من أهل العراق عشرون ألفاً ، ومن أهل الشام تسعون ألفاً ، ومجموع من قتل بها من الفريقين - في مائة يوم وعشرة أيام - مائة وعشرة آلاف .

**تهيُّؤ معاوية للحرب :**

عندما أمر الامام ( عليه السلام ) بردّ كلّ قطيعة أقطعها الخليفة عثمان وكلّ مال أعطاه من بيت المال . فبلغ ذلك عمرو بن العاص وكان بأيلة من أرض الشام ، أتاها حيث وثب الناس على الخليفة عثمان فنزلها.

فكتب إلى معاوية : ما كنت صانعاً فاصنع . إذ قَشَرَك ابن أبي طالب من كلّ مال تملكه كما تُقشَر عن العصا لِحاها.

فكتب معاوية إلى عمرو وهو بالبيع من فلسطين : أمّا بعد ؛ فإنّه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك . وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة ، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني . أقبل أُذاكرك أمراً .

فلما قرئ عمرو كتاب معاوية هذا استشار ابنيه عبد الله ومحمّداً فقال : ما تريان ؟ فقال عبد الله : أرى أنّ تقرَّ في منزلك فلست مجعولاً خليفة ، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة ، أوشك أن تهلك فتشقى فيها .

وقال محمّد : أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها ، وإن تصرّم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك ، فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أياديها ، واطلب بدم عثمان ، فإنّك قد استنمت فيه إلى بني أُميّة . فقال عمرو : أمّا أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأمّا أنت يا محمّد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا ناظر فيه .

خرج عمرو بن العاص ومعه ابناه حتى قدم على معاوية ، فوجد أهل الشام يحضّون معاوية على الطلب بدم الخليفة عثمان ، فقال عمرو بن العاص : أنتم على الحقّ ، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم . ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو ،وقدم على معاوية ، فذاكره أمره ، فقال له : أمّا عليّ ، فوالله ، لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء ، وإنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش إلاّ أن تظلمه .

قال : صدقت ، ولكنّا نقاتله على ما في أيدينا ، ونلزمه قتل عثمان .

قال عمرو : واسوءتاه ! إنّ أحقّ الناس ألاّ يذكر عثمان لا أنا ولا أنت .

قال : ولِمَ ويحك ؟

قال : أمّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي ، فسار إليه ؛ وأمّا أنا فتركته عياناً ، وهربت إلى فلسطين .

فقال معاوية : دعني من هذا مدّ يدك فبايعني ! قال : لا ، لعمر الله ، لا أُعطيك ديني حتى آخذ من دنياك .

قال له معاوية : لك مصر طعمة .

ولمّا بلغ معاوية بن أبي سفيان مكان الامام عليّ ( عليه السلام ) بالنخيلة ومعسكره بها - ومعاوية بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان وهو مخضّب بالدم ، والكثير من الشيوخ يبكون حوله لا تجفّ دموعهم ، خطب معاوية أهل الشام فقال : يا أهل الشام ! قد كنتم تكذّبوني في عليّ ، وقد استبان لكم أمره ، والله ، ما قتل خليفتكم غيره ، وهو أمر بقتله ، وألّب الناس عليه ، وآوى قتلته ، وهم جنده وأنصاره وأعوانه ، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم . يا أهل الشام ! اللهَ اللهَ في عثمان ! فأنا وليّ عثمان وأحقّ من طلب بدمه ، وقد جعل الله لوليّ المظلوم سلطاناً ، فانصروا خليفتكم المظلوم ؛ فقد صنع به القوم ما تعلمون ، قتلوه ظلماً وبغياً ، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله . ثمّ نزل .

وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله إليه لشغله بعليّ .

**إعلان الحرب :**

كتب الامام عليّ ( عليه السلام ) إلى جرير رسوله إلى معاوية : أمّا بعد ؛ فإذا أتاك كتابي هذا ، فاحمل معاوية على الفصل ، وخذه بالأمر الجزم ، ثمّ خيّره بين حرب مجلية ، أو سلم محظية ، فإن اختار الحرب فانبذ له ، وإن اختار السلم فخذ بيعته .

فلمّا انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب ، فقال له : يا معاوية ، إنّه لا يُطبع على قلب إلاّ بذنب ، ولا يُشرح صدر إلاّ بتوبة ، ولا أظنّ قلبك إلاّ مطبوعاً . أراك قد وقفت بين الحقّ والباطل كأنّك تنتظر شيئاً في يدي غيرك .

فقال معاوية : ألقاك بالفيصل أوّل مجلس إن شاء الله . فلمّا بايع معاوية أهل الشام وذاقهم قال : يا جرير ! الحق بصاحبك . وكتب إليه بالحرب ، وكتب في أسفل كتابه بقول كعب بن جعيل :

**أرى الشامَ تكره مُلكَ العراقِ وأهلُ العراقِ لها كارهونا**

**وكلّ لصاحبه مُبغضٌ يرى كلّ ما كان من ذاك دينا**

**الوصول إلى الرقّة :**

سار أمير المؤمنين(عليه السلام) حتى أتى الرقّة وجلّ أهلها عثمانيّة ، ممن فرّوا من الكوفة رأيهم وأهوائهم إلى معاوية ، فغلّقوا أبوابها وتحصّنوا فيها ، وكان أميرهم سماك بن مخرمة الأسدي في طاعة معاوية ، وقد كان فارق الامام عليّ (عليه السلام) في نحو من مائة رجل من بني أسد ، ثمّ أخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل.

دعا الامام عليّ ( عليه السلام ) أهل الرقّة فقال : اعقدوا لي جسراً على هذا الفرات حتى أعبر عليه أنا وأصحابي إلى قتال معاوية .

فأبوا ذلك ؛ وعلم عليّ ( عليه السلام ) هوى أهل الرقّة في معاوية ، فتركهم ونادى في أصحابه : نمضي لكي نعبر على جسر منبج .

فخرج مالك الأشتر إلى أهل الرقّة مغضباً وقال : والله يا أهل الرقّة ! لئن لم تعقدوا لأمير المؤمنين جسراً لأُجرّدن فيكم السيف ولأقتلنّ الرجال ولأحوينّ الأموال . فلمّا سمع أهل الرقّة ذلك قال بعضهم لبعض : إنّ الأشتر والله يوفي بما يقول ؛ ثمّ إنّهم ركبوا خلف عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) فردّوه وقالوا : ارجع يا أمير المؤمنين ! فإنّنا عاقدون لك جسراً .

فرجع الامام عليّ (عليه السلام) إلى الرقّة ، وعقدوا له جسراً على الفرات ، ونادى في أصحابه أن اركبوا ! فركبت الناس وعبرت الأثقال كلّها ، وعبر الناس بأجمعهم ، وعليّ واقف في ألف فارس من أصحابه ، ثمّ عبر آخر الناس .

وإنّ طائفة من أصحاب عليّ قالوا له : اكتب إلى معاوية وإلى من قِبَله من قومك بكتاب تدعوهم فيه إليك وتأمرهم بترك ما هم فيه من الخطأ فإنّ الحجّة لن تزداد عليهم بذلك إلاّ عظماً ، فكتب إليهم .لكن دون جدوى.

**المواجهة العسكرية بين الجيشين :**

في وقت كان الإمام ( عليه السلام ) قد توجّه من الكوفة باتّجاه الشام في شهر شوّال من عام 36 ه‍ ، ولمّا كان الطريق المستقيم بينهما يمرّ عبر صحراء جرداء لا عشب فيها ولا ماء ولم تكن للإمام ( عليه السلام ) المعدّات الكافية لدعم جيشه الذي قوامه مائة ألف ، اختار الطريق المحاذي للفرات ( أي مسير الجزيرة ) . فمرّ على كربلاء وهيت و . . . حتى وصل إلى الرقّة قرب صفّين . التقى الجيشان وخاضوا معارك ضارية ، تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ، وصبر القوم بعضهم لبعض ثمّ انصرفوا ، وحمل عليهم الأشتر فقتل الكثير من قادتهم . واستمر القتال حتى حجز الليل بين الطرفين وباتوا متحارسين ، فلمّا أصبح عسكر الامام علي (عليه السلام) فإذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم . وهي أوّل مواجهة بين الجيشين في صفّين ، والذي شرع بهذه المواجهة جيش معاوية .

وفي أواخر ذي القعدة وصل جيش الإمام ( عليه السلام ) إلى صفّين ، بعد وصول جيش معاوية إليها لقربها من الشام ، واحتلال المناطق المهمة والاستيراتيجية من المنطقة . وقد نظّم معاويةُ جيشَه بنحو بحيث لا يتمكّن جيش الإمام من الوصول للماء . فنصحهم الإمام ( عليه السلام ) ، وأرسل إليهم رسولاً في ذلك ، لكن دون جدوى .

فهجم الأشتر والأشعث على جيش معاوية - بعد موافقة الإمام (عليه السلام) على ذلك - واستولوا على الماء . فأمر الإمام ( عليه السلام ) بتنظيم الجيش بنحو يتمكّن معه الجيشان من الماء . وبهذا انتصر الإمام ( عليه السلام ) نصراً معنويّاً سجّله التاريخ في صفحاته بماء الذهب بأنّ الإمام يمنع التوسّل بالسبل غير الإنسانيّة في مواجهة العدوّ لتحصيل النصر . ثمّ أرسل الإمام (عليه السلام ) ممثّليه إلى معاوية كي يدفعوا به إلى الاستسلام ، ويحولون دون وقوع الحرب وإراقة الدماء . فلمّا أقبلوا على معاوية طردهم بغضب .

وفي شهر ذي الحجّة حصلت مناوشات ومواجهات متفرّقة بين الجيشين ؛ إذ كان الإمام في صدد إنهاء ذلك بالصلح دون الحرب ، ولذا لم تكن المواجهة بين تمام الجيشين . ثمّ انقطعت هذه المواجهات المتفرّقة في شهر محرّم من عام 37 هـ ، وصارت محادثات الصلح بصورة أكثر جدّية ، لكنّها لم تثمر شيئاً كسابقاتها . فلمّا تقطّعت جميع السبل تهيّأ الإمام ( عليه السلام ) للحرب ، فبدأت الحرب يوم الأربعاء أوّل شهر صفر عام 37هـ . وكانت الحرب في الأُسبوع الأوّل بهذه الكيفيّة :

يخرج صباح كلّ يوم أحد القادة الأبطال لجيش الإمام ( عليه السلام ) ويحولون دون وقوع الحرب وإراقة الدماء . ويحارب العدوّ حتى المساء ، ثم تنقطع الحرب إلى اليوم التالي دون حصول نصر لأحد الطرفين على الآخر خلال هذه المدّة .

وكان قادة الجيش في هذه الأيّام : مالك الأشتر ، وعمّار بن ياسر ، ومحمّد ابن الحنفيّة ، وعبد الله بن عبّاس ، وهاشم بن عتبة ، وقيس بن سعد .

لكن الحرب اشتدّت في يوم الأربعاء الثامن من صفر واتّخذت شكلاً آخر ؛ حيث اشترك فيها تمام الجيشين . وقد استقرّ الإمام ( عليه السلام ) في القلب ، وتولّى قيادة الجيش بنفسه . واستُشهد عدد كثير من كبار الجيش في هذا اليوم وهو يوم الخميس . ولمّا كان قصد الإمام حسم الأمر لم تتوقّف الحرب عند غروب الخميس بل استمرّت ليلة الجمعة أيضاً ، وكانت أشدّ ليلة طوال الحرب ، ولهذا سُمّيت بـ" ليلة الهرير " .

وكان الإمام ( عليه السلام ) حاضراً بنفسه في أرض المعركة يوم الخميس وليلة الجمعة ، وقتل بيده 523 شخصاً أكثرهم من شجعان أهل الشام . ولشدّة الحرب صلّى أصحاب الإمام ( عليه السلام ) في ميدان القتال إيماءً . وفي صباح الجمعة أشرقت الشمس وأطلّت على ظفر جيش الإمام وانكسار وهزيمة أهل الشام .

وأشرف مالك الأشتر والسريّة التي يقودها على خيمة معاوية - التي يقود الجيش منها - بحيث صمّم معاوية على الاستسلام وطلب الأمان ، لكن جرى قلم القدر على شيء آخر ؛ فتلاقح جهل الخوارج مع حيلة عمرو بن العاص فأنتجا نجاة معاوية !

**الهدنة رجاء الصلح :**

لقد بعث معاوية إلى الامام عليّ (عليه السلام) حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه ، فحمد الله حبيب وأثنى عليه ثمّ قال :

أمّا بعد ، فإنّ عثمان بن عفان كان خليفة مهديّاً يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ وينيب إلى أمر الله تعالى ، فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنّك لم تقتله - نقتلهم به ، ثمّ اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم ، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم .

فقال له عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): وما أنت والعزل وهذا الأمر ، اِسكت فإنّك لست هناك ولا بأهل له .

فقام وقال له : والله لترينّي بحيث تكره .

فاجابه عليّ (عليه السلام): وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورَجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ ، أحقرةً وسوءًا ؟ ! اِذهب فصوّب وصعّد ما بدا لك . وقال شرحبيل بن السمط : إنّي إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلاّ مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذي أجبته به ؟

فقال عليّ (عليه السلام): نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبتُه به . – من قوله-

فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ الله جلّ ثناؤه بعث محمّداً ( صلى الله عليه وآله ) بالحقّ فأنقذ به من الضلالة وانتاش به من الهلكة وجمع به من الفرقة ، ثمّ قبضه الله إليه وقد أدّى ما عليه ( صلى الله عليه وآله ) ثمّ استخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر ، وولي عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثمّ أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم فقالوا لي : بايع فأبيتُ عليهم ، فقالوا لي : بايع فإنّ الأمّة لا ترضى إلاّ بك وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس ، فبايعتهم فلم يرعني إلاّ شقاق .....الخ من كلامه(عليه السلام) .

اليوم الثاني من القتال :

خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدّتها ، وخرج إليه أبو الأعور ، فاقتتلوا يومهم ذلك ، يحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، ثمّ انصرفوا وقد كان القوم صبر بعضهم لبعض .

وقد أخرج عليّ(عليه السلام) هاشم ابن عتبة بن أبي وقّاص الزهري المرقال وهو ابن أخي سعد بن أبي وقّاص ، فأخرج إليه معاوية أبا الأعور السلَمي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن عليّ (عليه السلام) ، فكانت بينهم الحرب سجالاً ، وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير .

**اليوم الثالث من القتال :**

خرج في اليوم الثالث عمّار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتتل الناس كأشدّ القتال ، وأخذ عمّار يقول : يا أهل العراق ! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما ، وبغى على المسلمين ، وظاهر المشركين ، فلمّا رأى الله عزّ وجلّ يعزّ دينه ويظهر رسوله أتى النبيّ ( صلى الله عليه وآله ) فأسلم ، وهو فيما نرى راهب غير راغب ؟ ثمّ قبض الله عزّ وجلّ رسوله ( صلى الله عليه وآله ) ! فوالله ، إن زال بعده معروفاً بعداوة المسلم ، وهوادة المجرم . فاثبتوا له وقاتلوه فإنّه يطفئ نور الله ، ويظاهر أعداء الله عزّ وجلّ . فكان مع عمّار زياد بن النضر على الخيل ، فأمره أن يحمل في الخيل ، فحمل ، وقاتله الناس وصبروا له ، وشدّ عمّار في الرجال ، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه .

**اليوم الرابع من القتال :**

خرج محمّد بن عليّ وعبيد الله بن عمر في جمعين عظيمين ، فاقتتلوا كأشدّ القتال . ثمّ إنّ عبيد الله بن عمر أرسل إلى ابن الحنفيّة : أن اخرج إليَّ . فقال : نعم . فتبارزا.

و خرج الأشتر . . . فخرج إليه عبيد الله بن عمر ابن الخطّاب . . . ثمّ دنا الأشتر وليس يعرفه . فقال له : من أنت أيّها الفارس ؟ ! فإنّي لا أُبارز إلاّ كفؤاً . قال : أنا مالك بن الحارث النخعي.

قال : فصمت عبيد الله بن عمر ساعة ثمّ قال : يا مالك ! والله لو علمتُ أنّك الداعي إلى البراز لما خرجتُ إليك ، فإن رأيتَ أن أرجع عنك فعلت منعماً . فقال الأشتر : ألا تخاف العار أن ترجع عنّي وأنا رجل من اليمن وأنت فتى من قريش فقال : لا والله ما أخاف العار إذا رجعتُ عن مثلك .

فقال له الأشتر : فارجع إذاً ولا تخرج إلاّ إلى من تعرفه .

اليوم الخامس من القتال :

خرج في ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري ، فلحق بعليّ ( عليه السلام ) في ناس

من قرّاء أهل الشام ، ففتّ ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص .

وقال عمرو : يا معاوية ! إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمّد ( صلى الله عليه وآله ) قرابة قريبة ، ورحم ماسّة ، وقدم في الإسلام لا يعتدّ أحد بمثله ، ونجدة في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمّد ( صلى الله عليه وآله ) ، وإنّه قد سار إليك بأصحاب محمّد (صلى الله عليه وآله ) المعدودين ، وفرسانهم وقرّائهم وأشرافهم وقدمائهم في الإسلام ، ولهم في النفوس مهابة . فبادر بأهل الشام مخاشن الوعر ، ومضايق الغَيض ، واحملهم على الجهد ، وأْتِهم من باب الطمع قبل أن ترفّههم فيحدث عندهم طول المقام مللاً ، فيظهر فيهم كآبة الخذلان . ومهما نسيت فلا تنس أنّك على باطل .

فلمّا قال عمرو لمعاوية ذلك زوّق معاوية خطبة ، وأمر بالمنبر فأُخرج ، ثمّ أمر أجناد أهل الشام فحضروا خطبته ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس ! أعيرونا أنفسكم وجماجمكم ، لا تفشلوا ولا تخاذلوا ، فإنّ اليوم يوم خطار ، ويوم حقيقة وحفاظ ، فإنّكم على حقّ وبأيديكم حجّة ، وإنّما تقاتلون من نكث البيعة ، وسفك الدم الحرام ، فليس له في السماء عاذر . ثمّ صعد عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ! قدّموا المستلئمة ، وأخّروا الحاسر ، وأعيروا جماجمكم ساعة ؛ فقد بلغ الحقّ مقطعه ، وإنّما هو ظالم ومظلوم .

فلمّا كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عبّاس والوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ودنا ابن عبّاس من الوليد بن عقبة ، فأخذ الوليد يسبّ بني عبد المطّلب ، وأخذ يقول : يا بن عبّاس ! قطّعتم أرحامكم ، وقتلتم إمامكم ، فكيف رأيتم صنع الله بكم ؟ ! لم تُعطَوا ما طلبتم ، ولم تُدركوا ما أمّلتم ، واللهُ إن شاء مهلككم وناصر عليكم .

فأرسل إليه ابن عبّاس : أن ابرز لي ، فأبى . وقاتل ابن عبّاس يومئذ قتالاً شديداً ، وغشى الناس بنفسه

**اليوم السادس من القتال :**

أخرج عليّ (عليه السلام) في اليوم السادس - وهو يوم الاثنين - سعيد بن قيس الهمداني ، وهو سيّد همدان يومئذ ، فأخرج إليه معاوية ذا الكَلاَع ، وكانت [ الحرب ] بينهما إلى آخر النهار ، وأسفرت عن قتلى ، وانصرف الفريقان جميعاً .

اليوم السابع من القتال :

خرج الأشتر ، وعاد إليه حبيب بن مسلمة ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، ثمّ انصرفا عند الظهر ، وكلّ غير غالب .

**مرحلة القتال الجماعي :**

حمل حبيب بن مسلمة - وكان على ميسرة معاوية - على ميمنة عليّ ( عليه السلام ) ، فانكشفوا وجالوا جولة . ونظر عليّ(عليه السلام) إلى ذلك ، فقال لسهل بن حنيف : انهض فيمن معك من أهل الحجاز حتى تعين أهل الميمنة . فمضى سهل فيمن كان معه من أهل الحجاز نحو الميمنة ، فاستقبلهم جموع أهل الشام ، فكشفوه ومن معه حتى انتهوا إلى عليّ (عليه السلام) - وهو في القلب - فجال القلب وفيه عليّ جولة ، فلم يبقَ مع عليّ إلاّ أهل الحفاظ والنجدة . فحثّ عليّ (عليه السلام) فرسه نحو ميسرته ، وهم وقوف يقاتلون من بإزائهم من أهل الشام.

قال زيد بن وهب : فإنّي لأنظر إلى عليّ (عليه السلام) وهو يمرّ نحو ربيعة ، ومعه بنوه : الحسن والحسين ومحمّد(عليهم السلام) ، وإنّ النبل ليمرّ بين أُذنيه وعاتقه ، وبنوه يقونه بأنفسهم.

فلمّا دنا عليّ (عليه السلام) من الميسرة وفيها الأشتر ، وقد وقفوا في وجوه أهل الشام يجالدونهم ، فناداه عليّ (عليه السلام) ، وقال : ائتِ هؤلاء المنهزمين ، فقل : أين فراركم من الموت الذي لم تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم ! فدفع الأشتر فرسه ، فعارض المنهزمين ، فناداهم : أيّها الناس ! إليَّ إليَّ ، أنا مالك ابن الحارث ، فلم يلتفتوا إليه ، فقال : أيّها الناس ! أنا الأشتر ، فثابوا إليه ، فزحف بهم نحو ميسرة أهل الشام ، فقاتل بهم قتالاً شديداً حتى انكشف أهل الشام . واستشهد عدد من اصحاب الامام(عليه السلام).ومنهم عمار بن ياسر.

لمّا قُتل عمّار اضطرب أهل الشام لرواية " تقتله الفئة الباغية " - : فاجابهم عمرو بن العاص انّما قتله من أخرجه إلى الحرب وعرّضه للقتل ! فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : فرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) إذَن قاتل حمزة ! وبشهادة عمار كان جيش الامام (عليه السلام) قد خسر قائد من ابرز قادته .

**حيلة معاوية للنجاة من الحرب :**

لقد ذكر معاوية لعمرو بن العاص بانه قد رأى أن يكتب إلى عليّ كتاباً يسأله الشام - وهو الشيء الأوّل الذي ردّه عنه – وان يقي في نفسه الشكّ والريبة .

فضحك عمرو بن العاص ، ثمّ قال : أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ ؟

فقال : ألسنا بني عبد مناف ؟ قال : بلى ، ولكن لهم النبوّة دونك ، وإن شئت أن تكتب فاكتب .

فكتب معاوية إلى عليّ(عليه السلام) مع رجل، يقال له عبد الله بن عقبة ، وكان من ناقلة أهل العراق ، فكتب :

أمّا بعدُ ، فإنّي أظنُّك أن لو علمتَ أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا ، لم يجِنها بعضنا على بعض ، وإنّا وإن كنّا قد غُلِبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ، ونُصلح به ما بقي . وقد كنت سألتك الشام على ألاّ يلزمني لك طاعة ولا بيعة ، فأبيتَ ذلك عليّ ، فأعطاني الله ما منعت ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإنّي لا أرجو من البقاء إلاّ ما ترجو ، ولا أخاف من الموت إلاّ ما تخاف . وقد والله رقّت الأجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذلّ به عزيز ، ولا يسترقّ حرٌّ به . والسلام.

**جواب الإمام (عليه السلام):**

فلمّا انتهى كتاب معاوية إلى عليّ (عليه السلام) قرأه ، ثمّ قال : العجب لمعاوية وكتابه ! ثمّ دعا عليٌّ (عليه السلام) عبيدَ الله بن أبي رافع كاتبه ، فقال : اكتب إلى معاوية :

أمّا بعد ؛ فقد جاءني كتابك ، تذكر أنّك لو علمتَ وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنِها بعضنا على بعض ، فإنّا وإيّاك منها في غاية لم تبلغها ، وإنّي لو قُتلت في ذات الله وحَييت ، ثمّ قُتلت ثمّ حَييت سبعين مرّة ، لم أرجع عن الشدّة في ذات الله ، والجهاد لأعداء الله . وأمّا قولك : إنّه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى ، فإنّي ما نقصت عقلي ، ولا ندمت على فعلي . فأمّا طلبك الشام ، فإنّي لم أكن لأُعطيَك اليوم ما منعتك منها أمسِ . وأمّا استواؤنا في الخوف والرجاء ؛ فإنّك لست أمضى على الشكّ منّي على اليقين ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة . وأمّا قولك : إنّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل ؛ فلعمري إنّا بنو أب واحد ، ولكن ليس أُميّة كهاشم ، ولا حرب كعبد المطّلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ، ولا المحقّ كالمبطل . وفي أيدينا بعدُ فضل النبوّة التي أذللنا بها العزيز ، وأعززنا بها الذليل . والسلام .

وقامت الحرب بين عليّ ومعاوية بصفّين ، فتحاربوا أيّاماً . قال معاوية لعمرو بن العاص في بعض أيّامهم : إنّ رأس الناس مع عليٍّ عبدُ الله بن عبّاس ، فلو ألقيتَ إليه كتاباً تعطفه به ؛ فإنّه إن قال قولاً لم يخرج منه عليٌّ ، وقد أكلتنا هذه الحرب .

فقال عمرو : إنّ ابن عبّاس أرِيبٌ يُخدَع ولو طمعت فيه لطمعت في عليّ .

قال : صدقت إنّه لأريب ، ولكن اكتب إليه على ذلك ، فكتب إليه : من عمرو بن العاص إلى عبد الله بن العبّاس . أمّا بعد ؛ فإنّ الذي نحن وأنتم فيه ، ليس بأوّل أمر قاده البلاء ، وساقه سفه العاقبة ، وأنت رأس هذا الأمر بعد عليّ ، فانظر فيما بقي بغير ما مضى ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حيلة ، واعلم أنّ الشام لا يُملك إلاّ بهلاك العراق ، وأنّ العراق لا يُملك إلاّ بهلاك الشام ، فما خيرنا بعد إسراعنا فيكم ، وما خيركم بعد إسراعكم فينا ، ولست أقول : ليت الحرب عادت ، ولكن أقول : ليتها لم تكن ، وإنّ فينا من يكره اللقاء كما أنّ فيكم من يكرهه ، وإنّما هو أمير مطاع ، أو مأمور مطيع ، أو مشاور مأمون وهو أنت ، فأمّا السفيه فليس بأهل أن يعدّ من ثقات أهل الشورى ولا خواصّ أهل النجوى . وكتب في آخر كتابه :

**طال البلاء فما يُرجى له آسِ بعد الإلهِ سوى رفق ابن عبّاسِ**

**قولا له قول مسرور بحظوتهِ لا تنسَ حظّك إنّ التارك الناسي**

**كلٌّ لصاحبه قرن يعادلـهُ أُسدٌ تلاقي أُسوداً بين أخياسِ**

**انظر فدىً لك نفسي قبلَ قاصمة للظهر ليس لها راق ولا آسي**

**أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا طعم الحياة لحرب ذات أنفاسِ**

**جواب ابن عبّاس:**

لمّا قرأ ابن عبّاس الكتاب والشعر أقرأهما عليّاً(عليه السلام) ، فقال عليّ (عليه السلام): قاتل الله ابن العاص ! ما أغرّه بك ؟ يا بن عبّاس أجِبه ، وليردّ عليه شعره فضل بن عبّاس بن أبي لهب .

فكتب إليه عبد الله بن عبّاس : أمّا بعد : فإنّي لا أعلم رجلاً من العرب أقلّ حياء منك ! إنّه مالَ بك إلى معاوية الهوى ، وبعته دينك بالثمن اليسير ، ثمّ خبطت للناس في عشواء طخياء طمعاً في هذا الملك ، فلمّا لم ترَ شيئاً أعظمت الدماء إعظامَ أهل الدين ، وأظهرت فيها زهادة أهل الورع ، ولا تريد بذلك إلاّ تهييب الحرب وكسر أهل العراق ؛ فإن كنت أردت الله بذلك ، فدع مصر وارجع إلى بيتك ؛ فإنّ هذه حرب ليس معاوية فيها كعليّ ؛ بدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العذر ، وابتدأها معاوية بالبغي فانتهى منها إلى السرف ، وليس أهل الشام فيها كأهل العراق ؛ بايع عليّاً أهل العراق وهو خير منهم ، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ، ولستَ وأنا فيها سواء . أردتُ الله ، وأردتَ مصر ، فإن تُرِد شرّاً لا يَفُتْنا ، وإن تُرِد خيراً لا تسبقنا . ثمّ دعا الفضل بن العبّاس بن عتبة فقال : يا بن عمّ أجب عمرو بن العاص ، قال :

**يا عمرو حسبك من خدع ووسواسِ فاذهب فما لك في ترك الهدى آسِ**

**إلاّ بوادر طعن في نحوركمُ ووشك ضرب يُفزّي جلدة الراسِ**

**هذا لكم عندنا في كلّ معركة حتى تُطيعوا عليّاً وابــن عبّــاسِ**

**أمّا عليٌّ فإنّ الله فضّلهُ فضلاً له شرف عال على الناسِ**

**لا بارك الله في مصر فقد جلبت شرّاً وحظّك منها حسوة الحاسي**

ثم تبادل معاوية الرسائل مع ابن عباس ،لكن دون جدوى.

واستعر القتال و أشدّ الأيّام وقعة الخميس كان يوم الخميس لسبع خلونَ من صفر من سنة سبع وثلاثين أشدّ أيّام الحرب في صفّين وأكثرها فزعاً ؛ فقد كان الإمام ( عليه السلام ) يقاتل قتالاً شديداً في خضمّ تلك المعركة مضافاً إلى قيادته للجيش . وكان يُهيج الجيش للقتال بما صنعه من ملاحم عظيمة ومثيرة تشجّع على خوض الحرب .

**توقّف الحرب:**

قام الامام علي (عليه السلام)خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ! قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم ، ولم يبقَ منهم إلاّ آخر نفَس ، وإنّ الأُمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأوّلها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا ، وأنا غاد عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ .

فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص ، فقال : يا عمرو ! إنّما هي الليلة حتى يغدو عليّ علينا بالفيصل ، فما ترى ؟ قال : إنّ رجالك لا يقومون لرجاله ، ولستَ مثله ، هو يقاتلك على أمر ، وأنت تقاتله على غيره . أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء ، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم ، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم .

ولكن ألقِ إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا ، وإن ردّوه اختلفوا ؛ ادعُهم إلى كتاب الله حَكَماً فيما بينك وبينهم ؛ فإنّك بالغ به حاجتك في القوم ؛ فإنّي لم أزَل أُؤخّر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه .

فعرف ذلك معاوية ، فقال : صدقت .

و ثار أهل الشام فنادوا في سواد الليل : يا أهل العراق ! مَن لذرارينا إن قتلتمونا ، ومن لذراريكم إن قتلناكم ؟ اللهَ اللهَ في البقيّة

**رفع المصاحف:**

لمّا رأى عمرو بن العاص أنّ أمر أهل العراق قد اشتدّ ، وخاف في ذلك الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلاّ اجتماعاً ، ولا يزيدهم إلاّ فرقة ؟

قال : نعم .

قال : نرفع المصاحف ثمّ نقول : ما فيها حَكَم بيننا وبينكم ، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : بلى ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم ، وإن قالوا : بلى نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجَل أو إلى حين .

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم ، مَنْ لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ! فلمّا رأى الناس المصاحف قد رُفعت ، قالوا : نُجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ ونُنيب إليه .

فلمّا رأى كثير من أهل العراق ذلك ، قالوا : نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه ، وأحبّ القوم الموادعة وقيل لعليّ (عليه السلام): قد أعطاك معاوية الحقّ ، ودعاك إلى كتاب الله ، فاقبلْ منه ، وكان أشدّهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس .

فقال عليّ (عليه السلام): أيّها الناس ! إنّه لم يزل من أمركم ما أُحبّ حتى قرحتكم الحرب ، وقد والله أخذتْ منكم وتركتْ ، وإنّي كنت بالأمس أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وقد أحببتم البقاء ،......... ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة . أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة ، فقد بلغ الحقّ مقطعه ، ولم يبق إلاّ أن يُقطع دابر الذين ظلموا .

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد شاكي السلاح ، سيوفهم على عواتقهم ، وقد اسودّت جباههم من السجود ! ! يتقدّمهم مسعر بن فدكي ، وزيد بن حصين ، وجماعة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعدُ ، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين :

يا عليّ ! أجِب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه ، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفّان ، فوالله لنفعلنّها إن لم تُجبْهم .

فقال لهم : ويحكم ! أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله ، وأوّل من أجاب إليه ، وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن أُدعى إلى كتاب الله فلا أقبله ، إنّي إنّما أُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن ؛ فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم ، ونقضوا عهده ، ونبذوا كتابه ، ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم ، وأنّهم ليسوا العملَ بالقرآن يُريدون .

قالوا : فابعث إلى الأشتر ليأتيك .

وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله . فأرسل عليّ (عليه السلام)إلى الأشتر يزيد بن هانئ السبيعي أن ائتني . فأتاه فبلّغه .

فقال : قل له : ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزيلني فيها عن موقفي ، إنّي قد رجوت أن يفتح لي ؛ فلا تعجلني .

فرجع يزيد بن هانئ إلى عليّ(عليه السلام) فأخبره ، فما هو إلاّ أن انتهى إلينا ، فارتفع الرَّهَج ، وعَلَت الأصوات من قبل الأشتر ، فقال له القوم : والله ما نراك إلاّ أمرته أن يقاتل .

قال : من أين ينبغي أن ترَوا ذلك ! رأيتموني ساررتُه ؟ أليس إنّما كلّمته على رؤوسكم علانية ، وأنتم تسمعونني ! قالوا : فابعث إليه فليأتك ، وإلاّ والله اعتزلناك .

قال له : يا يزيد ! قل له : أقبِلْ إليَّ ؛ فإنّ الفتنة قد وقعت ! فأبلغه ذلك ، فقال له : ألرفعِ المصاحف ؟

قال : نعم ، قال : أما والله ، لقد ظننت حين رُفعت أنّها ستوقع اختلافاً وفرقة ، إنّها مشورة ابن العاص، ألا ترى ما صنع الله لنا ! أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم ! وقال يزيد بن هانئ : فقلت له : أتحبِّ أنّك ظفرت هاهنا ، وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يُفرج عنه أو يُسْلَم ؟ قال : لا والله ، سبحان الله ! قال : فإنّهم قد قالوا : لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك كما قتلنا ابن عفّان .

فأقبل حتى انتهى إليهم فقال : يا أهل العراق ! يا أهل الذلّ والوهن ! أحين علوتم القوم ظهراً ، وظنّوا أنّكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ! وقد والله تركوا ما أمر الله عزّ وجلّ به فيها ، وسُنّة من أُنزلت عليه ( صلى الله عليه وآله ) ؟ فلا تُجيبوهم ، أمهلوني عدْو الفرس ؛ فإنّي قد طمعت في النصر .

قالوا : إذن ندخل معك في خطيئتك ، قال : فحدِّثوني عنكم ؛ وقد قُتل أماثلكم ، وبقي أراذلكم ، متى كنتم محقّين ؟ أحين كنتم تقاتِلون وخياركم يُقتلون ! فأنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال مبطلون ، أم الآن أنتم محقّون ؟ فقتلاكم الذين لا تُنكرون فضلهم ، فكانوا خيراً منكم ، في النار إذاً ! قالوا : دعنا منك يا أشتر ، قاتلناهم في الله عزّ وجلّ ، وندعْ قتالهم لله سبحانه ، إنّا لسنا مطيعيك ولا صاحبك ، فاجتنِبنا . فقال : خُدعتم والله فانخدعتم ، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم . يا أصحاب الجباه السود ! كنّا نظنّ صلواتكم زهادة في الدنيا ، وشوقاً إلى لقاء الله عزّ وجلّ ، فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت . ألا قبحاً يا أشباه النِّيب الجلاّلة! وما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً ، فأبعدوا كما بعد القوم الظالمون ! فسبّوه ، فسبّهم ، فضربوا وجه دابّته بسياطهم ، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابّهم ، وصاح بهم عليّ(عليه السلام) فكفّوا .

في الوقت الذي كان فيه معاوية بعد ذلك [ أي بعد ختام الحرب ] يقول : والله ، لقد رجع عنّي الأشتر يوم رفع المصاحف ، وأنا أُريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من عليّ . وقد هممت ذلك اليوم بالهرب .

فغمد الناس أسيافهم ، ووضعوا أسلحتهم ، وعزموا على الحكم ، فقال عمرو لمعاوية : كيف رأيت رأيي ؟ لقد كنتَ غرقتَ في بحر العراق وأنقذتك .

فقال معاوية : صدقت أبا عبد الله ، ولمثلها كنت أرجوك .

**تبادل الرسائل بين معاوية والامام علي (عليه السلام):**

رسالة معاوية إلى الإمام (عليه السلام):

بعث معاوية أبا الأعور السلمي على بِرْذَوْن أبيض ، فسار بين الصفّين ؛ صفّ أهل العراق وصفّ أهل الشام ، والمصحف على رأسه وهو يقول : كتاب الله بيننا وبينكم .

فأرسل معاوية إلى عليّ (عليه السلام): إنّ الأمر قد طال بيننا وبينك ، وكلّ واحد منا يرى أنّه على الحقّ فيما يطلب من صاحبه ، ولن يُعطي واحد منّا الطاعة للآخر ، وقد قُتل فيما بيننا بشر كثير ، وأنا أتخوّف أن يكون ما بقي أشدّ ممّا مضى ، وإنّا سوف نُسأل عن ذلك الموطن ، ولا يُحاسَب به غيري وغيرك ، فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة ، وصلاح للأُمّة ، وحقن للدماء ، وأُلفة للدين ، وذهاب للضغائن والفتن ؛ أن يحكم بيننا وبينك حكمان رضِيّان ؛ أحدهما من أصحابي ، والآخر من أصحابك ؛ فيحكمان بما في كتاب الله بيننا ؛ فإنّه خير لي ولك ، وأقطع لهذه الفتن . فاتّقِ الله فيما دُعيت له ، وارضَ بحكم القرآن إن كنت من أهله . والسلام

**جواب الإمام (عليه السلام) :**

كتب إليه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان . أمّا بعدُ ؛ فإنّ أفضل ما شغل به المرء نفسه اتّباع ما يحسن به فعله ، ويستوجب فضله ، ويسلم من عيبه . وإنّ البغي والزور يُزريان بالمرء في دينه ودنياه ، ويُبدِيان من خلله عند من يُغنيه ما استرعاه الله ما لا يُغني عنه تدبيره . فاحذر الدنيا ؛ فإنّه لا فرح في شيء وصلت إليه منها . ولقد علمت أنّك غير مدرك ما قُضي فواته . وقد رام قومٌ أمراً بغير الحقّ ؛ فتأوّلوا على الله تعالى ، فأكذبهم ومتّعهم قليلاً ، ثمّ اضطرّهم إلى عذاب غليظ . فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمدَ عاقبةَ عمله ، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحادَّه ، فغرّته الدنيا واطمأنّ إليها . ثمّ إنّك قد دعوتني إلى حكم القرآن ؛ ولقد علمت أنّك لست من أهل القرآن ، ولست حكمَه تُريد ، والله المستعان . وقد أجبنا القرآن إلى حكمه ، ولسنا إيّاك أجبنا . ومن لم يرضَ بحكم [ القرآن ] فقد ضلّ ضلالاً بعيداً .

**تعيين الحَكَم:**

لمّا أراد الناس عليّاً (عليه السلام)على أن يضع حكمين قال لهم عليّ (عليه السلام): إنّ معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص ، وإنّه لا يصلح للقرشي إلاّ مثله ، فعليكم **بـ(عبد الله بن عبّاس**) فارموه به ؛ فإنّ عمراً لا يعقد عقدة إلاّ حلّها عبد الله ، ولا يحلّ عقدة إلاّ عقدها ، ولا يبرم أمراً إلاّ نقضه ، ولا ينقض أمراً إلاّ أبرمه .

فقال الأشعث : لا والله ، لا يحكم فيها مضريّان حتى تقوم الساعة ، ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مضر .

فقال عليّ (عليه السلام): إنّي أخاف أن يُخدع يَمنيّكم ؛ فإنّ عمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوًى

فقال الأشعث : والله ، لأن يحكما ببعض ما نكره ، وأحدهما من أهل اليمن ، أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ في حكمهما وهما مضريّان .

و اجتمع قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام ، فقعدوا بين الصفّين ، ومعهم المصحف يتدارسونه ، فاجتمعوا على أن يُحكّموا حكمين ، وانصرفوا .

فقال أهل الشام : قد رضينا بعمرو . وقال الأشعث ومن كان معه من قرّاء أهل العراق : قد رضينا نحن بأبي موسى . فقال لهم عليّ : لست أثق برأي أبي موسى ، ولا بحزمه ، ولكن أجعل ذلك لعبد الله بن عبّاس .

قالوا : والله ، ما نفرّق بينك وبين ابن عبّاس ، وكأنّك تريد أن تكون أنت الحاكم ، بل اجعله رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى أحد منكما بأدنى منه إلى الآخر .

قال عليّ (عليه السلام) : فلِمَ ترضون لأهل الشام بابن العاص ، وليس كذلك ؟ قالوا : أُولئك أعلم ، إنّما علينا أنفسنا . قال : فإنّي أجعل ذلك إلى **(الأشتر**) .

قال الأشعث : وهل سعّر هذه الحرب إلاّ الأشتر ؟ وهل نحن إلاّ في حكم الأشتر ؟

قال عليّ(عليه السلام) : وما حكمه ؟ قال : يضرب بعض وجوه بعض حتى يكون ما يريد الله .

قال (عليه السلام): فقد أبيتم إلاّ أن تجعلوا أبا موسى ؟

قالوا : نعم .

قال : فاصنعوا ما أحببتم .

**وثيقة التحكيم :**

* تضمنت وثيقة التحكيم عدد من الامور بعد البسملة بان يتفق الطرفان على النزول عند حكم الله عزّ وجلّ وكتابه ، ولا يجمع بينهما غيره ، وإنّ كتاب الله عزّ وجلّ بينهم من فاتحته إلى خاتمته ، يحيزن ما أحيا ، ويميتون ما أمات .
* فما وجد الحكمان في كتاب الله عزّ وجلّ - وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص القرشي - عملا به ، وما لم يجدا في كتاب الله عزّ وجلّ فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرّقة .
* وأخذ الحكمان من عليّ (عليه السلام) ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق ، والثقة من الناس ، أنّهما آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأُمّة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه . وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه أنّا على ما في هذه الصحيفة ، وأن قد وجبت قضيّتهما على المؤمنين .
* إنّ الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، وشاهدهم وغائبهم .
* وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأُمّة ، ولا يَرُدّاها في حرب ولا فرقة حتى يُعصيا .
* وأجلُ القضاء إلى رمضان . وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه على تراض منهما .
* إن توفِّي أحد الحكمين فإنّ أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألو من أهل المَعدلة والقسط.
* وإنّ مكان قضيّتهما الذي يقضيان فيه مكانٌ عدلٌ بين أهل الكوفة وأهل الشام .
* إن رضيا وأحبّا فلا يحضرهما فيه إلاّ من أرادا ، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود ، ثمّ يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة ، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحاداً وظلماً .
* كان ذلك في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة على أن يوافي عليّ ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان .

**موقف الامام (عليه السلام) والاشتر من الصحيفة:**

قيل لعليّ(عليه السلام) بعدما كتبت الصحيفة : إنّ الأشتر لا يُقرّ بما في الصحيفة ، ولا يرى إلاّ قتال القوم .

قال عليّ (عليه السلام): وأنا والله ، ما رضيتُ ولا أحببتُ أن ترضوا ، فإذ أبيتم إلاّ أن ترضوا فقد رضيتُ ، فإذ رضيتُ فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ، ولا التبديل بعد الإقرار ، إلاّ أن يُعصى الله عزّ وجلّ ويُتعدّى كتابه ، فقاتلوا من ترك أمر الله عزّ وجلّ . وأمّا الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أُولئك ، ولستُ أخافه على ذلك ، يا ليتَ فيكم مثله اثنين ! يا ليتَ فيكم مثله واحداً ! يرى في عدوّي ما أرى ؛ إذاً لخفّت عليَّ مؤونتكم ورجوتُ أن يستقيم لي بعض أودكم ، وقد نهيتكم عمّا أتيتم فعصيتموني .

**موقف معسكر الإمام(عليه السلام) من الوثيقة:**

كان هناك اختلاف واضح وصريح في الكلمة بين رجال المعسكر الواحد فعندما خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ، ويعرضه عليهم فيقرؤنه حتى مرّ به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أديّة وهو أخو أبي بلال فقرأه عليهم فقال عروة بن أديّة : تُحكمون في أمر الله عزّ وجلّ الرجال ؟ ! لا حكم إلاّ لله ، ثمّ شد بسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة واندفعت الدابة ، وصاح به أصحابه أن أملك يدك فرجع ، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن فمشى الأحنف بن قيس السعدي ومعقل بن قيس الرياحي ومسعر بن فدكي وناس كثير من بني تميم فتنصلوا إليه واعتذروا فقبل وصفح .

ولمّا وقع التحكيم تباغض القوم جميعاً ، وأقبل بعضهم يتبرّأ من بعض : يتبرّأ الأخ من أخيه ، والابن من أبيه ، وأمر عليّ(عليه السلام) بالرحيل ، لعلمه باختلاف الكلمة ، وتفاوت الرأي ، وعدم النظام لأُمورهم ، وما لحقه من الخلاف منهم ، وكثر التحكيم في جيش أهل العراق ، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف ، وتسابّوا ، ولام كلّ فريق منهم الآخر في رأيه . وسار عليّ يؤمّ الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرّق عساكره ، فلحق كلّ جند منهم ببلده .

**دخول العسكر الى الكوفة وبدء فتنة أُخرى :**

لقد خرج القوم مع عليّ (عليه السلام)إلى صفّين وهم متوادّون أحبّاء ، فرجعوا متباغضين أعداء ، ما برحوا من عسكرهم بصفّين حتى فشا فيهم التحكيم ، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كلّه ويتشاتمون ويضطربون بالسياط .

يقول الخوارج : يا أعداء الله ! أدهنتم في أمر الله عزّ وجلّ وحكّمتم ! وقال الآخرون : فارقتم إمامنا ، وفرّقتم جماعتنا . فلمّا دخل عليّ(عليه السلام) الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتَوا **حروراء**  ، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديهم : إنّ أمير القتال **شَبَث بن رِبعي التميمي** ، وأمير الصلاة **عبد الله بن الكوّاء اليشكري** ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عزّ وجلّ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . .

**خيمة التحكيم سنة 38هـ :**

عن أبي رافع : لمّا أحضرني أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وقد وجّه أبا موسى الأشعري فقال له : احكم بكتاب الله ولا تجاوزه ، فلمّا أدبر قال : كأنّي به وقد خُدِع . قلت : يا أمير المؤمنين ! فلِمَ توجّهه وأنت تعلم أنّه مخدوع ؟

فقال : يا بنيّ ، لو عمل الله في خلقه بعلمه ما احتجّ عليهم بالرسل .

و بعث معاوية إلى رجال من قريش من الذين كرهوا أن يُعينوه في حربه : إنّ الحرب قد وضعت أوزارها ، والتقى هذان الرجلان بدومة الجندل ، فاقدموا عليَّ . فأتاه عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وأبو الجهم ابن حذيفة ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وعبد الله بن صفوان الجمحي ، ورجال من قريش . وأتاه المغيرة بن شعبة ؛ وكان مقيماً بالطائف لم يشهد صفّين .

فقال : يا مغيرة ما ترى ؟ قال : يا معاوية لو وسعني أن أنصرك لنصرتك ، ولكن عليَّ أن آتيك بأمر الرجلين ، فركب حتى أتى دومة الجندل ، فدخل على أبي موسى كأنّه زائر له فقال : يا أبا موسى ، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدماء ؟ قال : أُولئك خيار الناس ، خفّت ظهورهم من دمائهم ، وخمصت بطونهم من أموالهم ، ثمّ أتى عمراً فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر ، وكره هذه الدماء ؟ قال : أُولئك شرار الناس ؛ لم يعرفوا حقّاً ، ولم يُنكروا باطلاً ، فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له : قد ذُقْتُ الرجلين ؛ أمّا عبد الله بن قيس فخالعٌ صاحبَه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الأمر ، وهواه في عبد الله بن عمر ، وأمّا عمرو فهو صاحب الذي تعرف ، وقد ظنّ الناس أنّه يرومها لنفسه ، وأنّه لا يرى أنّك أحقّ بهذا الأمر منه.

وبعث الامام عليٌّ (عليه السلام)بعبد الله بن العبّاس ، وشريح بن هاني الهمداني في أربعمائة رجل فيهم أبو موسى الأشعري ، وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط في أربعمائة ، فلمّا تدانى القوم من الموضع الذي كان فيه الاجتماع قال ابن عبّاس لأبي موسى : إنّ عليّاً لم يرضَ بك حكماً لفضل عندك ، والمتقدّمون عليك كثير ، وإنّ الناس أبَوا غيرك ، وإنّي لأظنّ ذلك لشرّ يُراد بهم ، وقد ضُمّ داهية العرب معك . إن نسيت فلا تنسَ أنّ عليّاً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان،وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة ، وليس في معاوية خصلة تقرّبه من الخلافة .

**النتائج التي خرجت عن الحَكَمين:**

إنّ عمراً وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل ، أخذ عمرو بن العاص يقدّم أبا موسى في الكلام ، يقول : إنّك صاحب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وأنت أسنّ مني ، فتكلَّمْ وأتكلَّمُ .

فكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه في كلّ شيء ، اغترى بذلك كله أن يقدّمه ، فيبدأ بخلع عليّ (عليه السلام).

فقال له عمرو : خبّرني ما رأيك ؟ قال : رأيي أن نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فيختار المسلمون لأنفسهم مَن أحبّوا .

فقال له عمرو : فإنّ الرأي ما رأيت . فأقبَلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال : يا أبا موسى ، أعلِمْهم بأنّ رأينا قد اجتمع واتّفق ، فتكلّم أبو موسى فقال : إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتّفق على أمر نرجو أن يُصلِح الله عزّ وجلّ به أمرَ هذه الأُمة .

فقال عمرو : صدق وبرّ ، يا أبا موسى ! تقدّم فتكلّم ، فتقدّم أبو موسى ليتكلّم ، فقال له ابنُ عبّاس : وَيْحَك ! والله إنّي لأظنّه قد خدعك . إن كنتما قد اتّفقتما على أمر ؛ فقدّمْه فليتكلّم بذلك الأمر قبلك ، ثمّ تكلّم أنت بعده ؛ فإنّ عمراً رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضى فيما بينك وبينه ، فإذا قمت في الناس خالفك - وكان أبو موسى مغفّلاً - فقال له : إنّا قد اتّفقنا.

فتقدّم أبو موسى فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ! إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمة فلم نَرَ أصلح لأمرها ، ولا ألمّ لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ؛ وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية ، وتستقبل هذه الأُمّة هذا الأمر ؛ فيولّوا منهم مَنْ أحبّوا عليهم ، وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً . ثمّ تنحّى .

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد اللهَ وأثنى عليه وقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأُثبتُ صاحبي معاوية ؛ فإنّه وليّ عثمان بن عفّان ، والطالب بدمه ، وأحقّ الناس بمقامه .

فقال أبو موسى : ما لك لا وفّقك الله ! غدرتَ وفجرتَ ! إنّما مَثَلك ( كَمَثَلِ الْكَلْبِ إن تَحمِل عليه يَلْهَثْ أو تتركه يَلْهث ).

قال عمرو : إنّما مَثَلك ( كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَا ).

فركب الاشعري راحلتَه ولحق بمكّة . قال ابن عبّاس : قبّح الله رأى أبي موسى ! حذّرته وأمرْته بالرأي فما عَقَل .

فكان أبو موسى يقول : حذّرني ابنُ عبّاس غَدْرة الفاسق ، ولكنّي اطمأننت إليه ، وظننت أنّه لن يؤثِر شيئاً على نصيحة الأُمّة . ثمّ انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية ، وسلّموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عبّاس وشريح بن هانئ إلى عليّ (عليه السلام)

وتنادى الناس : حَكَم والله الحَكَمان بغير ما في الكتاب والشرط عليهما غير هذا . وتضارب القوم بالسياط وافترقوا. ونادت الخوارج : كَفَر الحَكَمان ، لا حُكْم إلاّ لله .

**وقفات في قضية التحكيم:**

إنّ قضيّة التحكيم في معركة صفّين تُعدّ واحدة من أكثر الوقائع الباعثة على الأسف والأسى في عهد حكومة الإمام عليّ ( عليه السلام ) ؛ حيث جاءت هذه الحادثة المريرة في وقت شارَفَ فيه جيش الإمام على إحراز النصر النهائي ، فحالَ قبول التحكيم دون تحقيق ذلك الانتصار الساحق ، وليس هذا فحسب ، بل إنّه أفضى أيضاً إلى وقوع خلافات في جيشه ( عليه السلام ) وانهماكه في صراعات مع كوكبة واسعة من خيرة مقاتليه . ولغرض تسليط الأضواء على هذا الموضوع لابدّ أوّلاً من مناقشة عدّة أُمور :

1 - **سبب قبول التحكيم:**

السؤال الأوّل الذي يتبادر إلى الأذهان هو : لماذا وافق الإمام على فكرة التحكيم ؟ فهل إنّه كان في شكّ من أمره ومواقفه ؟

بل ما معنى التحكيم بين الحقّ والباطل ؟

أوَلم تكن الحكمة والسياسة تقضيان أن يقاوم الإمام ضغوط رهْط من جيشه ، ولا ينصاع لفكرة التحكيم ؟

وفي معرض الإجابة عن هذه التساؤلات نقول : بلى ، إنّ مقتضى الحكمة والسياسة ألاّ يقبل الإمام بالتحكيم ، إلاّ أنّه ( عليه السلام ) - كما تفيد الوثائق التاريخيّة القطعيّة - لم يقبل التحكيم بإرادته وإنّما فُرض عليه فرضاً ، ولم تكن مقاومته أمام ذلك الرأي الساذج تُجديه نفعاً ، بل كانت تؤدّي إلى وقوع معركة النهروان في صفّين ، وسيضطرّ الإمام إلى محاربة قسم كبير من جيشه في ذات الميدان الذي كان يقاتل فيه جيش الشام . عندما أدرك معاوية بأنّه لا طاقة له على الصمود أمام جيش الإمام ، وأنّ الحرب لو استمرت لكان الانتصار الحاسم حليف الإمام ، لجأ - بما لديه من معرفة بفريق واسع من جيش الإمام ، وبناءً على اقتراح من عمرو بن العاص - إلى حيلتين شيطانيّتين خطيرتين :

الأُولى هدفها إيقاف القتال مؤقّتاً ، بينما ترمي الثانية إلى تمزيق أو إضعاف جيش الإمام . وقد آتت كلتا الحيلتين أُكلهما بمعاضدة العناصر المتغلغلة في جيش الإمام .

كانت الحيلة الأُولى رفع القرآن على الرماح ، ودعوة الإمام(عليه السلام) إلى تحكيم القرآن ، حتى أوقف القتال ، أمّا الحيلة الثانية فكانت قضيّة التحكيم التي تمّ حبكها على نحو أكثر تعقيداً ، ممّا أدّى في خاتمة المطاف إلى وقوف قطاع من خيرة جيشه في وجهه . وهذا هو السبب الذي دفع الإمام لاحقاً إلى مقاتلة أنصاره في معركة النهروان . ولم يكن أمامه مناص في معركة صفّين سوى الانصياع لضغوطهم وقبول التحكيم . وهناك قول مشهور للإمام في وصف حالته أثناء قبول التحكيم : " لقد كنت أمسِ أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ! وكنتُ أمس ناهياً ، فأصبحت اليوم منهيّاً ! " . وهو يعبّر بكلّ وضوح عن هذا الواقع المرير .

2 - لماذا أبو موسى ؟ وموقفه هذا هو الذي جعله يثبّط الناس عن أمير المؤمنين عند قدومه البصرة ، ويحثّهم على لزوم بيوتهم ، وفي نهاية الأمر أرغمه مالك الأشتر على مغادرة قصر الإمارة . وهنا يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال وهو : لماذا عيّن الإمام (عليه السلام)شخصاً ساذجاً له كهذا ، مندوباً عنه في أمر التحكيم ؟ ألم يعلم بما ستكون عليه نتيجة التحكيم فيما لو دخل أبو موسى فيه ؟ والجواب هو : بلى ، إنّ الإمام (عليه السلام)كان يعلم بالنتيجة ؛ فقد ذكر عبد الله بن أبي رافع كاتب الإمام عليّ ( عليه السلام ) بأنّ أبا موسى عندما أراد المسير إلى التحكيم ، قال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) : " كأنّي به وقد خُدِع ! " ، غير أنّ الضغوط التي أرغمت الإمام على قبول التحكيم هي نفسها التي أرغمته على إرسال أبي موسى ممثّلاً عنه .

ومع أنّ الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) حاول أن يبعث عبد الله بن عبّاس أو مالكاً الأشتر حكماً ، إلاّ أنّ محاولاته لم تُجْد نفعاً ! فقال ( عليه السلام ) : " إنّكم عصيتموني في أوّل الأمر ؛ فلا تعصوني الآن ! إنّي لا أرى أن أُولّي أبا موسى " . فقال الأشعث وزيد بن الحصين الطائي ومسعر بن فدكي : لا نرضى إلاّ به ؛ فإنّه ما كان يحذّرنا منه وقعنا فيه ! فقال عليّ ( عليه السلام ) : " فإنّه ليس لي به ثقة ؛ قد فارقني وخذّل الناس عنّي ، ثمّ هرب منّي حتّى آنسته بعد شهر . . . " . ولم يستطع الإمام أن يثنيهم عن رأيهم ، فقال لهم في نهاية الأمر : " فاصنعوا ما أردتم ! " .

3 - موضوع التحكيم لنتطلّع الآن في موضوع الحَكَميّة ، وما الذي يجب أن يحكم فيه الحكمان ؟ لا يلاحظ في وثيقة التحكيم ما يشير إلى موضوع التحكيم ، ولا واجبات وصلاحيّات الحكَمَين ، وإنّما اشتملت على واجب عامّ للحكَمَين وهو " أن ينزل الحَكَمان عند حكم القرآن ، وما لم يجداه مسمّىً في الكتاب ردّاه إلى سنّة رسول الله " .

لم يرد في نصّ الوثيقة ما يشير إلى موضوع التحكيم قطّ ، أو أنّه يُعنى بالنظر في أمر قتَلة عثمان ؛ كما أشار البعض إلى " أنّ الذي يُستشفّ من كتب وكلمات معاوية أنّ ما فُوّض إلى الحَكَمين هو النظر في أمر قتلة عثمان ، وهل كانوا محقّين في عملهم أم لا ؟ ". أوَ هل كان موضوع التحكيم واضحاً بحيث لم تكن هناك ضرورة لإدراجه في نصّ الوثيقة ؟ أم يحتمل أنّ موضوع التحكيم كان موجوداً في الوثيقة ، إلاّ أنّه حُذف أو حُرِّف لاحقاً ؟ الذي يبدو أنّ تحريف نصّ الوثيقة كان أمراً مستبعداً ، وكذلك لو كان موضوع التحكيم يختصّ بقتلة عثمان لأُشير إليه في نصّ الوثيقة . وما جاء في كلام الإمام أو في رسائله إلى معاوية لا يكشف عن أنّ مسألة قتلة عثمان كان أحد مواضيع التحكيم .

ويظهر أنّ موضوع التحكيم يختصّ بحلّ اختلافات الجانبين ، ولا توجد حاجة لتعيينه . وفي كلّ الحالات يجب على الحكمين البتّ في جميع المسائل المختلف عليها بين الفريقين المتنازعين ، وتوفير أجواء المصالحة بينهما . ومعنى هذا الكلام عدم تخصيص موضوع الحكَميّة في معركة صفّين بمسألة قتلة عثمان ، وإنّما كان يشمل جميع الأُمور المتنازع عليها بين عليّ ( عليه السلام ) ومعاوية . وهذا هو السبب الذي جعل الوثيقة خالية من ذكر أيّ موضوع خاصّ ، إلاّ أنّ هذا المعنى لم يكن يشمل تعيين الخليفة ، وإنّما كان واجب الحكمين البتّ في تنازع جيش الكوفة والشام ووضع حدّ لحالة الحرب وسفك الدماء . والحقيقة هي أنّ ما أُعلن بوصفه رأياً نهائيّاً على أثر الخديعة التي حاكها عمرو بن العاص ، جاء خارج موضوع التحكيم وفوق الصلاحيّات المفوّضة إلى الحَكَمين .

4 - سبب انخداع جيش الإمام والآن نُحيل النظر في أسباب انخداع جيش الإمام عليّ ( عليه السلام ) ؛ ولماذا لم يدركوا أو لم يريدوا أن يدركوا بأنّ رفع المصاحف على الرماح لم يكن إلاّ مكيدة أراد بها الشاميّون إيقاف القتال ؟ ولماذا لم يُصغوا لكلام إمامهم ، وأرغموه على قبول التحكيم ؟ ينبغي الإجابة عن هذا السؤال بالقول : إنّه وإن كان ثمّة أفراد في جيش الإمام كانوا طوع أمره ، وأرادوا أن تستمرّ المعركة حتّى انتصار جيش الكوفة ، إلاّ أنّ الوثائق التاريخيّة تُثبت أنّ الأكثريّة العظمى من جيش الإمام (عليه السلام)كانت قد سئمت الحرب أوّلاً ، وكانوا يعلمون أنّهم حتى لو انتصروا فلن يحصلوا على أيّة غنائم - مثلما حدث في معركة الجمل - ثانياً ؛ ومن هنا فهم كانوا يفتقدون الدوافع المحفزة على مواصلة القتال .

وممّا دعم الموقف الأحمق للقرّاء في تلك الأثناء وساهم في نجاح مكيدة معاوية لإيقاف الحرب وبثّ الفرقة في جيش الإمام - كما سبقت الإشارة إليه - هو موقف أُولئك الذين كانوا يتعاملون مع الإمام تعاملاً منافقاً ، ومن كانوا يمنّون أنفسهم بوعود معاوية ، وعلى رأسهم الأشعث بن قيس . فالأشعث بن قيس من قبيلة كندة التي كانت تقطن جنوب الجزيرة العربيّة ، وقد وفد على الرسول ( صلى الله عليه وآله ) مع جماعة من قومه في السنة العاشرة للهجرة ، وأسلم ، ثمّ ارتدّ بعد وفاة الرسول ( صلى الله عليه وآله ) ، فبعث أبو بكر جيشاً لقتاله ، وأُسر واقتيد مكبّلاً بالأغلال إلى المدينة ، فعفا عنه أبو بكر وزوّجه أُخته ! ! وبعد مقتل عثمان بايع عليّاً ( عليه السلام ) ، بيد أنّه لم يكن يتعامل معه بإخلاص ؛ فمواقفه إزاء الإمام وخاصّة فيما يتعلّق بالتحكيم ، وبثّ الفرقة بين صفوف جيش الإمام ، تشير إلى أنّه تحوّل إلى واحد من العناصر المندسّة في جيش الإمام لصالح معاوية . إلاّ أنّ الإمام عليّ ( عليه السلام ) لم يكن قادراً على البتّ في أمره ؛ بسبب مكانته الاجتماعيّة وضخامة قبيلته التي كان لها دور مؤثّر في جيش الكوفة .

5 - الحكمة من عدم اغتنام الفرصة بعد توبة الخوارج وتوقّفت المعركة على أثر المكيدة التي ابتكرها عمرو بن العاص . ولكن ما لبث قرّاء الكوفة أن انتبهوا إلى أنّهم قد انطلت عليهم الخدعة ، وأنّهم قد أخطؤوا في حمل الإمام (عليه السلام)على قبول التحكيم . فجاؤوا إليه وأعربوا عن خطأ موقفهم ، وتوبتهم ممّا كان منهم ، وأنّه هو الآخر قد أخطأ في قبول رأيهم ، ويجب أن يتوب أيضاً ! واعتبروا الوثيقة التي صيغت على أساس المكيدة فاقدة لأيّة قيمة ، ولابدّ من نقضها واستئناف الحرب . إلاّ أنّ الإمام(عليه السلام) رفض قبول هذه الاقتراحات ، وانتهى ذلك الرفض إلى انشقاق القُرّاء عن الإمام ووقوع معركة النهروان .

والسؤال الأساسي الأخير فيما يخصّ أمر التحكيم هو : لماذا رفض الإمام اقتراح القرّاء بنقض الوثيقة ومعاودة القتال ؟ ألم يكن يعلم بما سيؤول إليه رفض تلك المقترحات ؟ وما هي الحكمة الكامنة وراء عدم اغتنام الإمام لتلك الفرصة الذهبيّة لإنهاء فتنة القاسطين ، وتوقّي وقوع فتنة المارقين ؟ وجواب هذا السؤال : هو أنّ استجابة الإمام لتلك المقترحات تنطوي على ثلاثة أخطاء سياسيّة ودينيّة كبرى لم يكن الإمام على استعداد لاقترافها ، وهي :

أ - الاعتراف بخطأ القيادة كان الطلب الأوّل للخوارج أن يعترف بأنّه قد أخطأ فيما يخصّ القبول بأمر التحكيم ، غير أنّ الإمام (عليه السلام) لم يكن على استعداد للإعلان عن ارتكابه لأيّ خطأ ؛ وذلك لأنّ القبول بالتحكيم لحلّ الاختلافات لا يُعدّ تصرّفاً خاطئاً ، بل هو أمر محبّذ يؤيّده القرآن . والمؤاخذة الوحيدة في هذا السياق هي أنّ التحكيم في هذه الواقعة جاء خلافاً للحكمة والسياسة التي أعلنها الإمام صراحة ، لكنّهم هم الذين استنكروا منه ذلك الموقف وأملوا عليه وعلى جيش الكوفة الرضوخ للتحكيم . وفضلاً عن ذلك ، فإنّ الإمام (عليه السلام) كان يميل إلى الاستقالة على نحو يُرضي الخوارج ، غير أنّ الأشعث لم يقبل وأصرّ على أن يعترف الإمام بالخطأ على نحو يسيء إلى مكانته بوصفه قائداً .

ب - نقض العهد ولو افترضنا أنّ الإمام(عليه السلام) قد اعترف بخطأ ؛ فإنّ الخوارج كان لديهم طلب آخر ؛ وهو نقض الوثيقة بين جيش الشام والكوفة . بينما كان الإمام(عليه السلام) يرى أنّ التمسّك بالمواثيق يعدّ واحداً من المبادئ الدوليّة في الإسلام ، ولا ينبغي أن ينقض المواثيق تحت أيّة ذريعة كانت . ومن هنا فقد كتب في عهده إلى مالك الأشتر : " وإن عقدتَ بينك وبين عدوّك عُقدة أو ألبستَه منك ذمّة ، فحُطْ عهدك بالوفاء ، وارْعَ ذمّتك بالأمانة ، واجعل نفسك جُنّة دون ما أعطيت ؛ فإنّه ليس من فرائض الله شيءٌ الناسُ أشدُّ عليه اجتماعاً ، مع تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استَوبَلوا من عواقب الغدر ؛ فلا تغدرنَّ بذمّتك ، ولا تَخِيسَنّ بعهدك ، ولا تَخْتِلنّ عدوّك ؛ فإنّه لا يجترئ على الله إلاّ جاهل شقيّ . وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكنون إلى مَنَعته ، ويستفيضون إلى جواره ؛ فلا إدغالَ ولا مدالسة ولا خداع فيه ". فإذا كان الإمام عليّ ( عليه السلام ) ينقض هذا المبدأ الإسلامي الأساسي ، فما عسانا أن نتوقّع من غيره ! ج - خطورة تسلّط الجهلة المتنسّكين إنّ خطر تسلّط الجهلة المتنسّكين - في منظار الامام ( عليه السلام ) - لا يقلّ عن خطر العلماء الفاسقين ؛ فالاعتراف بخطأ ، ونقض العهد في أمر التحكيم ، كان يعني انصياع عليّ ( عليه السلام ) لتسلّط الجهلة المتنسّكين - المصابين بمرض العجب وحبّ الدنيا والتطرّف الديني لدى من اشتُهروا باسم " القرّاء " - على نفسه وعلى الأُمّة الإسلاميّة ، وأنّه قد فوّض إليهم القرارات الأساسيّة في الحرب والسلام ، ومن بعدهما في جميع الأُمور المهمّة والحسّاسة . وهذا ليس بالأمر الذي يمكن أن يتقبّله أو يستسيغه قائد الأُمّة الإسلاميّة . وهذا ما جعل الإمام يقاوم طلباتهم بكلّ قوّة ، ويقول : " أنا فقأت عين الفتنة ، ولم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري " .

**وقعة النّهروان (فتنة المارقين**) :

**تاريخها:**

بعدما يقرب من سنة واحدة على واقعة صفين ، وفي وقت لم تكن قد أخمدت فيه نيران هذه الحرب الدامية ، اندلع لهيب ثالث حرب داخلية منطلقا هذه المرة من داخل جيش الإمام (عليه السلام) وبزعامة المتطرفين من المسلمين . وهكذا كان الإمام منذ تسلمه لزمام السلطة السياسية يواجه في كل عام حربا أهلية .

هذا وإن تاريخ وقوع معركة النهروان غير محدد على وجه الدقة ؛ فقد ذكر بعض المؤرخين أنها وقعت سنة 38 ه‍ ، بينما ذكر آخرون أنها وقعت سنة 37 ه‍ ، وأشار غيرهم إلى وقوعها سنة 39 ه‍.

ويبدو أن الرأي الأول أقرب إلى الصواب ؛ فبالإضافة إلى أن الكثير من أصحاب السير - أو أكثرهم كما يقول الطبري - يذهبون إلى هذا القول ؛ فإن التتبع الدقيق لمجريات الأحداث في عهد حكومة الإمام علي ( عليه السلام ) يؤيد هذا الرأي أيضا .

وأما الشهر الذي وقعت فيه معركة النهروان فلم يشر إليه أكثر المؤرخين إلا أن البعض منهم يرى أنها حدثت في شهر صفر سنة 38 ه‍ ويرى آخرون أنها كانت في شهر شعبان سنة 38 ه‍ ويبدو أن القول الصحيح هو الأول أي في شهر صفر سنة 38 ه‍ ؛ لأن وقت التحكيم كان قد عين في شهر رمضان ، ومن بعده جهز الإمام جيشا وسار به نحو الشام ، وإذا به يواجه تمرد الخوارج عليه .

وكانت مدة الحرب قصيرة جدا وما لبثت أن خمدت على وجه السرعة .

**مكانها:**

دارت رحى الحرب في النهروان وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي على أربعة فراسخ من بغداد .

**عدد المشاركين فيها :**

شكل جيش الإمام أمير المؤمنين ( عليه السلام ) أكثر من ثمانية وستين ألفا ؛ وذلك أن الإمام (عليه السلام ) تهيأ لقتال أهل الشام ، ولم يكن عزم على قتال الخوارج.

وأما جيش الخوارج فكان أربعة آلاف أو ألفين وثمانمائة.

**الاسماء التي اطلقت على اهل وقعة النهروان :**

1 - المارقون أول من نعتهم بهذا الاسم هو رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ، وذلك أنه كان يرى بالبصيرة الإلهية بأن هذه الفئة بسبب تطرفها الديني تمرق من الدين بسرعة بحيث لا يبقى عليها أي أثر من الآثار الحقيقية للدين ؛ فقال في هذا المجال : " يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ؛ فينظر الرامي إلى سهمه ، إلى نصله ، إلى رصافه ، فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء " .

2 - الحرورية اما سبب تسميتهم بالحرورية عندما ناظرهم الامام (عليه السلام) - بعد مناظرة ابن عباس إياهم - كان فيما قال لهم : " ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم : إن هذه مكيدة ووهن ، وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني. ثم سألوني التحكيم ، أفعلمتم أنه ما كان منكم أحد أكره لذلك مني ؟ قالوا : اللهم نعم . . . فرجع معه منهم ألفان من حروراء ، وقد كانوا تجمعوا بها . فقال لهم علي (عليه السلام): ما نسميكم ؟ ثم قال : أنتم الحرورية ؛ لاجتماعكم بحروراء ".

3 - الشراة وهذا الاسم يحمل معنيين متضادين : أ - مأخوذ من " شرى " بمعنى " غضب " وقيل في معناه : سموا بذلك لأنهم غضبوا ولجوا .ب - مأخوذ من " شرى " بمعنى " باع " . وكان الخوارج يعتبرون أنفسهم " شراة " بهذا المعنى ، بزعمهم أنهم شروا دنياهم بالآخرة ، وأنهم مصداق للآية الكريمة : ( ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ). وقال علي ( عليه السلام ) في رد هذه التصور الجاهل : بل إنهم مصداق لهذه الآية : ( قل هل ننبئكم بالأخسرين أعملا \* الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ) .

4 - الخوارج وهذا الاسم من الأسماء المعروفة لمثيري حرب النهروان ، وسموا بهذا الاسم لخروجهم عن طاعة الإمام علي ( عليه السلام ) وتمردهم على حكمه.

5 - البغاة : مشتق من البغي بمعنى التعدي والظلم والفساد . فعندما سئل علي ( عليه السلام ) عن أصحاب النهروان هل هم مشركون أم منافقون ؟ سماهم بغاة . ولهذه التسمية جذر قرآني حيث يقول الباري تعالى : ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ) .

ومما ينبغي الالتفات إليه في هذا المضمار أن الأسماء الثلاثة الأول خاصة بأصحاب النهروان ، أما لفظتي : " الخوارج " و " البغاة " فلا تختصان بهم ، وإنما تشملان الناكثين والقاسطين أيضا ، وكل من يتمرد على الإمام العادل .

**التهيؤ للمعركة:**

جمع الإمام على ( عليه السلام ) إليه رؤوس أهل الكوفة ، ورؤوس القبائل ، ووجوه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل الكوفة ! أنتم إخواني ، وأنصاري ، وأعواني على الحق ، وصحابتي على جهاد عدوي المحلين بكم ، أضرب المدبر ، وأرجو تمام طاعة المقبل ، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينوني بمناصحة جلية ، خلية من الغش ، إنكم مخرجنا إلى صفين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإني أسألكم أن يكتب لي رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة ، وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال ، وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا .

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين سمعا وطاعة ، وودا ونصيحة ، أنا أول الناس جاء بما سألت وبما طلبت .

وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نحوا من ذلك .

وقام عدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك . ثم إن الرؤوس كتبوا من فيهم ، ثم رفعوهم إليه ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم ، وألا يتخلف منهم عنهم أحد ، فرفعوا إليه **أربعين ألف** مقاتل ، **وسبعة عشر ألفا** من الأبناء ممن أدرك ، **وثمانية آلاف** من مواليهم وعبيدهم ، وقالوا : يا أمير المؤمنين أما من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممن قد بلغ الحلم وأطاق القتال فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوة والجلد ، وأمرناهم بالشخوص معنا ، ومنهم ضعفاء وهم في ضياعنا وأشياء مما يصلحنا .

وكانت العرب **سبعة وخمسين ألفا** من أهل الكوفة ، ومن مواليهم ومماليكهم **ثمانية آلاف** ، وكان جميع أهل الكوفة **خمسة وستين ألفا وثلاثة آلاف ومائتي** رجل من أهل البصرة ، وكان جميع من معه **ثمانية وستين ألفا ومائتي** رجل .

**قادة جيش الإمام:**

قائد الميمنة : حجر بن عدي الكندي . قائد الميسرة : شبث بن ربعي أو معقل بن قيس الرياحي . قائد الخيالة : أبو أيوب الأنصاري . قائد الرجالة : أبو قتادة الأنصاري . قائد أهل المدينة : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري .

**قادة جيش المارقين :**

قائد الميمنة : زيد بن حصين الطائي . قائد الميسرة : شريح بن أوفى العبسي . قائد الخيالة : حمزة بن سنان الأسدي . قائد الرجالة : حرقوص بن زهير السعدي. وقيل : قائد الميمنة : يزيد بن حصين ، وقائد الخيل : عبد الله بن وهب .

**محاولات الامام علي (عليه السلام )منع الحرب:**

عمل الإمام علي ( عليه السلام ) الى إشخاص عبد الله بن عباس إليهم للاحتجاج على الخوارج واوصاه - : لا تخاصمهم بالقرآن ؛ فإن القرآن حمال ذو وجوه ؛ تقول ويقولون ، ولكن حاججهم بالسنة ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصا .

ولماذا اجتمعوا أقبل عليهم ابن عباس ، حتى إذا أشرف عليهم ونظروا إليه ناداه بعضهم وقال : ويلك يا بن عباس ، أكفرت بربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب ؟ فقال ابن عباس : إني لا أستطيع أن أكلمكم كلكم ، ولكن انظروا أيكم أعلم بما يأتي ويذر فليخرج إلي ؛ حتى أكلمه . قال : فخرج إليه رجل منهم يقال له : **عتاب بن الأعور الثعلبي** حتى وقف قبالته - وكأن القرآن إنما كان ممثلا بين عينيه - فجعل يقول ويحتج ويتكلم بما يريد ، وابن عباس ساكت لا يكلمه بشيء ، حتى إذا فرغ من كلامه أقبل عليه ابن عباس فقال : إني أريد أن أضرب لك مثلا ، فإن كنت عاقلا فافهم .

فقال الخارجي : قل ما بدا لك .

فقال له ابن عباس : خبرني عن دار الإسلام هذه هل تعلم لمن هي ، ومن بناها ؟

فقال الخارجي : نعم ، هي لله عز وجل ، وهو الذي بناها على أنبيائه وأهل طاعته ، ثم أمر من بعثه إليها من الأنبياء أن يأمروا الأمم أن لا تعبدوا إلا إياه ، فآمن قوم ، وكفر قوم ، وآخر من بعثه إليها من الأنبياء محمد ( صلى الله عليه وآله ) .

فقال ابن عباس : صدقت . ولكن خبرني عن محمد حين بعث إلى دار الإسلام فبناها - كما بناها غيره من الأنبياء - هل أحكم عمارتها ، وبين حدودها ، وأوقف الأمة على سبلها وعملها وشرائع أحكامها ومعالم دينها ؟

قال الخارجي : نعم ، قد فعل محمد ذلك .

قال ابن عباس : فخبرني الآن عن محمد هل بقي فيها ، أو رحل عنها ؟

قال الخارجي : بل رحل عنها .

قال ابن عباس : فخبرني رحل عنها وهي كاملة العمارة بينة الحدود ، أم رحل عنها وهي خربة لا عمران فيها ؟

قال الخارجي : بل رحل عنها وهي كاملة العمارة ، بينة الحدود ، قائمة المنار .

قال ابن عباس : صدقت الآن ، فخبرني هل كان لمحمد ( صلى الله عليه وآله ) أحد يقوم بعمارة هذه الدار من بعده أم لا ؟

قال الخارجي : بلى ، قد كان له صحابة وأهل بيت ووصي وذرية يقومون بعمارة هذه الدار من بعده .

قال ابن عباس : ففعلوا أم لم يفعلوا ؟

قال الخارجي : بلى ، قد فعلوا وعمروا هذه الدار من بعده .

قال ابن عباس : فخبرني الآن عن هذه الدار من بعده هل هي اليوم على ما تركها محمد ( صلى الله عليه وآله ) من كمال عمارتها وقوام حدودها ، أم هي خربة عاطلة الحدود ؟

قال الخارجي : بل هي عاطلة الحدود خربة .

قال ابن عباس : أفذريته وليت هذه الخراب ، أم أمته ؟

قال : بل أمته .

قال : قال ابن عباس : أفأنت من الأمة أو من الذرية ؟

قال : أنا من الأمة .

قال ابن عباس : يا عتاب فخبرني الآن عنك كيف ترجو النجاة من النار وأنت من أمة قد أخربت دار الله ودار رسوله ، وعطلت حدودها ؟

فقال الخارجي : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ويحك يا بن عباس ! احتلت والله حتى أوقعتني في أمر عظيم ، وألزمتني الحجة ، حتى جعلتني ممن أخرب دار الله . ولكن ويحك يا بن عباس فكيف الحيلة في التخليص مما أنا فيه ؟

قال ابن عباس : الحيلة في ذلك أن تسعى في عمارة ما أخربته الأمة من دار الإسلام .

قال : فدلني على السعي في ذلك .

قال ابن عباس : إن أول ما يجب عليك في ذلك أن تعلم من سعى في خراب هذه الدار فتعاديه ، وتعلم من يريد عمارتها فتواليه .

قال : صدقت يا بن عباس ، والله ما أعرف أحدا في هذا الوقت يحب عمارة دار الإسلام غير ابن عمك علي بن أبي طالب لولا أنه حكم عبد الله بن قيس في حق هو له .

قال ابن عباس : ويحك يا عتاب ، إنا وجدنا الحكومة في كتاب الله عز وجل ؛ إنه قال تعالى : ( فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ) ، وقال تعالى : (يحكم به ذوا عدل منكم ) .

فصاحت الخوارج من كل ناحية وقالوا : فكأن عمرو بن العاص عندك من العدول ، وأنت تعلم أنه كان في الجاهلية رأسا ، وفي الإسلام ذنبا ، وهو الأبتر ابن الأبتر ، ممن قاتل محمدا (صلى الله عليه وآله ) ، وفتن أمته من بعده !

فقال ابن عباس : يا هؤلاء ! إن عمرو بن العاص لم يكن حكما ، أفتحتجون به علينا ؟ إنما كان حكما لمعاوية ، وقد أراد أمير المؤمنين علي ( رضي الله عنه ) أن يعبثني أنا فأكون له حكما ، فأبيتم عليه وقلتم : قد رضينا بأبي موسى الأشعري ، وقد كان أبو موسى - لعمري - رضي في نفسه وصحبته وإسلامه وسابقته ، غير أنه خدع فقال ما قال ، وليس يلزمنا من خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى ، فاتقوا ربكم ، وارجعوا إلى ما كنتم عليه من طاعة أمير المؤمنين ، فإنه وإن كان قاعدا عن طلب حقه فإنما ينتظر انقضاء المدة ثم يعود إلى محاربة القوم ، وليس علي ( عليه السلام ) ممن يقعد عن حق جعله الله له .

فصاحت الخوارج ؛ قالوا : هيهات يا بن عباس ! نحن لا نتولى عليا بعد هذا اليوم أبدا ، فارجع إليه وقل له فليخرج إلينا بنفسه ؛ حتى نحتج عليه ، ونسمع كلامه ، ويسمع من كلامنا ، فلعلنا إن سمعنا منه شيئا يعلق إما أن نرجع عما اجتمعنا عليه من حربه .

فخرج عبد الله بن عباس إلى علي ( رضي الله عنه ) فخبره بذلك.

وقال ابن عباس للامام ( عليه السلام ): والله ، ما أدري ما هم !

فقال له علي ( عليه السلام ) : رأيتهم منافقين ؟

قال : والله ، ما سيماهم بسيما المنافقين ، إن بين أعينهم لأثر السجود ، وهم يتأولون القرآن . فقال علي ( عليه السلام ) : دعوهم ما لم يسفكوا دما ، أو يغصبوا مالا .

وأرسل إليهم : ما هذا الذي أحدثتم ، وما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نخرج نحن وأنت ومن كان معنا بصفين ثلاث ليال ، ونتوب إلى الله من أمر الحكمين ، ثم نسير إلى معاوية فنقاتله ، حتى يحكم الله بيننا وبينه .

فقال علي ( عليه السلام ) : فهلا قلتم هذا حين بعثنا الحكمين ، وأخذنا منهم العهد ، وأعطيناهموه ! ألا قلتم هذا حينئذ !

قالوا : كنا قد طالت الحرب علينا ، واشتد البأس ، وكثر الجراح ، وخلا الكراع والسلاح .

فقال لهم : أفحين اشتد البأس عليكم عاهدتم ، فلما وجدتم الجمام قلتم : ننقض العهد ! إن رسول الله كان يفي للمشركين ، أفتأمرونني بنقضه !

**خروج الإمام ( عليه السلام ) إلى حروراء وتوبة جماعة من الخوارج:**

بعد رجوع عبد الله بن عباس من حروراء وإخباره الإمام ( عليه السلام ) بما جرى بينه وبين الخوارج ركب علي ( عليه السلام ) إلى القوم في مائة رجل من أصحابه ، حتى وافاهم بحروراء ، فلما بلغ ذلك الخوارج ركب عبد الله بن الكواء في مائة رجل من أصحابه حتى واقفه .

فقال له علي( عليه السلام ) : يا بن الكواء إن الكلام كثير ، ابرز إلي من أصحابك حتى أكلمك . قال ابن الكواء : وأنا آمن من سيفك . قال علي ( عليه السلام ): نعم ، وأنت آمن من سيفي . فخرج ابن الكواء في عشرة من أصحابه ودنوا من علي ( عليه السلام ).

وذهب ابن الكواء ليتكلم فصاح به رجل من أصحاب علي( عليه السلام ) وقال : اسكت ؛ حتى يتكلم من هو أحق بالكلام منك .

فسكت ابن الكواء ، وتكلم علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) ، فذكر الحرب الذي كان بينه وبين معاوية ، وذكر اليوم الذي رفعت فيه المصاحف ، وكيف اتفقوا على الحكمين ، ثم قال له علي ( عليه السلام ): ويحك يا بن الكواء ، ألم أقل لكم في ذلك اليوم الذي رفعت فيه المصاحف : كيف أهل الشام يريدون أن يخدعوكم بها ؟ ألم أقل لكم بأنهم قد عضهم السلاح وكاعواعن الحرب ، فذروني أناجزهم ، فأبيتم علي وقلتم : إن القوم قد دعونا إلى كتاب الله عز وجل فأجبهم إلى ذلك ، وإلا لم نقاتل معك ، وإلا دفعناك إليهم ! فلما أجبتكم إلى ذلك وأردت أن أبعث ابن عمي عبد الله بن عباس ليكون لي حكما ، فإنه رجل لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا ولا يطمع أحد من الناس في خديعته ، فأبى علي منكم من أبى ، وجئتموني بأبي موسى الأشعري وقلتم : قد رضينا بهذا . فأجبتكم إليه وأنا كاره ، ولو أصبت أعوانا غيركم في ذلك الوقت لما أجبتكم . ثم إني اشترطت على الحكمين بحضرتكم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته أو السنة الجامعة ، فإن هما لم يفعلا ذلك فلا طاعة لهما علي ، أكان ذلك أم لم يكن ؟ فقال ابن الكواء : صدقت ، قد كان هذا بعينه ، فلم لا ترجع إلى حرب القوم إذ قد علمت إن الحكمين لم يحكما بالحق ، وأن أحدهما خدع صاحبه ؟

فقال علي ( عليه السلام ): إنه ليس إلى حرب القوم سبيل إلى انقضاء المدة التي ضربت بيني وبينهم .

قال ابن الكواء : فأنت مجمع على ذلك ؟

قال : وهل يسعني إلا ذلك ؟ انظر يا بن الكواء أني أصبت أعوانا وأقعد عن حقي ؟

عندها بطن ابن الكواء فرسه وصار إلى علي( عليه السلام ) مع العشرة الذين كانوا معه ، ورجعوا عن رأي الخوارج ، وانصرفوا مع علي( عليه السلام ) إلى الكوفة ، وتفرق الباقون وهم يقولون : لا حكم إلا لله ، ولا طاعة لمن عصى الله .

**قتلهم ابن خباب وامرأته:**

دخل بعض الخوارج قرية ، فخرج عبد الله بن خباب ، ذعرا يجر رداءه ، فقالوا : لم ترع ؟ قال : والله لقد رعتموني !

قالوا : أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ؟

قال : نعم .

قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) تحدثناه ؟

قال : نعم ، سمعته يحدث عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) أنه ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي .

قالوا : أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ؟

فقالوا : لهذا الحديث سألناك ، فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيرا . قالوا : ما تقول في عثمان ، في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محقا في أولها وفي آخرها .

قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم ، وأشد توقيا على دينه ، وأنفذ بصيرة .

فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا .

فأخذوه فكتفوه ،

قال ابن خباب: إني لمسلم ، ما أحدثت في الإسلام حدثا ، ولقد أمنتموني ؛ قلتم : لا روع عليك . فجاؤوا به فأضجعوه ، فذبحوه ، وسال دمه في الماء .

وأقبلوا إلى المرأة ، فقالت : أني إنما أنا امرأة ، ألا تتقون الله ! فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء.

**مسير جيش الإمام إلى النهروان :**

ما أدى إلى تطور موقف الإمام في مواجهة الخوارج قتلهم لعبد الله ابن خباب وامرأته - : وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، فبلغ ذلك عليا (عليه السلام) ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس ، فبعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه على وجهه ، ولا يكتمه .

فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم ، فخرج القوم إليه فقتلوه . وأتى الخبر أمير المؤمنين(عليه السلام) والناس ، فقام إليه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا ؟ ! سر بنا إلى القوم ، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام . وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فكلمه بمثل ذلك.

**ارسال الإمام (عليه السلام) قيس بن سعد إليهم قبل المسير:**

لما أراد علي (عليه السلام) المسير إلى أهل النهر من الأنبار قدم قيس بن سعد بن عبادة ، وأمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره . ثم جاء مقبلا إليهم ، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر ، وبعث إلى أهل النهر : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فلعل الله يقلب قلوبكم ، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم . فبعثوا إليه ، فقالوا : كلنا قتلتهم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم .

**التحرك للمعركة:**

لقد عمل الامام (عليه السلام) الى رفع راية ، وضم إليها ألفي رجل ، ونادى : من التجأ إلى هذه الراية فهو آمن .

ثم تواقف الفريقان ، فقال فروة بن نوفل الأشجعي - وكان من رؤساء الخوارج - لأصحابه : يا قوم ! والله ما ندري ، علام نقاتل عليا ، وليست لنا في قتله حجة ولا بيان ، يا قوم ! انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة في قتاله أو اتباعه . فترك أصحابه في مواقفهم ، ومضى في خمسمائة رجل حتى أتى إلى البندنيجين ، وخرجت طائفة أخرى حتى لحقوا بالكوفة ، واستأمن إلى الراية منهم ألف رجل ، فلم يبق مع عبد الله بن وهب إلا أقل من أربعة آلاف رجل .

ثم تصاف القوم ، ووقف عليهم بنفسه(عليه السلام) ، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة ، فأبوا ورموا أصحابه ، فقيل له : قد رمونا . فقال : كفوا . فكرروا القول عليه ثلاثا وهو يأمرهم بالكف ، حتى أتي برجل قتيل متشحط بدمه . فقال علي : الله أكبر ، الآن حل قتالهم ، احملوا على القوم . واقتتل الطرفان .

وكان جملة من قتل من أصحاب علي (عليه السلام) تسعة ، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة ،

وقد مر(عليه السلام) بقتلى الخوارج يوم النهروان قائلا- : بؤسا لكم ، لقد ضركم من غركم ! فقيل له : من غرهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال ( عليه السلام ) : الشيطان المضل ، والأنفس الأمارة بالسوء ، غرتهم بالأماني ، وفسحت لهم بالمعاصي ، ووعدتهم الإظهار ، فاقتحمت بهم النار .

**مؤامرة اغتيال الإمام(عليه السلام):**

يفهم من النصوص التاريخية أن الأخبار التي رواها المؤرخون والتي تشير إلى أن الإمام عليا (عليه السلام ) اغتيل بمؤامرة نفذها عدد من بقايا الخوارج . وتتلخص أخبار المؤرخين الأوائل في هذا المجال :

أن جماعة من الخوارج اجتمعوا بعد معركة النهروان في مكة وأقسموا على الانتقام لقتلاهم ، واستقر رأيهم بعد المداولات حول كيفية إيجاد حل لمشكلات العالم الإسلامي على أن منشأ الفتنة ثلاثة أشخاص هم : علي ( عليه السلام ) ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص . وما دام هؤلاء الثلاثة أحياء فستبقى الأمة الإسلامية تعيش حالة من الاضطراب .

وهكذا أخذ ثلاثة من أولئك القوم على عاتقهم مهمة اغتيال هؤلاء الثلاثة . تبنى عبد الرحمن بن ملجم المرادي مهمة اغتيال الإمام علي ( عليه السلام ) ، وتبنى برك بن عبد الله التميمي مهمة اغتيال معاوية ، وأنيطت مهمة قتل عمرو بن العاص بعمرو بن بكر التميمي .

وعزم هؤلاء الثلاثة على تنفيذ خطة القتل في إحدى ليالي شهر رمضان حيث يضطر هؤلاء الثلاثة إلى القدوم إلى المسجد و في ليلة التاسع عشر من رمضان . فقتل عمرو بن بكر الذي كان مكلفا بقتل عمرو بن العاص شخصا آخر كان قد ذهب إلى الصلاة بدلا عن ابن العاص في تلك الليلة ، وجرح برك بن عبد الله معاوية . أما ابن ملجم فقد استطاع تنفيذ مهمته بتحريض من قطام .و عن أبي مخنف لوط بن يحيى وإسماعيل بن راشد وأبي هشام الرفاعي وأبي عمرو الثقفي وغيرهم قد وردت رواية مفادها :

إن نفرا من الخوارج اجتمعوا بمكة ، فتذاكروا الأمراء ، فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم ، وذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم ، فقال بعضهم لبعض : لو أنا شرينا أنفسنا لله ، فأتينا أئمة الضلال ، فطلبنا غرتهم ، فأرحنا منهم العباد والبلاد ، وثأرنا بإخواننا للشهداء بالنهروان . فتعاهدوا عند انقضاء الحج على ذلك ، فقال عبد الرحمن بن ملجم : أنا أكفيكم عليا ، وقال البرك بن عبد الله التميمي : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، وتعاقدوا على ذلك ، وتوافقوا عليه وعلى الوفاء ، واتعدوا لشهر رمضان في ليلة تسع عشرة ، ثم تفرقوا .

فأقبل ابن ملجم حتى قدم الكوفة ، فلقي بها أصحابه ، فكتمهم أمره مخافة أن ينتشر منه شيء . فهو في ذلك إذ زار رجلا من أصحابه ذات يوم - من تيم الرباب - فصادف عنده قطام بنت الأخضر التيمية ، وكان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) قتل أباها وأخاها بالنهروان ، وكانت من أجمل نساء زمانها ، فلما رآها ابن ملجم شغف بها واشتد إعجابه بها ، فسأل خطبتها فقالت له : ما الذي تسمي لي من الصداق ؟ فقال لها : احتكمي ما بدا لك . فقالت له : أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم ، ووصيفا وخادما ، وقتل علي بن أبي طالب.

فقال لها : لك جميع ما سألت ، وأما قتل علي بن أبي طالب فأنى لي بذلك ؟

- وبمساعدة من وردان بن مجالة وشبيب بن بجرة ، وأنهى مهمة قتل الإمام علي ( عليه السلام) . وهذه الرواية متفق عليها من قبل جميع المؤرخين المسلمين تقريبا .

لكن هل كانت القصة على هذا المنوال حقا ، أم أن الحقيقة شيء آخر ؟ وهل كان الخوارج - كما جاء في النصوص التاريخية - هم المخططون الأصليون لاغتيال الإمام (عليه السلام) ولم يكن لمعاوية أي دور فيه ؟ وهل الحكايات التي حكيت حول دور قطام في اغتيال الإمام (عليه السلام) كانت صحيحة ، أم أن المخطط الأصلي لاغتيال الإمام (عليه السلام) كان معاوية ، ولعل كل ما جاء في التاريخ عن الفاعلين ليس إلا تلفيقا يراد منه تبرئة ساحة معاوية من جريمة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام؟ يميل بعض المؤرخين المعاصرين إلى تأييد الفرضية ، وينكرون أساسا دور الخوارج في عملية الاغتيال هذه .

ويبدو أن قصة قطام قد ابتدعت وربطت بقصة أولئك الثلاثة لكي تتقبلها الأذهان أكثر ". و أن على الباحث الذي يريد الاقتراب من الحقيقة عند تتبع واقعة قتل الإمام (عليه السلام )ومعرفة مسببيها أن يبحث في دور الخوارج ومعاوية وقطام في قتل الإمام (عليه السلام) كلا على حدة :

1 - **دور الخوارج** **في مؤامرة قتل الإمام علي ( عليه السلام ):**

من مسلمات التاريخ الإسلامي والتي لا يمكن إنكارها بان لهم الدور البارز. فقد أذعن الخوارج أنفسهم لهذه الحقيقة . وقد نظم عمران بن حطان قصيدة في الثناء على عمل ابن ملجم (عليه اللعنة) جاء فيها :

**يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا**

**إني لأذكره حينا فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا**

**وقال ابن أبي مياس المرادي**

**ونحن ضربنا يا لك الخير حيدرا أبا حسن مأمومة فتفطرا**

**ونحن خلعنا ملكه من نظامه بضربة سيف إذ علا وتجبرا**

**ونحن كرام في الصباح أعزة إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا**

لا شك في أن مثل هذه المسألة لو كانت من اختلاق قصاص معاوية لما بقي هذا الموضوع التاريخي المهم خافيا عن أذهان المؤرخين والمحدثين. ويمكن فهم مدى دورهم في هذه المؤامرة من خلال معرفة هل هم تصرفوا فيها على نحو مستقل أم كانوا في عملهم المشين هذا أداة بيد معاوية أو جلاوزته ؟ وكذلك من خلال النظر إلى كيفية تنفيذ المؤامرة . وهذه المسائل تتطلب التأمل والتمعن .

2 - **دور معاوية**:

لا يوجد من الناحية التاريخية سند يمكن أن يعزو بوضوح مؤامرة قتل الإمام (عليه السلام) إلى معاوية . ولكن توجد ثمة قرائن لا يمكن للباحث أن ينكر في ضوئها دور معاوية في هذه الواقعة . لا شك في أن معاوية كان بصدد قتل الإمام (عليه السلام) ؛ وذلك لأنه كان يعلم جيدا بأنه لن يصل إلى الخلافة طالما بقي الامام علي ( عليه السلام ) حيا ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن قتل الإمام (عليه السلام) في ساحة المعركة لم يكن أمرا ميسورا ، بل إن تجربة وقعة صفين أثبتت لو أن هذه الحرب تكررت مرة أخرى لانتهت قطعا بهزيمة معاوية والقضاء عليه . وعلى هذا فإن أفضل السبل لإزاحة الإمام (عليه السلام) عن الطريق هو اغتياله ، وهو عمل سبق له أن جربه مع مالك الأشتر الذي يعتبر من أفضل العناصر التي وقفت إلى جانب الإمام (عليه السلام). وكان أنجح أسلوب لتنفيذ الخطة هو تنفيذها على يد أنصار سابقين للإمام (عليه السلام) ؛ أي على يد بقايا الخوارج الذين دخلوا مؤخرا في صراع مع الإمام (عليه السلام) ، وكانوا يفكرون بالانتقام لقتلاهم . وتوفرت لديهم الدواعي الكافية للإقدام على هذا العمل الخطير والخبيث ، هذا فضلا عن عدم إمكانية تتبع المؤامرة والوصول إلى الفاعل الأصلي ، ولعل هذا هو السبب الذي أدى إلى عدم وجود أي سند تاريخي يثبت ارتباط هذه القضية بمعاوية . ومن الطبيعي أن أمثال هذه القرارات السرية من قبل الحكومات ليست مما يمكن للمؤرخين الاطلاع عليه وتثبيته في كتبهم .

إحدى القرائن الأخرى الجديرة بالتأمل في هذا السياق هو دور الأشعث في هذه الواقعة ؛ فهو لم يكن مؤيدا للإمام (عليه السلام) من كل قلبه ، بل إنه هدد الإمام بالقتل ، ووصفه الإمام (عليه السلام) علانية بالنفاق ، ولكن بما أنه كان رئيسا لقبيلة كندة ، فإن الإمام(عليه السلام) كان ينتهج معه أسلوب المداراة ؛ لأن إبعاده عن الإمام(عليه السلام) كان يخلق له مشكلة مع تلك القبيلة الكبيرة ويمنعها من الوقوف إلى جانبه .

وإن دور الأشعث في فرض التحكيم على الإمام (عليه السلام) ، واختيار أبي موسى للتحكيم وما تبع ذلك من وقائع ، ينم عن علاقاته الخفية بمعاوية .

وعلى هذا الأساس فإن علمه المسبق بعملية الاغتيال قبل وقوعها ، وعلاقة ابن ملجم به قبل تنفيذ العملية يعد مؤشرا على وجود يد لدمشق في تلك الحادثة . وقد نقل ابن أبي الدنيا عن أستاذه عبد الغفار أنه قال : " سمعت غير واحد يذكر أن ابن ملجم بات عند الأشعث بن قيس ، فلما أسحر جعل يقول له : أصبحت " . ونقل الكثير من المؤرخين أن ابن ملجم عندما مر بالأشعث عند المسجد قبل الإقدام على عملية الاغتيال ، قال له : " النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح " . ولما سمع حجر بن عدي مقالته عرف مقصوده ، فقال له : " قتلته يا أعور " ، وخرج من المسجد من ساعته ليبلغ الإمام (عليه السلام) بالقضية ، ولكن الإمام كان قد دخل من باب آخر ، وعندما وصل حجر ، كان الرجل قد ضرب الإمام (عليه السلام)!

يمكن لهذه القرائن أن تؤيد تدخل دمشق في اغتيال الإمام (عليه السلام) ، ولكن لا بمعنى نفي أي دور للخوارج في ذلك الاغتيال ، ولكن يعني أنهم أقدموا على هذا العمل تحت تأثير مكائد معاوية ولو عن طريق وسطاء ، مثلما يسري هذا الاحتمال على قضية فرض التحكيم على الإمام (عليه السلام).

الشبهة الوحيدة التي يمكنها الطعن بهذا الرأي هي أنه لو كانت لمعاوية يد في اغتيال الإمام(عليه السلام) لما انعكست هذه الخطة عليه وعلى رفيقه المقرب عمرو بن العاص . ويمكن الإجابة عن هذه الشبهة بالقول :

أولا : يحتمل أن الضربة التي أصابت ألية معاوية ، كانت - مثل قتل شخص آخر بدلا من عمرو بن العاص - لعبة سياسية لكي يواجه الحاكم الجديد مشاكل أقل مع الناس .

ثانيا : في المؤامرات غير المباشرة التي تحوكها وتنفذها العناصر المعارضة ، كثيرا ما تطال نيران تلك المؤامرات المخططين الأصليين وخاصة في ذلك العصر الذي كانت تنعدم فيه وسائل الاتصال السريع .

**3 - دور قطام :**

ذهب المؤرخون إلى الإفراط والتفريط فيما يخص دور قطام في مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام ). فالبعض جعل لها في هذه الحادثة دورا أساسيا ، ولعل أول مؤرخ بالغ في تضخيم دور قطام في مؤامرة القتل ، هو ابن أعثم . وكتب مؤرخون اخرون هذه القصة على صورة رواية غرامية . وجعل اخرون لهذه القصة أغصانا وفروعا كثيرة . وفي مقابل ذلك شكك مؤرخون معاصرون من خلال عرضهم لبعض الإشكالات والتناقضات الموجودة في هذه القصة ، في أصل وجود مثل هذه القضية في قتل الإمام ( عليه السلام ) .

ويبدو أن أصل وجود قطام ودورها في مؤامرة اغتيال الإمام ( عليه السلام ) شيء لا يمكن إنكاره قتل أبوها وأخوها - وفي بعض النصوص عمها - في معركة النهروان ، مما جعلها تحقد على الإمام (عليه السلام )وتشارك في مؤامرة اغتياله ، وكانت على صلة بابن ملجم . وعلى هذا لا يمكن إنكار أصل القصة بهذه البساطة . ولكن يمكن التشكيك في كيفيتها .

**اغتيال الإمام( عليه السلام ):**

لما دخل شهر رمضان كان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) يتعشى ليلة عند الامام الحسن ( عليه السلام ) وليلة عند الامام الحسين ( عليه السلام ) وليلة عند عبد الله بن جعفر ، وكان لا يزيد على ثلاث لقم ، فقيل له في ليلة من تلك الليالي في ذلك ، فقال : يأتيني أمر الله وأنا خميص ، إنما هي ليلة أو ليلتان . فأصيب ( عليه السلام ) في آخر الليل .

وروي أن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) سهر تلك الليلة ، فأكثر الخروج والنظر في السماء وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، وإنها الليلة التي وعدت بها ، ثم يعاود مضجعه ، فلما طلع الفجر شد إزاره وخرج وهو يقول :

**أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا قيك**

**ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك**

فلما خرج إلى صحن الدار استقبلته الإوز فصحن في وجهه ، فجعلوا يطردونهن فقال : " دعوهن فإنهن نوائح " وقد عسر عليه فتح باب داره ، وكان من جذوع النخل ، وانحل إزاره ، فشده . وحدثت عملية الاغتيال الغادرة.

فلما أحس الإمام (عليه السلام)بالضرب لم يتأوه وصبر واحتسب ، ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلا : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله.

فلما سمع الناس الضجة ثار إليه كل من كان في المسجد ، وصاروا يدورون ولا يدرون أين يذهبون من شدة الصدمة والدهشة ، ثم أحاطوا بأمير المؤمنين ( عليه السلام ) وهو يشد رأسه بمئزره ، والدم يجري على وجهه ولحيته ، وقد خضبت بدمائه وهو يقول : هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله . . . . فدخل الناس الجامع فوجدوا الامام الحسن( عليه السلام ) ورأس أبيه في حجره ، وقد غسل الدم عنه وشد الضربة وهي بعدها تشخب دما ، ووجهه قد زاد بياضا بصفرة ، وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده ، وهو يقول : أسألك يا رب الرفيع الأعلى فأخذ الحسن ( عليه السلام ) رأسه في حجره فوجده مغشيا عليه ، فعندها بكى بكاء شديدا وجعل يقبل وجه أبيه وما بين عينيه وموضع سجوده ، فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين ( عليه السلام ) ، ففتح عينيه فرآه باكيا ، فقال له : يا بني يا حسن ما هذا البكاء ؟ يا بني لا روع على أبيك بعد اليوم ، هذا جدك محمد المصطفى وخديجة وفاطمة والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك ، فطب نفسا وقر عينا ، واكفف عن البكاء فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء.

وانيطت مهمة الصلاةلجعدة بن هبيرة فصلى بالناس.

وأخذ ابن ملجم عليه اللعنة قال الامام علي ( عليه السلام ) : أجلسوه ؛ فإن مت فاقتلوه ، ولا تمثلوا به ، وإن لم أمت فالأمر إلي في العفو أو القصاص .

وفي مقاتل الطالبيين عن عمر بن تميم وعمرو بن أبي بكار : إن عليا لما ضرب جمع له أطباء الكوفة ؛ فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكوني ، وكان متطببا صاحب كرسي يعالج الجراحات ، وكان من الأربعين غلاما الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم ، وإن أثيرا لما نظر إلى جرح أمير المؤمنين ( عليه السلام ) دعا برئة شاة حارة واستخرج عرقا منها ، فأدخله في الجرح ثم استخرجه فإذا عليه بياض الدماغ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أعهد عهدك ؛ فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك .

واستشهد عليه السلام في الواحد والعشرين من نفس الشهر.

**إخفاء قبر الإمام ( عليه السلام ):**

عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) : إنّ أمير المؤمنين ( عليه السلام ) أمر ابنه الحسن أن يحفر له أربعة قبور في أربعة مواضع : في المسجد ، وفي الرحبة ، وفي الغريّ ، وفي دار جعدة ابن هبيرة ، وإنّما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره ( عليه السلام ) .

وروى انه لمّا قُبِض(عليه السلام) وغسّل وكفّن أُخرج إلى مسجد الكوفة أربع توابيت فصُلّي عليها ، ثمّ أُدخل تابوت إلى البيت والثلاثة الباقية منها ما بعث إلى جهة بيت الله الحرام ، ومنها ما حمل إلى مدينة الرسول ، ومنها ما نقل إلى البيت المقدّس ، وفعل ذلك لإخفائه ( عليه السلام).